

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القيوين
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا الشرعية

4

عبدالحی عسکری



3.1.2. 412



لَقَدْ أَنَا لَكُم مِّنْكُمْ

فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

إِعْدَادُ
جَبْرِ السَّيِّئِ الْعَمَلِ
٢٢٦٩

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في فرع الكتاب والسنة

من قسم الدراسات العليا الشرعية

باشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البغلي

١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ



نستعین

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرو وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحابه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه الى يوم
الدين . وبعد :

(١)

فعملاً بقوله تعالى في كتابه العزيز " هل جزاء الا حسان الا الاحسان " ،
وعملًا بالحديث الذي يرويه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من
استعان بالله فاعيدوه ، ومن سألكم بالله فاعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن أتى
اليكم معروفًا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه ، فادعوا له حتى تملوا أنكم قد
كافأتموه " . (٢)

وبالحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من
لا يشكر الناس لا يشكر الله " . (٣)

عملاً بهذه الأدلة ، أرى أنه من الواجب على أن أتوجه أولاً بالشكر والثناء
الى الله عز وجل ، الذي منّ علىّ ووفقني ، لا اختيار موضوع يتعلق بالقرآن الكريم ، هو
لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة .

(١) سورة الرحمن / آية ٦١ .

(٢) انظر / مسند الامام احمد بن حنبل / ج ٢ / ٦٨ / المكتب الاسلامي / بيروت .

(٣) انظر / سنن الترمذي / ج ٣ / ص ٢٢٨ / الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ -

١٩٧٤ م - بيروت .

غرفتي بعد ذلك الى اتمام البحث في هذا الموضوع واخراجه بهذه الصورة .

بعد ذلك أقدم شكرى الى العاملين المخلصين فى جامعة أم القرى
وعلى رأسهم سعادة الدكتور راشد الراجح ، وكيل الجامعة ، وسعادة الدكتور
على الحكى عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، وسعادة الدكتور
عويد المطرفى / وكيل الدراسات العليا والبحث الحلقى بكلية الشريعة
والعالمين فى الدراسات الحلقى ، لما قدموه وبذلوه لطلبة العلم فى هذه الجامعة
من مساعدات وتمهيلات .

فجزاهم الله على ذلك خير الجزاء ، وسدد على رب الخير خطاهم ، وأخذ
بأيديهم الى ما يحبه ويرضاه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل ، لأستاذى الوقور : سعادة الدكتور محمد
عبد المنعم القيعى ، الذى قبل برعاية صدر ، الاشراف علىّ فى اعداد هذا
البحث المتواضع ، ومنحنى من وقته الكثير - رغم كثرة مشاغله - وغمرنى بارشاداته
القيّمة ونصائحه الجبيلة وتوجيهاته الجيدة .

فجزاه الله عنى خير الجزاء ، وأمدّ فى عمره ، ونفع به طلبة العلم .

كما لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر لجميع الزملاء الذين ساعدونى وأمدونى
ببعض المراجع والكتب المتعلقة بهذا البحث وأخص منهم : الأخ : احمد عبد الله
الزهرانسى . فجزاهم الله جميعا خير الجزاء .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن يجعل علىّ هذا خالصا لوجهه الكريم
وأن ينفع به ، وأن يسدد خطانا ويلهمنا الصواب ، ويثبتنا دأئنا على الحق . وسبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

- المقدمــــــــــــــــة -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ،
سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه الى
يوم الدين .

ومحمد :

فلما كان العمل يستمد قيصته من موضوعه ، وتعظم أهميته أو تقل ، تبعها
لذلك . لذا توكلت على الله وعقدت النية على الكتابة في أحد مواضيع القرآن الكريم
وقد وقع اختياري على موضوع : " لقمان " ، الوارد ذكره في سورة لقمان ، إحدى
سور القرآن الكريم .

وقد كان اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب :-

- ١ - حبى الشديد لعلم التفسير ، وشدة ميولى اليه ، وما ذلك الا لتعلقه
بكتاب الله تعالى ، لأنه يكشف عن اسراره ونفائسه ، ويوضح معانيه العظيمة
لمن شق عليه فهمها ، واستعصى عليه ادراكها .
وحيث أن الشيء يشرف بموضوعه أو يفرضه أو بالحاجة اليه . فان عطية
التفسير قد احتوت على هذه الأمور الثلاثة .
فاما الموضوع :- فلأنه بيان لمعاني القرآن الكريم ، ينبوع الحكمة ، ومعدن
الفضيلة ، وجماع الخير كله .
وأما الغرض :- فهو الاستمساك بالعروة الوثقى ، التي بها تتحقق السعادة
الدائمة في الدنيا والآخرة ، جعلنا الله جميعا من أهلها .

وأما الحاجة اليه : - فلأن كل كمال دنيوى أو أخروى ، مفتقر اليه ،
ومحتاج اليه ،

٢ - ان الآيات الواردة فى سورة لقمان ، والمتعلقة به والمتحدة عنه وعن ابنه ،
تتضمن مقومات المجتمع الإسلامى ، كإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ،
والبعد عن الكفر والاشراك به ، والقيام بشكره تعالى ، والوصاية
بالوالدين وطاعتهم فى غير معصية الله ، وإقام الصلاة والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى فى ذات الله .
والتواضع والبعد عن الكبر والخيلاء والقصد فى جميع أمور الحياة .
واتباع سبيل من أناب الى الله من عباده الصالحين وهو سبيل الأنبياء
 والمرسلين .

الى غير ذلك من مقومات المجتمع الإسلامى .
لذلك أحببت أن أصوغ هذه المقومات المستفادة من الآيات الكريمة
فى سورة لقمان ، فى هيئة بحث للاستفادة منها ، ومحاولة نشرها فى
مجتمعنا الإسلامى .

وبما حبذا لو نشرت ومن ثم طبقت فى كل مجتمعاتنا الإسلامية ، لحزننا
فضلا كبيرا وخيرا كثيرا ونفعا عيما .
واننى لأبتهل الى الله تبارك وتعالى ، أن يحقق ذلك فى مجتمعاتنا
الإسلامية ، وأن يعيد اليها عزتها ومنعتها واستقامتها السابقة .

٣ - ان قصة لقمان الحكيم وابنه ، الواردة ضمن سورة لقمان ، احدى سور القرآن
الكريم لم يكتب عنها أحد بشكل علمى ، على حد علمى القاصر ومعلوماتى
القليلة ، ومطالعاتى الضئيلة .

لذا رغبنا أن أسهم بالكتابة في هذه القصة ، للاستفادة مما فيها من
التصائح والحظات والعبر ، وما الى ذلك ، في الحياة بصفة عامة ، وفي مجال
الدعوة الاسلامية بصفة خاصة .

وأنا مع هذا معترف بتقصيري ، وقصور علمي ، فما كان من صواب فهمي
من الله وحده ، وما كان من خطأ فهمي ومن الشيطان ، وأسأل الله أن يغفر
لي ويتجاوز عني ويغشاني برحمته ، فإني أهل للنقص والخطأ ، ولا كمال الا
لله سبحانه .

وكما قال الامام مالك رحمه الله : " كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه ،
الا صاحب هذا القبر . يعني بصاحب القبر : المصطفى عليه افضل الصلاة
وأتم التسليم .

وحسبي أن هذا جهدي ، وما استطعت التوصل اليه ، فان كان صوابا ، فيفضل
الله ونعمته وحده ، وله الحمد والشكر والثناء على كل حال ، وان كان غير
ذلك فأسأله سبحانه العفو والتجاوز والمغفرة ، فانه لا يغفر الذنوب الا هو .

كما أسأله سبحانه أن يجعل علمي هذا خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به ،
فهو نعم المولى ونعم النصير .

منهجى في هذا البحث :

أما منهجى في هذا البحث فهو يتلخص في النقاط التالية :-

١ - البحث عن التفسير بالمأثور ، وتصحيح ذلك أو بيان ما فيه .

٢ - الوقوف عند جو القصة بفقهه وحذر .

٣ - الرجوع الى المفسرين بالرأى ، وقياس ما يقولون على مبادئ الدين واللسنة .

٤ - اذا تعارضت الأقوال ، وكان من الممكن الجمع جمعت ، وان لم يكن

ذلك ممكنا ، رجحت .

وما أردت الا الخير ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

خطبة البحث

الموضوع : لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة .

وفيه : مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

المقدمة : أتناول فيها سبب اختياري الموضوع ، ومنهج البحث فيه .

الباب الاول : في الكلام عن لقمان وتحتة فصول :

الفصل الاول : في تحقيق القول في اسمه ونسبه والمصر الذي عاش فيه ،

والكلام عن ولده .

الفصل الثاني : في تحقيق القول عن شمائله وصفاته الخلقية .

الفصل الثالث : في تحقيق ^{القول} نبوته أو ولايته .

الباب الثاني : في تفسير الآيات الواردة في لقمان وتحت ذلك فصول :-

الفصل الاول : في تعريف الحكمة وضمونها ومكانتها في ميزان القرآن

والسننة ، واستقراءها فيهما .

الفصل الثاني : في : أن من الحكمة ، شكر الله تعالى .

الفصل الثالث : بيان ما يتعلق بحقيقة التوحيد ، وبيان أن العقيدة

رأس الحكمة .

الفصل الرابع : وصايته بالوالدين ولا سيما الأم ، وعدم عقوبتهما ، وبيان

ما يطاعان فيه وما لا يطاعان . وبيان أن بر الوالدين وعدم

عقوبتهما ، مما اتفقت عليه الشرائع ، وتطابقت على حسنه

المقول .

الفصل الخامس : فيما يتعلق برأس العبادات البدنية .

الفصل السادس : فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبيان

أن ذلك من الأصول المطلوبة في شرائع الأنبياء والمرسلين

وبيان الصبر على البلاء والايذاء .

الفصل السابع : بيان فضيلة التواضع للناس ، وعدم التكبر عليهم ، وعدم

البطر والأشر في الأرض .

الفصل الثامن : ما ينبغي أن يكون عليه الرجل العاقل المتدين فـسـى

له وسعته في المشى .

الفصل التاسع : فيما ينبغي أن يكون عليه الرجل العاقل المتدين في غض

الصوت في الكلام والحديث .

الباب الثالث :

في استقراء الأحاديث الواردة في كتب الحديث والتفسير ، المتعلقة بلقمان

وشرحها وبيان درجتها من الصحة أو الحسن أو الضعف .

الخاتمة :

ذكر النتائج التي استخلصتها من هذا البحث .

الباب الأول فى الكلام عن لقمان

وتحتله فصول

الفصل الأول : فى تحقيق القول ~~فصل~~ :

- ١ - فى اسمه ونسبه .
- ٢ - فى العصر الذى عاش فيه .
- ٣ - فى الكلام عن ولده .

الفصل الثانى : فى تحقيق القول عن صفات

لقمان الحكيم الخلقية والخلقية .

الفصل الثالث : فى تحقيق القول فى نبوة لقمان

أولايته .

أول من رتب رذرا حسب تاريخ
 وحيات ١٠٠٠
 ودرس على يده عبد الله بن
 رذرا رذرا رذرا رذرا رذرا رذرا
 مرون.

- ١٠ -

الفصل الأول

١ - تحقيق القول في : اسم لقمان ونسبه :

١٧٤ قال ابن كثير : هو لقمان بن عنقاء بن سدون . (١)
 ١٧٥ وقال الخازن : " قيل : هو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ وهو
 آزر . وقيل : كان ابن أخت أيوب ، وقيل : كان ابن خالته " . (٢)
 ١٧٦ وقال البغوي : " قال محمد بن اسحاق : هو لقمان بن ناحور بن ناحور
 بن تارخ وهو آزر .

وقال وهب : انه كان ابن أخت أيوب . وقال مقاتل : ذكر أنه كان
 ابن خالته أيوب " . (٣)

١٧٧ وقال الشوكاني : " وهو : لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ ، وهو
 آزر أبو ابراهيم . وقيل : هو : لقمان بن عنقاء بن مرون . وكان

نوبيا من أهل آيلة ، ذكره السهيلي . [قال وهب : هو : ابن أخت
 أيوب . وقال مقاتل : هو ابن خالته " . (٤)

١٧٨ وقال القرطبي : هو : لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ ، وهو آزر أبو
 ابراهيم . كذا نسبه محمد بن اسحاق .

(١) انظر / تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٤ / طبعة الحلبي وشركاه .

(٢) انظر / تفسير الخازن / ج ٤ / ص ٢١٣ / الطبعة الثانية / الحلبي
 وشركاه .

(٣) انظر / تفسير البغوي / بهامش الخازن / ج ٤ / ص ٢١٣ / الطبعة الثانية
 - الحلبي وشركاه .

(٤) انظر / فتح القدير / للشوكاني / ج ٤ / ص ٢٣٢ / الطبعة الثانية
 الحلبي وأولاده بمصر .

نظر
 نفس
 ٨٠٧

هذه هي الرواية التي جمعها القبطي في كتابه القبطي - وما لا يخفى عليه
كما ج (أ) هذا القبطي - وما لا يخفى عليه في كتابه القبطي - وما لا يخفى عليه
٢١ فن هذه الرواية التي جمعها القبطي في كتابه القبطي - وما لا يخفى عليه

وقيل : هو لقمان بن عنقاء بن سرون ، وكان نوبيا من أهل آيلة ،

ذكره السهيلي .

[قال وهب : كان ابن أخت أيوب . وقال مقاتل : ذكر أنه ابن خالة

(١) أيوب .]

٥٢٨

وقال الزمخشري : هو : لقمان بن باعورا ، ابن أخت أيوب ، أو ابن

خالته . وقيل : كان من أولاد آزر . (٢)

قلت :

مما سبق يتضح وجود بعض الاختلاف القليل في اسم والد لقمان .

حيث ذكر بعضهم : أنه : لقمان بن عنقاء بن سرون .

ونذكر البعض : أنه : لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارح ، وهو

آزر أبو إبراهيم .

الصواب أن آزر بن ناحور بن تارح هو الذي أراه في
هو كتاب الكليات في أصول الفقه

وقال البعض : أنه : لقمان بن ناعور .

والذي أراه في هذا الاختلاف ما يلي :

١ - أما أن يسمى الإنسان بأكثر من اسم ، فكل ذكر ما اشتهر به عنده .

٢ - وأما أن هذه الروايات غير دقيقة في تحديد الاسم .

والذي يعنيها هو "لقمان" كما جاء في القرآن الكريم .



(١) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٢٥٩ / دار

الكاتب العربي للطباعة والنشر . وانظر / التفسير للناسخ والمنسوخ / ج ١ / ص ١٨٧

(٢) انظر / الكشاف / للزمخشري / ج ٣ / ص ٢٣١ .

وانظر / حاشية الطائفة على تفسير البصائر / ج ١ / ص ١٢٤

٢ - تحقيق القول في : العصر الذي عاش فيه لقمان :

ذكر القرطبي في تفسيره ، أن لقمان " عاش ألف سنة ، وأدركه داود عليه

وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . وأخذ عنه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث

داود عليه السلام ، فلما بحث قطع الفتوى . فقيل له ؟ . فقال : ألا أكتفى ^{كَيْتَ تَلَبَّ} _{داود} ^{داود} . (١)

وقد أضاف الألويسي الى ذلك : " وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل

ونقل ذلك عن الواقدي ، الا أنه قال : وكان زمانه بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

وقال عكرمه والشعبي : كان نبيا ، والأكثرون على أنه كان في زمن داود

عليه السلام ، ولم يكن نبيا . (٢)

قلت :

والذي أراه - والله أعلم - أن لقمان عاش في زمن داود عليه السلام ، وليس في

الزمن الواقع بين زمن سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما أفضل الصلاة والسلام .

وبدل على ذلك ما ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول حيث قال :-

" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لقمان كان عبدا كثيرا تفكر ، حسن

الظن ، كثير الصمت ، أحب الله فأحبه الله ، فمن عليه بالحكمة ، نودي بالخلافة

(١) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٩٧ / دار الكاتب
العربي للطباعة والنشر .

(٢) انظر / روح المعاني / للألويسي / ج ٢١ / ص ٨٢ ، ٨٣ .

داود

قبل داود عليه السلام ، فقيل له : يا لقمان : هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض ، تحكم بين الناس بالحق ؟ قال لقمان عليه السلام : ان جبرني ربى قبلت ، فاني أعلم ان فعل ذلك بي أعاني وطمني وعصني ، وان خيرني ربى ، قبلت العافية ، ولم أسأل البلاء . فقالت الملائكة ، بصوت لا يراهم : يا لقمان لم قلت هكذا ؟ .

قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ، يفسد الظلم من كل مكان ، فيخذل أويهان . وان أصاب فبالحرى أن ينجو ، ولئن أخطأ ، أخطأ طريق الجنة . ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً ضائعاً . ومن يختار الدنيا على الآخرة ، فاتته الدنيا ، ولا يصير إلى ملك الآخرة .

فعميت الملائكة لحسن منطقه . فنام نومة ، ففط بالحكمة غطاً ، فانتبه فتكلم بها . ثم نودي داود عليه السلام بعده بالخلافة فقبلها ، ولم يشترط شرط لقمان ، فأهوى في الخطيئة ، فصاح الله عنه وتجاوز .

وكان لقمان يؤزره بعلمه وحكمته ، فقال داود عليه السلام : طوبى لك يا لقمان ، أوتيت الحكمة ، وصرفت عنك البلية ، وأوتي داود الخلافة ، وابتنى بالرزية والفتنة* . (١)

وأنا أكثر ميلاً إلى أن لقمان ، كان قبل داود عليه السلام ، ثم تعاصرا . والذي يعني بنا بعد دراستي لحصر داود وما قبله ، أنها فترة طيبة بالمتناقضات فبنوا إسرائيل لا يرون التأهيل لأي فضل إلا عن طريق المال ، وهكى الله عنهم

(١) انظر : نوار الأصول / للحكيم الترمذي / ص ١١٢ / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

قولهم : " أنى يكون له الطك علينا ونحن أحق بالطك منه ولم يؤتسعة من المال " (١) الآية

فقيادة التوجيه عندهم ، بالنسب والمال . وكان لقمان فى أرجح الأقوال يختلف عن نسبهم ، فهو ذو نسب متواضع ، ورزقه كفاف ، ومع ذلك آتاه الله الحكمة وعلمه ما يشاء .

وعلى هذا فلقمان الحكيم يوجه مجتمعا ماديا ، سيطرت عليه المادة ، وتفلسفت فى كل جوانبه ، وجاء لقمان ليبيث التعاليم الروحية ، حتى لا ينقلب الناس وحوشا بما سيطرت عليهم المادة .

ولا ريب أن ظهور الداعية الروحية بين قوم ماديين ، يصور لنا مدى الحاجة الى ذلك الداعية ، ومدى الجهد الذى يبذله ، لاهياء الناس حياة روحية ، سليمة من المصاوى ، وبعيدة عن المنكرات .

وانا كنت لم أطمئن الى رواية تجعلنى أوقن بزمان لقمان ، فان الجسو القرآنى يشير الى حاجة المجتمع ، لمصلح يصلح بقوله وعلمه فى آن واحد ولا يكفى أحدهما عن الآخر .

وليس المصلح من فكر وكتب ، ووعظ وخطب ، ولكنه الحى العظيم الذى تلصصه الفكرة ، فتحيا فيه .

وقد أحيا لقمان بسلوكه ، مبادئ فكرته ، فشكر ربه وعرف قدره ، وأوصى ابنه ، كما حكاه القرآن الكريم .

٣ - تحقيق القول في : اسم ولد لقمان :-

كما اختلفت الأقوال في اسم والد لقمان ، فقد اختلفت كذلك في اسم ابنه .

فقد قال ابن كثير :-

" واسم ابنه ثاران في قول حكاه السهيلي " . (١)

وقال الخازن :

" قيل اسمه أنعم ، وقيل : أشكم " . (٢)

وقال القرطبي :

" قال السهيلي : - اسم ابنه : ثاران في قول الطبري والقتبي ، وقال الكلبى : مشكم ، وقيل : أنعم ، حكاه النقاش " . (٣)

وذكر الألوسى :

" أن اسم ابنه : تاران على ما قال الطبري والقتبي . وقيل : ماشان ، بالمشثة - وقيل : أنعم . وقيل : أشكم . وهما : بوزن أفعل . وقيل : مشكم بالميم بدل الهمزة " . (٤)

-
- (١) انظر / تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٤ / طبعة الحلبي وشركاه .
(٢) انظر / تفسير الخازن / ج ٤ / ص ٢١٣ / الطبعة الثانية / الحلبي وشركاه . وانظر / معاني السباع بغير بيان / ١٢٥/٧
(٣) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٦٢ / دار الكاتب العربي .
(٤) انظر / روح المعاني للألوسى / ج ٢١ / ص ٨٤ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

قلت :

مما سبق يتضح وجود بعض التباين في اسم ولد لقمان ، والذي اراه في

ذلك :

١ - اما أنه سمي بأكثر من اسم ، وكل كان يسميه بما اشتهر به عنده من تلك

الأسماء وأهل ما عدا ذلك .

٢ - واما أن هذه الروايات غير دقيقة في تحديد الاسم .

ومهما يكن ، فان الذي يعنينا وبهنا ، هو " ابن لقمان " الوارد في القرآن

الكريم ، لا اسمه ، فانه لا يتعلق بذكره كبير فائدة ، ولو كان في ذكره فائدة

تعود علينا لأوضحها القرآن الكريم .

كذلك يتضح لنا أن القرآن الكريم ، كان دقيقا ومنا في تعبيره ، فلما لم يكن

يعنينا اسم أبيه " أبي لقمان " ، لم يتعرض له ، ولما كان يعنينا احساس الاب نحو

ابنه ، في التوجيه والارشاد ، قال سبحانه " وان قال لقمان لابنه " (١) ، أما اسمه

فلا يعنينا ان يستوى عندنا أي اسم ، سمي به هذا الابن .

ومن المعلوم أن الابهام في القرآن ، من أسبابه : عدم تعيين فائدة من

الذكر ، كقوله سبحانه " واسألهم عن القرية " . (٢)

وفي هذا التوجيه الكريم ، ما يدعونا الى نبذ الأمور السطحية ، والاهتمام بجوهر

الموضوع ، وكما ضاعت معاني قيمة من غير جدوى ، في معارك لفظية ، لا فائدة منها .

ومثل هذه الروايات في المغالب منقولة عن أهل الكتاب الذين أمرنا ألا نصدقهم

ولا نكذبهم فيما لم يأت عندنا ذكره ، ونقول كما علمنا الله تعالى : " آما بالذي

أنزل إلينا وأنزل إليكم والهناء والهكم واحد ونحن له مسلمون " . (٣)

(١) سورة : لقمان / آية : - ١٣ - .

(٢) سورة : الأعراف / آية : - ١٦٣ - .

(٣) سورة : الحنكوت / آية : - ٤٦ - .

الفصل الثاني

في تحقيق القول : عن صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية :

اختلفت الروايات والأقوال ، حول صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية ، وكل ما استطعت التوصل اليه ، هو آثارا غلبها في ثنايا كتب التفسير ، وهذه أهم تلك الأقوال :-

قال الطبري :

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي وابن حميد ، قالا : ثنا هكاهنا عن سعيد بن الزبير عن مجاهد قال : كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيا على بني اسرائيل .
وقال : حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى ^{الرحلي} ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن مجاهد ، قال : كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين ، مشقق القدمين .

وقال :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عن الأشهب ، عن خالد الرمي ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ، فقال له مولا : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيب مضعتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب .

ثم ^{مكن} مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضعتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب .

فقال له : مولا : أمرتك أن تخرج أطيب مضعتين فيها ، فأخرجتهما ،

وأمرتك أن تخرج أخيت مضفتين فيها ، فأخرجتهما ، فقال له : لقمان : انه
ليس من شيء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبت منهما اذا خبثا .
وقال :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكيم ، قال : ثنا عمرو بن قيس قال :
كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأتاه رجل ، وهو فسى
مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : أأست الذى كنت ترعى معى الفغم فى مكان
كذا وكذا ؟ قال : نعم . قال : فما بلغ منك ما أرى ؟
قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنينى . (١)

وقال ابن كثير :

قال قتادة ، عن عبد الله بن الزبير ، قلت لجابر بن عبد الله : ما انتهى اليكم
من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرا ، أفطس الأنف من النبوة .

وقال : يحيى بن سعيد الانصارى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان
لقمان من سودان مصر ، ذا مشافر ، أعطاه الله الحكمة ، ووضعه النبوة .
وقال أيضا :

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عمر بن واقد ،
عن عبدة بن رياح عن ربيعة عن أبي الدرداء ، أنه قال يوما ، وذكر لقمان الحكيم ،
فقال : ما أوتى ما أوتى ، عن أهل ، ولا مال ، ولا حسب ، ولا خصال ، ولكنه كان

(١) انظر / تفسير الطبرى / ج ١٨ / ص ٦٧ ، ٦٨ / الطبعة الثالثة -
الطبعة الأولى : مصر .

رجلا صمصاما^(١) ، سكيناً^(٢) طويل التفكير ، عميق النظر ، لم ينم نهارا قط ولم يره أحد ، ييزق ولا يتنخع ، ولا يبول ولا يتغوط ، ولا يفتسل ، ولا يعيث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقاً نطقه ، الا أن يقول حكمة يستعيد بها أيامه أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا ، فلم يبك عليهم ، وكان يفشى السلطان ويأتي الحكام ، لينظر ويتفكر ويعتبر . فبذلك أوتي ما أوتي .^(٣) *الفلح من مائة نكاح*

وذكر البغوي :

ان لقمان كان خياطاً ، وكان راعي غنم ، حيث قال :
" وقال سعيد بن المسيب : كان خياطاً ، وقيل كان راعي غنم ، فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة ، فقال : أأست فلانا الراعي ؟ فيم بلفت ما بلفت ؟ .
قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعني ."^(٤)

كما أشار القرطبي الى أنه كان يحتطب الحطب لمولاه ، حيث قال :
وقيل : كان يحتطب لمولاه هزمة حطب ، وقال لرجل ينظر اليه : ان كنت ترانسى غليظ الشفتين ، فانه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وان كنت ترانى أسود ، فقلبي

-
- (١) صمصام : الصمصام والصمصامة : السيف الصارم الذي لا ينتشى ، ورجل صمصام وصمصامة : قيل : هو الشديد الصلب . وقيل : هو المجتمع الخلق .
المرجع : لسان العرب / لابن منظور / مجلد ١٢ / ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ / بيروت / ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) / بتصرف .
- (٢) سكيناً : سكين وسكين : أى كثير السكوت . ورجل سكين وساكوت : اذا كان قليل الكلام من غير عي ، فاذا تكلم أحسن .
المرجع : لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٢ / ص ٤٣٠ / بيروت / ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م / بتصرف .
- (٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، طبعة الحلبي وشركاه .
- (٤) تفسير الخازن ج ٤ ص ٢١٥ الطبعة الثانية - الحلبي وشركاه .

أبيــــــــــــض . (١)

أما الألويس فقال :

اختلف فيما كان يعانيه من الأشغال ، فقال خالد بن الربيع : كان نجارا بالراء ، وفي معاني الزجاج : كان نجادا بالبدال ، وهى على وزن كنان ، من يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما .

وأخرج ابن أبي شيبة ، وأحمد فى الزهد ، وابن المنذر عن ابن المسيب : أنه كان خياطا ، وهو أعم من النجاد . (٢)

قــــــــــــت :-

بعد استعراض هذه الروايات يمكننى أن أستخلص منها ما يلى :

١ - أن أهم صفات لقمان الحكيم الخُلُقِيَّة هى :-

أنه كان عبدا أسود ، قصيرا ، أفطس الأنف ، غليظ الشفتين ، عظيمهما ، وكان مصفح القدمين ومشققهما .

٢ - أما أهم صفاته الخُلُقِيَّة فهى :-

أنه كان يتصف بصفات حميدة ، ويزاول منها متعددة ، ومن أهم ذلك :- أنه كان رجلا صامما سكتيا ، طويل التفكير ، عميق النظر ، لم يره أحد قط ييزق ، أو يتبول ، أو يتفوط ، أو يعمث ، كما كان يغشى السلطان والمعاكم لينظر ويتفكر ويعتبر ، وكان صادق الحديث آمينا ، لا يتدخل فيما لا يعنيه . كما اشتهر بالحكمة فى أقواله وأفعاله .

(١) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٢١٥ ، الطبعة

الثانية - الحلبي وشركاه .

(٢) انظر / روح المعاني / للألويس / ج ٢١ / ص ٨٣ / دار احياء التراث العربى .

٣ - أما الأعمال والمهن التي كان يزاولها فهي :-

أنه كان نجارا ونجادا وخياطا وراعيا للغنم ، وكان يحتطب لمولاه .
ولا مانع من الجمع بين هذه المهن ، لا مكان القيام بها في أوقات مختلفة .

ويعد استقراء هذه الصفات وحصرها على الوجه المذكور ، يتبين أن لقمان رجل
توافرت فيه كل عناصر الصلاح والقدوة الطيبة .

فكونه مطوكا ، لم يصرفه ذلك عن معرفة ربه ، وكلما تنوعت المشاغل ، ازداد الاقبال
على الله ، مما يدل على أن حقوق الخلق ، لم تطغ على حقوق الله . ومن يؤتيهم
الله أجرهم مضاعفا ، العبد المطوك ، الذي قام بحق سيده ، ولم يفرط في حقوق
ربه .

وكونه أسود البشرة ، لا يعكر ذلك من قيمته ، فالحياة لا تعرف البشرة
الا غطاء على ما وراءها ، أسود أو أبيض ، أو كان من لون الرمر ، أو من هيئة
الطين . فهو أسود البشرة ، أبيض القلب ، وهذا هو المطلوب .

وتباهى البيض في عصرنا الحاضر ، انما هو كتباهى ابليس ، بأنه خلق من
نار ، وآدم خلق من طين ، والنار أفضل من الطين ، على قياسه المعكوس .
وليس للإنسان دخل في بياض بشرته ، أو في سوادها ، وانما يتفاضل الناس بالأعمال
التي لا رادتهم دخل فيها .

ومن صفاته ، أنه غليظ الشفتين ، لكن منهما تنبع الحكمة ، وكأنما شفتاه مخزن
تختزن فيه الحكمة . ومن عجائب قدرة الله تعالى ، أن يخرج الشيء من ضده ، فغلظ
الشفنتين ربما كان علامة على البلاهة ، ومع ذلك فقد أخرج الله منهما الحكمة النقية

العالية ، وكأنهما كتاب ترتفع أوراقه ، لكثرة ما فيها . وسبحان من أخرج من الشجر الأخضر نارا ، ومن غلظ الشفتين حكمة ، تضيء الدنيا ، " ومن يوءت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . " (١)

وتأمل تحليله : " بم آتاه " : " بصدق الحديث وسكوته عما لا يعنيه " :
انهما أمران يتناول بهما كل جوانب الحياة ، فإذا تكلم صدق ، وإذا لم يكن الأمر
يعنيه ، صمت . وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم .
ومن حسن اسلام المرء ، تركه ما لا يعنيه ، أما اشتغاله بما لا يعنيه ، فضرب مذموم
وفضول مقسوت .

وكونه من الحبشة أو من السودان أو من غيرهما ، فإن الذي يعنيه
جنسيته الخلقية ، أما نسبه وما ينتسب اليه من الأوطان ، فإن النسب الصحيح الذي
ينتسب اليه كل امرئ ، هو التقوى ، وفي الحديث : " عن أبي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله يوم القيامة : انى جعلت نسباً ، وجعلتكم
نسباً ، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، فأبيتم إلا أن تقولوا : فلان أكرم من فلان
وفلان أكرم من فلان ، وانى اليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم ، ألا ان أوليائى المقفون^(٢) .

فلقمان ينتسب الى شجرة التقوى بفروعها الحديدية . كان قاضيا على ما
يقال ، ولمل القضاء من أهم المهن الشريفة ، التى يرفع الله بها صاحبها ، فإن
استقرار الحق فى موطنه يحسن الله به الذكر ، ويمعظم به الأجر ، وقاض فى الجنة
وقاضيان فى النار ، ولقمان يمثل جانب العدل والانصاف .

(١) سورة البقرة - آية : - ٢٦٩ - .

(٢) ~~سبحم الطبراني / ج / ص~~

ولقد اشتغل بأصور كثيرة حسب مقتضيات الأحوال ، عمل نجارا ، كما
عمل نوح عليه السلام ، وعمل جزارا ، ليضرب للناس أروع الأمثلة ، من وراء عمل
عادي ، فيبرهن لهم على أن القلب واللسان ، أطيب مضافتين ، وأخبت مضافتين
ومدار ذلك على سيطرة النفس عليهما ، فان سيطرا على النفس ، كانا أخبت
مضافتين ، وان سيطرت عليهما النفس ، كانا أطيب مضافتين .

ومعنى هذا أنه يلفت النظر إليهما ، فهما مجالا لإصلاح في داخل
الإنسان وخارجه ، ففي القلب تستقر القيم ، وباللسان يعامل الآخرون .

ومن مهنته أنه كان يرعى الغنم ، وكانما يريد الله له ، أن يقوم بدور
ترهوى عظيم الشأن ، فرعى الغنم ، مقدمة لرعى البشر ، وما من نبي إلا رعى
الغنم ، قبل أن يرعى البشر ، واشتغال لقمان بهذه المهنة ، يرشحه لدور عظيم
الشأن - ان لم يكن نبيا - فهو مصلح اجتماعي ، يصلح بحكمته ورويته وتأملاته
واستنتاجاته .

وفي بعض أوصافه : " أنه كان قصيرا أفطس الأنف " .

وقد ظلت ، ان الصفات الخلقية ، لا تدخل لصاحبها فيها ، وكم من أناس ، كانت
أجسامهم موضع سخرة الآخرين منهم ، وآخرون استنارت بصائرهم ، ففضوا
الطرف عما لا دخل للإنسان فيه ، وأطلقوا عقولهم ، فيما هو مدار الجمال والقبح ،
من صفات مكتسبة ، يحصلها الإنسان لنفسه بكفاحه وإرادته . قال تعالى عن
المنافقين : " وإنا رأيتمهم تعبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم
خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم " . (١)

والحق أن مصلحة الرعية لا ترتبط براءعيتها من ناحية شكله وملامح وجهه ،
وعظم جسمانه ، وانما مصلحتهم ، من حيث اتصالهم به ، ونسبته اليهم ، ولقمان
الحكيم ، اتصل بكل عقل سليم ، عن طريق حكمته ، فاقترب الى الناس بحسن
معرفته ، وجمال صياغته .

ما أوتى
وتأمل : " مارواه ابن أبي حاتم ، عن أبي الدرداء أنه قال يوما : ما أوتى /
عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ، ولكنه كان رجلا صمما سكتا ، طويل التفكير
عميق النظر ، لم ينم نهارا قط ، ولم يره أحد ييئزق ، ولا يتنفع ، ولا يبول ، ولا يتغوط
ولا يفتسل ، ولا يعيث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقا نطقه ، الا أن يقول
حكمة ، يستعيدها أباه أحد ، وكان قد تزوج ، وولد له أولاد ، فماتوا ، فلم يبق ك
عليهم ، وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام ، لينظر ويتفكر ويمتھر ، فبذلك
أوتى ما أوتى " .

اللامحور

وأيا ما كان هذا الخبر ، من حيث صحته أو الشك فيها ، فان القدر المتفق
عليه بين البشر ، أن توافر تلك الصفات والأحوال ، يرشح لأعلى مناصب التوجيه
والقيادة ، فهو لم ينل ما ناله عن صفات مادية ، بل عن صفات روحية ، فالمال
والأهل والحسب والنسب ، وغير ذلك ، أمور مادية لا تدخل لها في ملكات النفوس
والأذهان بل ربما كانت هذه الملكات تعويضاً عن النقص المادي ، وملكات النفوس
والأذهان مزية غير قابلة للمسح ، بخلاف الماديات ، فانها معرضة للنقصان
والزوال .

ولقمان : صمما سكتا ، أى : حازم في غير عنف ، رحيم في غير ضعف ،
كثير الصمت عن غير عي ، والرجولة الحقيقية ، افراغ النفس في أسلوب قوى جزل من

الحياة ، متساقط في لقط الاجتماع ، يلوح بمعاني الدين ، مصقول بجمال الانسانية
مستترسل بلاغسة وثقة وجمال التي غلبت السامية ، من نشر الخير وعلاء كلمة الحق .

ولعل اشغاله بالسبيل الممدودة ، مما نرى فيه القدرة على مواجهة للحياة ،
عمل خياط فموه ، لذلك على راس الخلق بعضها ببعض بخيوط حكمة . وكان
يحتطب ، فمرف من هذه المهنة - ومن غيرها - كيف تنقى الحكمة وتختار ، لتصل
النفوس اشراقا وتوقدا ،

ولعل بهذا قد استطعت ابراز جوانب الاشراق في لقمان الحكيم ، من
خلال ما نقل عنه من الأخبار .

الفصل الثالث

فى تحقيق القول : فى نبوة لقمان أو ولايته

اختلفت الأقوال فى كون لقمان نبيا أو وليا من أولياء الله تعالى . وسأورد
أهم تلك الأقوال ، ثم أقوم بعد ذلك بترجيح ما عمل الله النفس وتطمئن اليه
ان شاء الله تعالى :-

قال الامام الطبرى رحمه الله :

حدثني محمد بن عمرو ، قال حدثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني
الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن أبي نجيح عن مجاهد
قوله : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " : قال : الفقه والعقل والاصابة فى القول من
غير نبوة .

وقال : حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد عن قتادة ، قوله : " ولقد
آتينا لقمان الحكمة " : أى الفقه فى الاسلام ، قال : قتادة ولم يكن نبيا ولم يوح اليه .
وقال : حدثنا ابن العثي ، ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن الحكم عن
مجاهد أنه قال : كان لقمان رجلا صالحا ولم يكن نبيا .
ثم قال أيضا : حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد
" ولقد آتينا لقمان الحكمة " :

قال : القرآن .

وقال : ثنا أبي عن سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد قال : الحكمة : الأمانة .
ثم قال بعد ذلك : وقال آخرون كان نبيا :-

ورواية ذلك :

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا أبي عن اسرائيل ، عن جابر عن عكرمة قال : كان لقمان نبيا (١) .

أما ابن كثير فقد اشار في بداية الكلام عن لقمان ، الى اختلاف أقوال السلف فيه ، هل كان نبيا ؟ أو كان عبدا صالحا من غير نبوة ؟ . وأن الأكثرين منهم على القول الثاني .

ثم ذكر بعد ذلك مجموعة من الروايات منها ما يدل على أنه كان نبيا ومنها ما يدل على أنه لم يكن نبيا ، وإنما كان عبدا صالحا . ثم عقب بعد ذلك بقوله :-
" فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبيا ، ومنها ما هو مشعر بذلك لأن كونه عبدا قد مسه الرق ، ينافي كونه نبيا ، لأن الرسل كانت تهبث في حساب قومها . ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا . وإنما ينقل كونه نبيا عن عكرمة أن صح السند اليه ، فإنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال : كان لقمان نبيا . وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم " . (٢)

وقد أورد القرطبي رحمه الله عدة روايات ، منها ما ينفي النبوة عن لقمان صراحة ، ومنها ما هو مشعر بأنه نبى . ومن تلك الروايات ما يلي :-

قال سعيد بن المسيب ، كان لقمان أسود من سودان مصرذا مشافرا ، أعطاه الله تعالى الحكمة ، ومنحه النبوة ، وطوى هذا جمهور أهل التأويل ، أنه كان وليا ولم يكن نبيا .

(١) تفسير الطبري / ج ١٨ ص ٦٧ ، ٦٨ / الطبعة الثالثة / الحلبي وأولاده بمصر .

(٢) انظر / تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٣ / طبعة الحلبي وشركاه .

وقال بنهوت : عكرمة والشعبي . وعلى هذا ؛ تكون الحكمة : النبوة .

والصواب : أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى - وهي الصواب فسى
المعتقدات والفقه والدين والمقل - قاضيا في بني اسرائيل ، أسود مشقق
الرجلين ، ذا مشافر أي ؛ عظيم الشفتين ، قاله ابن عباس وغيره .

وروى من حديث ابن عمر قال ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : لم يكن لقمان نبيا ؛ ولكن كان عبدا كثيرا للتفكر ، حسن اليقين ، أحب الله
تعالى فأحبه ، فمنّ عليه بالحكمة ، وخيّرته في أن يجعله خليفة يحكم بالحسق ؛
فقال : رب ان خيرتني قبلت العافية وثركت البلاء ؛ وان عزمت عليّ فسمما وطاعة ،
فانك ستمصني ، ذكره ابن عطية .

وزاد الثعلبي ؛ فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم : لم يا لقمان ؟ قال :
لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يخشاه المظلوم من كل مكان ، ان يمن فبالحرى
ان ينجو ، وان أخطأ ؛ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا (فذلك)
خير من أن يكون فيها شريفا ، ومن يختار الدنيا على الآخرة ، تفتته الدنيا ولا يصيب
الآخرة . فمجبت الملائكة من حسن منطقه ، فنام نومة ، فأعطى الحكمة ، فأنته يتكلم
بها .

ثم نودي داود بمدّه فقبلها - يعني الخلافة - ولم يشترط ما اشترطه لقمان ،
فهوى في الخطيئة غير مرة ، كل ذلك يعفو الله عنه ، وكان لقمان يؤازره بحكمته
فقال له داود : طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى
داود الخلافة ، وابتلى بالبلاء والفتنة .

وقال قتادة : خير الله تعالى لقمان بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة
على النبوة ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم ، فذّر عليه الحكمة ، فاصبح
ينطق بها ، فقيل له : كيف اخترت الحكمة على النبوة ، وقد خيرك ربك ؟
فقال : انه لو ارسل اليّ بالنبوة عزيمة ، لرجوت فيها العون منه ، ولكنه خيرني
فخفت ان أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب اليّ . (١)

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن / للمقرطبي / ج ١٤ / ص ٥٩ ، ٦٠ /

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

والنقل / أعلام القراء لابن العربي / ص ٢ / ٤٩٥

"الترجيح"

من الروايات السابقة ، يتضح أن القول بنبوذة لقمان ، قول ضعيف ، لا يمكن الاعتماد عليه ، والاطمئنان اليه ، لا مورهى :-

١ - ضعف رواياته . فجميع تلك الروايات التى ذكرت أنه كان نبيا ، كلها ضعيفة .

٢ - أن الانبياء كانوا يبعثون فى احساب قومهم .

٣ - كون لقمان عليه السلام قد مسه الرق ، حيث صرحت بعض الروايات بمجهول بيته .

والذى تميل اليه النفس ، هل وتطمئن اليه ، هو القول بحكمة لقمان اى أنه كان حكيما بحكمة الله تعالى ، ووليا من أوليائه ، - والله اعلم - .

لا سيما وأن كثيرا من المفسرين ، يفسرون الحكمة بانها الصواب فى المعتقدات ، والفقه فى الدين ، والمقل ، والاصابة فى القول من غير نبوة ، والله اعلم .

الباب الثاني

في : " تفسير الآيات المتعلقة بلقمان "
" الواردة في سورة لقمان "
" وتحت ذلك فصول "

كنت اود ان يربط بين آيات الكتاب في سورة لقمان وفي تفسيرها
بمعناها - بعد ان صارت الواحدا والمرتبة التي ذكرت في بعض النسخ
ويوجد في بعض النسخ دالة من صراحة انهم في سورة لقمان
في السورة في السورة في السورة في السورة في السورة في
في السورة في السورة في السورة في السورة في السورة في

الباب الثاني

ويشتمل على تسعة فصول :

الفصل الأول :

في تفسير قوله تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد " .

ويتم ذلك في ضوء النقاط التالية :

- ١ - تفسير قوله سبحانه : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " .
- ٢ - الحديث عن الحكمة ، ويتضمن ذلك :-
تعريف الحكمة ، وبيان مضمونها ، واستقراؤها في الكتاب والسنة .
- ٣ - تفسير قوله سبحانه : " ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد " :-

وذلك في ضوء النقاط التالية :-

- أ - تفسير جزء الآية الكريمة الآنف الذكر .
- ب - بيان معنى الشكر وتوضيح ما يتضمنه الشكر ، وبم يتحقق .
- ج - بيان أن عقيدة التوحيد هي رأس الحكمة ، ويتضمن هذا :-
 - (١) بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم : " الحكماء " .
 - (٢) بيان الحكمة عند أهل الكتاب :-
 - أولا : عند اليهود .
 - ثانيا : عند النصارى .
 - (٣) بيان الحكمة في الاسلام .

من ملاحق : ٢٩ : ٢٠٠٠
هنا في وجه الاختار : ان هذا الطريق
محملة الفطري وهو باقون هناك
مع من فطره هذه هي بيانه في تكرار
شكر مرات ها وملاحق ، وملاحق
ولذا انما تترك الكتاب ذكر هذه الملاحق

الفصل الثانى :

فى تفسير قوله تعالى : " وان قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم " .

ويضمن ذلك بيان ما يلى :-

- ١ - بيان معنى الوعظ .
- ٢ - بيان سبب نزول قوله سبحانه : " ان الشرك لظلم عظيم " .
- ٣ - بيان قوله : " ان الشرك لظلم عظيم " :-

أ - هل هو من كلام لقمان ؟ .

ب - أم هو خبر من الله ، منقطع عن كلام لقمان ، متصل به فى تأكيد

المعنى ؟ .

٤ - بيان معنى الشرك .

الفصل الثالث :

فى تفسير قوله تعالى :-

" ووصينا الانسان بوالديه عطته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما فى الدنيا مصروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنهئكم بما كنتم تعلمون " .

ويتم ذلك فى ضوء النقاط التالية :-

- ١ - ايراد أهم الأقوال التى قيلت فى الآيتين الكريمتين ، ثم توجيه تلك الأقوال .

- ٣ - بيان معنى الوصية في اللغة .
- ٣ - بيان معنى الوصية في القرآن الكريم .
- ٤ - الانسان في القرآن الكريم ؛ -
ويتضمن ذلك مايلي :-
 - أ - المخلوق المسئول .
 - ب - الانسان الكائن المكلف .
 - ج - الانسان روح وجسد .
- ٥ - تفسير الآيتين الكريمتين .

الفصل الرابع : -

في تفسير قوله تعالى :-

" يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير " .

وذلك ببيان مايلي :-

- ١ - بيان ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى ، وأنه لا تخفى عليه خافية ، وذلك أخذاً من الآية الكريمة ، حيث اشتملت على صفتين :-
 - أ - صفة القدرة .
 - ب - صفة شمول علمه سبحانه .
- ٢ - تفسير الآية الكريمة .

الفصل الخامس :

فى ما يتعلق برأس العبادات البدنية :-

وذلك أخذاً من قوله تعالى : " يا بنى أقم الصلاة " .

ويتم البحث فى هذا الفصل فى ضوء النقاط التالية :-

- ١ - الصلاة مشروعة فى جميع شرائع الله تعالى ، ولا هميتها أمر لقمان بها ابنه .
- ٢ - منزلة الصلاة فى الاسلام .
- ٣ - فرضية الصلاة ، ومعناها لغة وشرعا .
- ٤ - معنى إقامة الصلاة .
- ٥ - الصلاة قوة خلقية ، تعود صاحبها الطاعة .
- ٦ - الصلاة طهرة للنفس من الآثام ، وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات .
- ٧ - الصلاة نظافة وتجميل .
- ٨ - فى الصلاة رياضة بدنية .

الفصل السادس :

فى تفسير قوله تعالى :-

" وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " .

ويتم البحث فى هذا الفصل فى ضوء النقاط التالية :-

- ١ - مدلول الأمر والنهى .
- ٢ - مدلول المعروف والمنكر .
- ٣ - الحد الفاصل بين المعروف والمنكر .
- ٤ - حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

- ٥ - أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٦ - أيهما يقدم ؟ الأمر بالمعروف أم النهي عن المنكر ؟ .
- ٧ - هل الأمر بالمعروف يمتثل نهياً عن المنكر ؟ وبالعكس ؟ أم أن كلا منهما مستقل ؟ .
- ٨ - مراتب كل منهما .
- ٩ - اثر القيام بهما والتقصير في أدائهما .
- ١٠ - تفسير جزء الآية الكريمة .

الفصل السابع :

في تفسير قوله تعالى :-

"واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور" .

سأبحث هذا الجزء من الآية الكريمة في ضوء النقاط التالية :-

- ١ - معنى الصبر .
- ٢ - أنواع الصبر .
- ٣ - الصبر نصف الايمان .
- ٤ - ذكر بعض أسماء الصبر، بالإضافة الى متعلقه .
- ٥ - مراتب الصبر .
- ٦ - تفسير جزء الآية الكريمة .

الفصل الثامن :

في تفسير قوله تعالى :-

" ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور".

تدور هذه الآية حول عنصرين هامين هما :-

أ - ذم الكبر .

ب - مدح التواضع .

ويتم البحث فيها على النحو الآتي :-

- ١ - معنى التصغير .
- ٢ - معنى الخد .
- ٣ - معنى المرح .
- ٤ - ليس المراد حصر الكبر في المشي ، بل له صور أخرى .
- ٥ - دخول النفي على صيغة العموم .
- ٦ - معنى الاختيال والفخور .
- ٧ - مقتضى النهي .
- ٨ - مفهوم النهي في هذا الموضع وهو : " التواضع " .
- ٩ - حقيقة الكبر وذمه .
- ١٠ - علة ذلك وهو أن الكبر لله وحده .
- ١١ - مع المفسرين .

الفصل التاسع :-

في تفسير قوله تعالى :-

"واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" .

ويتم البحث في هذه الآية الكريمة على النحو الآتي :-

- ١ - معنى القصد .
- ٢ - معنى النقص .
- ٣ - معنى التعقيب بقوله : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " .
- ٤ - الحكمة في القصد ونقص الصوت .
- ٥ - تفسير الآية الكريمة .

سنة الحرم سنة
هذه الحرم ومكة ومكة

الفصل الأول

الحكمة

في تفسير قوله تعالى : " ولقد آتينا لقمان أن اشكر لله ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد "

ويتم ذلك في ضوء النقاط التالية :-

- ١ - تفسير قوله سبحانه : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " .
- ٢ - الحديث عن الحكمة ويتضمن ذلك :-
تعريف الحكمة ، وبيان مضمونها واستقراؤها في الكتاب والسنة .
- ٣ - تفسير قوله سبحانه : " ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن
كفر فان الله غني حميد " .

وذلك في ضوء النقاط التالية :-

- ١ - تفسير جزء الآية الكريمة الآنف الذكر .
- ب - بيان معنى الشكر ، وتوضيح ما يتضمنه الشكر ، وم يتم تحقيق .
- ج - بيان ان عقيدة التوحيد هي راس الحكمة : ويتضمن هذا :-
 - ١ - بيان الحكمة عند من أطلقوا على انفسهم " الحكماء " .
 - ٢ - بيان الحكمة عند أهل الكتاب :-
 - أولا : عند اليهود .
 - ثانيا : عند النصارى .
 - ٣ - بيان الحكمة في الاسلام .

ما يطلب ، ولا من فاضله . فبعضها : العلم بها : علم لا ينفع ، وجهل لا يضر ،
وبعضها : يعرض العلم بها ، الى مقت الله ، كالسحر حين يستغل للضرر .
وقوله : " بافضل العلوم " : يشير الى أن الحكمة ، ما استخدمت فيها ، أفضل
الوسائل . فالوسائل متفاوتة ، بعضها أفضل من بعض ، فالوصول بالحيطة أو
الكذب أو النفي ، وصول بخير الحكمة ، لأن هذه الأشياء ليست من افضل العلوم .
وأفضل العلوم والوسائل : هي الشرعية التي قررها الشارع الحكيم .

وقال الطبري :

الحكمة : هي : الفقه في الدين والعقل والاصابة في القول .
وعزا ذلك الى مجاهد . وعن قتادة : الحكمة : الفقه في الاسلام . (١)
واری أن ما نقله الطبري ، نظر من نقل عنهم ، الى شيء من مضمون الحكمة ،
فالفقه في الدين أو الاسلام ، أو اصابة الحق ، لا ريب ان كل هذا مما يندرج
تحت مضمون الحكمة .

وقال ابن كثير :

الحكمة : هي الفهم والعلم والتعبير . (٢)

واری ان هذا ، قد ألم بكل جوانب الحكمة ، من فهم وعلم وتعبير ، لانه نظر الى
قوة الشخص الذي أوتي الحكمة ، فلاحظ قدرته على اصابة الحق بفهمه الحسن
وسعة أفقه بعلمه الواسع ، وقدرته على تصوير فهمه وعلمه بالتعبير الحسن .

(١) انظر / جامع البيان عن تاويل آي القرآن / للطبري / ج ٢١ / ص ٦٧ /

الطبعة الثالثة ٨٨ هـ ٦٨٠ م .

(٢) انظر / تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٤ / طبعة

البابن الحلبي وشركاه .

وقال : عند قوله تعالى : " يوتي الحكمة من يشاء " ومن يوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا " : قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ، يعني المصرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه وامثاله .

وروى جويهر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا : الحكمة : القرآن ، يعني : تفسيره . قال ابن عباس : فانه قد قرأه البر والفاجر " رواه ابن مردويه . وقال ابن ابي نعيم : يعني بالحكمة : الاصابة في القول . (١)

فانت ترى اختلاف النظر الى مضمون الحكمة ، فمضمون من يخصصها بتفسير القرآن . وهذا من الحكمة بلا شك . ومضمون من ينظر الى مطلق الاصابة في القول . وهو ان طابق الواقع كان من الحكمة .

ومن نظر الى بعض محتويات القرآن : اختار أن الحكمة : معرفة المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمقدم والمؤخر الخ . وهذا لا شك من الحكمة لأنه فيه فهما لمواقع كلمات القرآن .

واستطرد قائلا : قال أبو العالية : الحكمة : خشية الله . (٢) ولا شك أن خشية الله من أعلى الحكمة ، لأن الحكمة منفعة ومصلحة ، تعود على صاحبها ، ولا أنفع من خشية الله للعبد . ويؤيده ما روى عن ابن مسعود مرفوعا : " رأس الحكمة مخافة الله تعالى " . (٣)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / ج ١ / ص ٣٢٢ / طبعة البابي الحلبي وشركاه .

(٢) انظر تفسير ابن كثير / ج ١ / ص ٣٢٢ / طبعة البابي الحلبي وشركاه .

(٣) انظر / نوار الاصول / للحكيم الترمذي / ص ٧١ / المكتبة الحليمية بالمدينة المنورة .

وذكر أيضا عن أبي مالك . قوله : الحكمة : السنة . (١)

ولا شك أن الحكمة تأتي بمعنى السنة ، ويؤيد ذلك كثير من الآيات
القرآنية .

من ذلك قوله تعالى : في سورة البقرة : " يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويذكّهم " . الآية ، رقم الآية " ١٢٩ " . فقد فسرت الحكمة هنا
بمعنى السنة . وكذلك قوله تعالى : " واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم
من الكتاب والحكمة " الآية سورة البقرة / ٢٣١ . وكذلك قوله تعالى : " وأنزل
الله عليكم الكتاب والحكمة وعظمك ما لم تكن تعلم " النساء / ١١٣ .
فقد فسرت الحكمة في هذه الآيات بمعنى السنة .

كما أخرج أيضا عن مالك أن زيد بن أسلم قال : الحكمة : العقل . (٢)

وأرى أن مثل هذا القول يمكن رده إلى كون القائل قد نظر إلى مصدر
الحكمة أو إلى ما تدرك به الحكمة ، لأن الحكمة قد يدركها العقل السليم .
ولا ريب أن العقل يحوّل عليه في كل تصرف يقوم به صاحبه .

ويقرب من هذا المعنى . ما أخرجه ابن كثير عن مالك حيث يقول : " وأنه
ليقع في قلبي أن الحكمة ، هو : الفقه في دين الله ، وأمر يدخله الله فسي
القلوب من رحمته وفضله . وما يبين ذلك . أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا
إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه ، عالم بأمر دينه ، بصيرا به ، يؤتاه
الله إياه ويحرمه هذا ، فالحكمة : الفقه في دين الله " . (٣)

(١) انظر / تفسير ابن كثير / ج ١ / ص ٣٢٢ / طبعة الحلبي وشركاه .

(٢) انظر / تفسير ابن كثير / ج ١ / ص ٣٢٢ / طبعة الحلبي وشركاه .

(٣) المرجع السابق / ص ٣٢٢ .

لأن الفقه في دين الله من أعلى ما يدركه القلب والعقل ، وإذا كانت
الحكمة تحمل معنى المنفعة ، فلا منفعة خير من الفقه في دين الله .

" ومنهم من يرى أن الحكمة هي النبوة " . (١)

وهي كذلك من أعلى مراتب الحكمة التي يمنحها الله لمن يختار من عباده ، قال
تعالى : - " الله أعلم حيث يجعل رسالته " سورة الانعام / آية : ١٢٤ .

وقد استطرد ابن كثير ، حيث قال : والصحيح أن الحكمة كما قاله

الجمهور : —————

لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها ، وأعلها النبوة والرسالة أخس . ولكن

لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع ، كما جاء في بعض الأحاديث : -

" من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه " (٢) رواه وكيع

ابن الجراح في تفسيره عن اسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر .

وفي حديث آخر عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فمطّطه على هلكته في

الحق ، ورجل آتاه الله حكمة - وفي بعض روايات الصحيح : الحكمة : بالتحريف -

فهو يقضى بها ويعلمها " .

وهكذا رواه البخاري (٣) ومسلم (٤) والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن

(١) المرجع السابق / ص ٣٢٢ .

(٢) سنن ابن ماجه .

(٣) انظر / صحيح البخاري / ج ٩ ص ١٠٤ / باب تنفي القرآن والعلم /

كتاب التنص / دار مطابع الشعب .

(٤) انظر / الجامع الصحيح / للإمام مسلم / ج ٢ / ص ٢٠١ / باب فضل

اسماعيل بن ابي خالد" (١).

والحقيقة ان راي الجمهور هنا ، هو الراجح في نظري ، لان الحكمة اعم من ان تقصر على شيء دون شيء ، او على شخص دون شخص ، فلو قصرناها على الانبياء لكان في هذا مجانبية للصواب وبعد عن السداد ، ولو قصرناها على غير الانبياء - باعتبار ان الانبياء يطلقون الوحي من الله تعالى ، ويعلمون بحقتضاه فهم معصومون - لكان في هذا بعد عن الحق والقول السديد .

وهذا يتناسب مع ما اشار اليه القرطبي ، بعد ذكر معظم الاقوال السابقة في الحكمة ، حيث اشار الى انها مصادر من مصادر الاحكام وهو الاتقان ، فسي قول او فعل ، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس ، فكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمه ، وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة ، واصل الحكمة ما يمتنع به من المنسفة ، وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم ، وفي البخاري : " من يرد الله بن خيرا يققه في الدين " (٢) . (٣)

اما الالوسي فقد تطرق لكثير من الاقوال السابقة في الحكمة و اضاف الى ذلك اقوالا اخرى ومما زاده ما يلي :

== من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه او غيره فعمل بهما وعظمها / القاهرة / ١٣٨٣ هـ .

(١) انظر / تفسير ابن كثير / ج ١ / ص ٣٢٢ / طبعة البابي الحلبي وشركاه .

(٢) انظر / صحيح البخاري / ج ١ / ص ٢٧ ، ٢٨ / باب من يرد للخلق خيرا يققه في الدين / كتاب العلم .

(٣) انظر / الجامع لاحكام القرآن / للقرطبي / ج ٣ / ص ٣٣٠ / الطبعة

الثالثة / ٨٧ هـ ، ٦٧ م / دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

قال في رواية عن مجاهد ، أن الحكمة : العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته . (١)

ومما لا شك فيه أن العلم العظيم النفع ، النجلى الفائدة ، يعتبر من الحكمة ، ولكن يجب أن ينظر الى هذا بصفته شاملا لجميع أنواع العلوم التي ينطبق عليها التعريف الآنف الذكر ، والا كان هذا دالا على بعض مضمون الحكمة التي هي الجنس ، كما سبق وان ذكرت ذلك .

ثم استطراد بعد ذلك قائلا : وقال أبو عثمان : هي نور يفرق به بين الوسواس والالهام .

وذكر أيضا عن الراغب الاصفهاني قال : هي معرفة الموجودات وفعل الخيرات . وقال الامام (٢) : هي : عبارة عن توفيق المصل بالعلم ، ثم قال : وان أردنا تحديدا بما يدخل فيه حكمة الله تعالى . فنقول : حصول العلم على وفق المعلوم .

وذكر عن أبي حيان قوله : الحكمة : هي المنطق الذي يتمظ به ويتقنه ويتناقله الناس لذلك . (٣)

وصاحب هذا القول : كانه يشير الى جانب من جوانب الحكمة ، وهو : المنطق المستقيم والعبارة الجذلة السهلة ، كما قال الجاهظ :

(١) انظر / روح المعاني / للألوسي / ج ٣ / ٤١ / دار احياء التراث العربي / لبنان .

(٢) قوله : الامام : أي الفخر الرازي .

(٣) انظر : روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ٨٣ / دار احياء التراث العربي / لبنان .

" واحسن الكلام ما يكون جذلاً سهلاً لا ينفلق معناً ولا ينهم مخزاً". (١)

وفى طباع الناس ، انهم لا يتناقلون من العبارات ، الا ما له صلة بحياتهم ، ولما كانت الحكمة فى هذا القول ، منطق يثعظ به ، تناقله لا محالة - ارباب القلوب الذين يتناقلون المواعظ الحكيمة .

ثم استطرد الالوسى بعد ذلك قائلاً عن الحكمة : وقيل : هى اتقان الشئ ، علماً وعملًا". (٢)

وهذا منظور فيه الى صاحب الحكمة ، والى نفس الحكمة ، فلا بد ان يكون صاحب الحكمة ملقناً ، كما قيل عن على رضى الله عنه : - " قيمة الانسان بما يحسن". (٣)

ونظر ايضا الى نفس الحكمة ، وهى ان تكون من اعلى درجات الاتقان فى العلم والعمل ، ليخرج : العلم المشوه ، والعمل الناقص ، فليسا من الحكمة .

وقال أيضا : وقيل : الحكمة : كمال حاصل باستكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الطهارة التامة ، على الأعمال الفاضلة على قدر طاقتها". (٤)

وصاحب هذا القول ، ينظر الى اثر الحكمة فى النفس الانسانية وهو كمالها ، فعلم الحكمة فى النفس اكمالها ، ليصير من يتصف بها ، كامل النفس ، رشيد التصرف .

(١) انظر : رسائل الرافعى / لآبى ربه / ص ٩٣ .

(٢) انظر : روح المعاني / للالوسى / ج ٢١ / ٨٣ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

(٣) انظر : تاريخ ابن خلدن / ص ٢١٨ / الطبعة الثانية / بيروت / ١٩٦١ .

(٤) انظر : روح المعاني / للالوسى / ج ٢١ / ٨٣ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

وقد عبر العلماء عن مراتب العقل ومراحل تكوين النفس لتصير كالمسـ

فقالوا : - مراتب العقل أربعة :-

١ - الاستعداد المحض لأدراك المقولات . وهذا موجود في الطفل المميز .

٢ - العقل بالطبقة : وهو العلم بالضروري ، واستعداد النفس لاكتساب

النظر منه .

٣ - العقل المستفاد : وهو استنباط النظري من الضروري .

٤ - العقل بالفعل : وهو ان يحضر عنده النظريات التي ادركها بحيث

لا تغيب . (١)

وصاحب هذا : هو : الرشيد والحكيم . وما لم يبلغ تلك الدرجة ظن يبلغ

مرتبة الحكمـة .

" والعقل الذي يخاطبه الاسلام : هو العقل الذي يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق

ويميز بين الامور المتشابهة ويوازن بين الاضداد " . (٢)

ونذكر الالوسي أخيرا :

أن الحكمة فسرهما كثير من الحكماء ، بمعرفة حقائق الاشياء على ما هي عليه ،

بقدر الطاقة البشرية " . (٣)

" وذلك لأن العالم مصبوغ ، بأخيلة النفس الوهمية ، التي نفخت عليه ألوان

(١) انظر / المواقف / للایجی / ج ٦ / ص ٤٣ : ٤٦ بتصرف .

(٢) انظر / التفكير فريضة اسلامية / للمقاد / ص ٧ .

(٣) انظر / روح المعاني / للالوسي / ج ٢١ / ص ٨٣ / دار احياء

التراث العربي / لبنان .

الجنة ، فافسده بهذا التمويه ، وترك أهله يتكذبون في اوصافه فيخطئون فسي
فهم حقائقه ، وقد جعلته كالقمر ، هو في ذاته ، حجر مظلم ولكن ذهب الشمس
يجعله كله فضة بيضاء" . (١)

والله عز وجل يقول : " وما الحياة الدنيا الا متاع الزور " (٢) والموفق
من آراه الله الأشياء على حقيقتها ، حتى لا ينخدع بمظاهرها الجذابة ، التي
تحمل في ظاهرها الرحمة ، وتخفي في باطنها العذاب .

وعليه فالحكمة رؤية الاشياء من غير تمويه ولا خداع .

اما الفخر الرازي : فقد ذكر ان المراء من الحكمة احدث أمرين :

أولهما : الحلم .

ثانيهما : فعل الصواب .

ثم أخذ في بيان ذلك كما يلي :

يروي عن مقاتل أنه قال : تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : مواعظ القرآن ، ويدل على ذلك قوله تعالى : " وما أنزل عليكم من

الكتاب والحكمة يحظكم به " الآية . البقرة / آية ٢٣١ / يعني مواعظ

القرآن .

وقوله تعالى في سورة النساء / آية ١١٣ / " وأنزل الله عليك الكتاب

والحكمة " الآية يعني المواعظ .

(١) انظر : أوراق الورد للرافعي / ص ٥

(٢) سورة آل عمران - آية ١٨٥ .

وقوله تعالى في سورة آل عمران / آية ٤٨ / " ويعلمه الكتاب والحكمة"
الآية .

ثانيها : الحكمة بمعنى الفهم والعلم .

ومنه قوله تعالى في سورة مريم / آية ١٢ / " وآتيناه الحكم صبيا" الآية .
وقوله تعالى في سورة لقمان / آية ١٢ / " ولقد آتينا لقمان الحكمة"
الآية بمعنى الفهم والعلم .

وقوله تعالى في سورة الأنعام / ٨٩ / " أولئك الذين آتيناهم الكتاب
والحكم" الآية .

ثالثها : الحكمة بمعنى النبوة . :

ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة النساء / آية ٥٤ / " فقد آتيناه
آل ابراهيم الكتاب والحكمة" الآية بمعنى النبوة .
وقوله تعالى في سورة " ص" / آية ٢٠ / " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب"
يعنى النبوة .

وقوله تعالى في سورة البقرة / آية ٢٥١ / " وآتاه الله الطك والحكمة"
الآية .

رابعها : القرآن بما فيه من عجائب الأسرار :-

يوئيد ذلك قوله تعالى في سورة النحل / آية ١٢٥ / " أدع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" الآية .

وقوله تعالى في سورة البقرة / آية ٢٦٩ / " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا" الآية . (١)

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى / ج ٢ / ٦٧ / بتصرف يسير .

وانا أمعنا النظر في هذه الوجوه الأربعة ، نجد ها عند التحقيق
ترجع الى شىء واحد هو العلم ، لأن العلم ليس له نهاية معروفة ، ولا حدود
معينة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : " وما أوتيتم من العلم الا قليلا " . سورة
الاسراء / آية ٨٥ .

فمهما بلغ الانسان من العلم ومهما علم فانه لا يزال يجهد أشياء كثيرة وكثيرة
جدا .

كما يؤيد ذلك من السنة المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم : " وكفى بالمرء
جهلا أن يعجب بعلمه " ^(١) وقد قيل : " من ظن يوما أنه قد علم فقد جهل " .
والله سبحانه وتعالى سمى الدنيا بأسرها قليلا ، فقال جل ذكره : " قل متاع
الدنيا قليل " سورة / النساء / آية ٣٧ - كما قال سبحانه : " وفوق كل ذي علم
عليم " سورة / يوسف / آية ٢٦ . وقال عن الحكمة : " ومن يوءت الحكمة
فقد أوتى خيرا كثيرا " سورة البقرة / آية ٢٦٩ .

وانا تأملنا مقدار هذا القليل وضالته ، عرفنا عظمة ذلك الكثير ، لا سيما
وأن البرهان الحلقى يطابق ذلك ، لأن الدنيا متناهية المقدار ، كما أنها متناهية
المدة . أما العلوم التي هي الحكمة ، فلا نهاية لمراتبها وعدد ها ولا لمدة بقائها
والسعادة الحاصلة منها . وهذا يبين لنا بوضوح فضيلة العلم ومكانته العالية
" عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج في طلب
العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " ^(٢) . هذا حديث حسن غريب .

(١) انظر / سنن الدارمي / المقدمة / ص ٣٠ .

(٢) انظر الجامع الصحيح للترمذي / ج ٤ ص ١٣٧ / باب فضل طلب العلم .

" أما الحكمة بمعنى فعل الصواب : ففيل في حدها : انها التخلق
باخلاق الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" . (١)

وتعريف الحكمة بهذا المعنى ، لا يكون تعريفا شاملا وانما هذا بعض
مضمون الحكمة لأن الحكمة أعم وأشمل من أن تقتصر على فعل الصواب . وان كان
هذا في حد ذاته ، أمرا مهما .

وقد أشار الرازي بعد ذلك الى أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين
المعنيين السابق ذكرهما ، لأن كمال الانسان في شيئين : هما :-

- ١ - أن يعرف الحق لذاته . ومرجع هذا الى العلم والادراك المطابق .
- ٢ - معرفة ذلك لأجل العمل به . ومرد هذا الى فعل العدل والصواب .

والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم كما يلي :-

أ - ما حكى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : " رب هب لى
حكما " فهذا الجزء من الآية هو الحكمة النظرية .

وقوله تعالى : " وألحقنى بالصالحين " وهذا الجزء هو الحكمة العملية .

ب - عند مناداة الحق تعالى لموسى عليه السلام ، فقال جل ذكره : " اننى

أنا الله لا اله الا أنا " فهذا الجزء هو الحكمة النظرية .

ثم قوله تعالى بعد ذلك : " فاعبدنى " وهو الحكمة العملية .

ج - ما قاله الحق تبارك وتعالى في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :-

" فاعلم أنه لا اله الا الله " وهو الحكمة النظرية .

(١) التفسير الكبير / للرازي / ج ٧ / ص ٦٨ .

ثم قوله سبحانه بعد ذلك : " واستغفر لذنبك " . وهو الحكمة العطية .

د - قوله جل ذكره في حق الأنبياء : " ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا " وهو الحكمة النظرية .
ثم قوله بعد ذلك : " فاتقون " وهذا هو الحكمة العطية . (١)

٣ - تفسير قوله سبحانه : " أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غلي حديد " .

أ - تفسير جزء الآية الكريمة الآنف الذكر :

أن :

غلي حديد " أن " هنا تحتل ثلاثة أوجه :-

الوجه الاول : أن تكون مفسرة بمعنى : أى . (١) وطيه : فتكون الحكمة التى أوتيها لقمان : هى : شكر الله تعالى .

وأرى أن هذا تضيق فى معانى الحكمة التى أوتيها . فهى أعم من الشكر . ولا شك . أن " أن " توافرت فيها الشروط الواجب توافرها فى " أن " المفسرة وهى :-

(١) أن تكون مسبقة بجطة .

(٢) أن تكون بعد ها جطة .

(٣) ألا تكون الجطة السابقة مشتطة على القول ، بل هى فى معنى القول . (٢)

(١) المرجع السابق / ج ٢ / ٦٨ .

(٢) انظر / الاتقان فى علوم القرآن / للسيوطى / ج ١ / ص ١٥٦ / المكتبة

التجارية الكبرى / بيروت / لبنان . و / انظر / مغنى اللبيب / لابن

هشام / ج ١ / ص ٢٧ فما بعدها / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(١) انظر : البيان فى تفسير القرآن / لشيخنا الحبيب / ١٤٠٢ / نشر (المعهد العلمى) / لبنان

مكتبة المطابع / بيروت / ١٤٠٢ / ١٤٠٢ / ١٤٠٢

الوجه الثاني :

١٧ أن تكون مصدرية ، حذف منها حرف الجر والتقدير : " بأن اشكر لله " ، حيث تدخل " أن " المصدرية على الفعل المضارع والماضي والأمر . وعليه فتكون الآية : " ولقد آتينا لقمان الحكمة بأن اشكر لله " . والمعنى على هذا : أنه أوجب عليه الشكر نظير ما أعطاه الله الحكمة .

الوجه الثالث :

أن تكون مخففة من الثقيلة ، على أن تضمن الحكمة ، معنى العلم اليقيني الذي يشترط توافره ، عند " أن " المخففة ، نحو : " علم أن سيكون منكم مرضى " (٢) . والمعنى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة أنه اشكر لله " . فالحكمة على هذا : هي : العلم اليقيني . والله أعلم .

قوله : " اشكر " : فعل أمر .

وقد ذكر الطبري في تفسيره : أن قوله تعالى : أن اشكر " : ترجمة عن الحكمة لأن من الحكمة التي كان أوتيها " كان شكر الله على ما آتاه " (٣) .

والطبري هنا فيما يبدو أخذ بالقول الذي يجعل " أن " مفسرة ، حيث ذكر

(١) انظر / الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي / ج ١ / ١٥٦ / المكتبة التجارية

الكبرى / بيروت / لبنان . و / انظر / مغنى اللبيب لابن هشام / ج ١

ص ٢٧ فابعد ها / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) انظر / الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي / ج ١ / ص ١٥٦ / المكتبة

التجارية الكبرى / بيروت / لبنان . و / انظر / مغنى اللبيب / لابن هشام

ج ١ / ص ٢٧ فابعد ها / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٣) تفسير الطبري / ج ٢١ / ٦٨ .

١٨ أيضاً : نسخة المخطوطات رقم ١٨٢ / ٢ / مكتبة جامعة القاهرة

أن قوله تعالى : " أن اشكر " ترجمة عن الحكمة ، لكن آخر عبارته توحي بعدم حصر
المعنى على ذلك ، بل يجعل من الحكمة ، شكر الله . وأنا أميل الى هذا ، لأن
الحكمة أعم من أن تحصر في الشكر ، وإن كان شكر الله من أهم الأشياء .

أما الرازي :-

فيرى أن : " أن " في مثل هذا تسمى بالمفسرة ، وذكر أن الله فسرايتاء الحكمة
يقوله : " أن اشكر لله " ، ثم دلل لذلك : بأن العمل الموافق للعلم من الحكمة ،
أما غير ذلك ، فليس من الحكمة في شيء " . (١)

وأرى أن في هذا تضيقا لمعنى ايتاء الحكمة ، والأفضل عندى أن يكون :
من ايتاء الحكمة ، شكر الله ، لكن تشطل الحكمة شكر الله وغيره ، والله أعلم .

قال تعالى : " ومن يشكر فانما يشكر لنفسه " :

يشير المولى تبارك وتعالى في هذا الجزء من الآية الكريمة ، الى ان العبد عندما
يشكر الله ، فانما يستفيد هو وحده من شكره ، ويعود عليه وحده نفع ذلك الشكر ،
لأنه سبحانه في غنى عن شكر الخلق وانما تعبد هم بذلك - وهو حقيق به سبحانه .

وكذلك الحال بالنسبة للكفر ، فان المتضرر منه هو صاحبه فقط ، وعليه وحده

يعود وبال كفره ، يقول تبارك وتعالى : " ومن كفر فان الله غنى حميد " فالكفر لا
يرجع ضرره الا على صاحبه . والله سبحانه وتعالى ، غنى عن الخلق أجمعين ، لا تنفعه
طاعة المطيع ، كما لا تضره معصية العاصي .

(١) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج ٢٥ / ١٤٥ . بتصرف يسير .

يشير الى ذلك ما رواه أبوذر عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما روى عن

الله تبارك وتعالى أنه قال :

يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي
لكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهلكم ، يا عبادي لكم جائع الا من أطعمته
فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي لكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي
انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم ،
يا عبادي انكم لن تبلفوا ضري فتضروني ، ولن تبلفوا نفعي فتنفعموني ، يا عبادي
لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك
في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب
رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وانسكم وجنكم ، قاموا في صحيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ، ما نقص
ذلك مما عندي الا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر . يا عبادي انما هي أعمالكم
أحصياها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن الا نفسه" . (١)

فالله سبحانه وتعالى ، ليس بحاجة الى شكر أحد من خلقه ، كما أنه لا يتضرر

بكفر أحد هم حتى ولو كان جميع الخلق على أفجر قلب واحد منهم .

وهو سبحانه في نفسه محمود ، وحقيق بالحمد والشكر والثناء على الدوام ، سواء
شكره الناس ، أو لم يشكروه .

(١) انظر / الجامع الصحيح / للإمام مسلم / ج ٨ / ص ١٧ / باب تحريم

الظلم / كتاب البر والصلة والآداب / منشورات المكتب التجاري للطباعة

والنشر والتوزيع / بيروت .

وقد ذكر الرازي بعد ذلك بعض المسائل واللطائف في الآية كما يلي :-

أولا : فسر الله ايتاء الحكمة ، بالأمر بالشكر ، لكن الكافر والجاهل مأموران بالشكر فينبغي أن يكون قد أوتي الحكمة .

والجواب : أن قوله تعالى : " أن اشكر " : أمر تكوين ، معناه : آتينا الحكمة ، بأن جعلنا من الشاكرين ، وفي الكافر الأمر بالشكر ، أمر تكليف .

ثانيا : قال في الشكر : " ومن يشكر " : بصيغة المستقبل ،

وفي الكفران : " ومن كفر فان الله غنى حميد " : بصيغة الماضي . وان كان

الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد ، كقول القائل : من

دخل دارى فهو حر ، ومن يدخل دارى فهو حر .

فنقول : فيه اشارة الى معنى ، وارشاد الى أمر ، وذلك :

أن الشكر ، ينبغى أن يتكرر فى كل وقت ، لتكرر النعمة ، فمن شكر ينبغى

أن يكرر ، والكفر ينبغى أن ينقطع . فمن كفر ينبغى أن يترك الكفران ،

ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكماله ، بل أبدا يكون منه شئ فى الحدم

يزيد الشاكر ادخاله فى الوجود ، كما قال تعالى : " رب أوزعنى أن أشكر

نعمتك ^(١) وكما قال تعالى : " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ^(٢) .

فأشار اليها بصيغة المستقبل ، تنبيهها على أن الشكر بكماله لم يوجد ،

واما الكفران فكل جزء يقع منه تاما ، فقال بصيغة الماضي . ^(٣)

(١) سورة الاحقاف - آية : ١٥ .

(٢) سورة ابراهيم - آية : ٣٤ .

(٣) التفسير الكبير / للفخر الرازى / ج ٢٥ / ص ١٤٥ .

"وقد أشار الألوسي عند هذا المعنى بقوله : " ان صيغة المضى فى الكفر
اشارة الى قبح الكفران ، وأنه لا ينبغى الا أن يحد فى خبركان ، وقيل :
اشارة الى أنه كثير متحقق بخلاف الشكر" . (١)

ثالثا : قال تعالى هنا : " ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر . . . " الآية .
فهنا ورد تقديم الشكر على الكفران .
وقال سبحانه فى سورة الروم : " من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون " . وهنا ورد تقديم الكفران على الشكر .

فنقول :

كان الذكر فى سورة الروم للترهيب ، لقوله تعالى من قبل : " فأقم وجهك للدين
القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدّعون " .

أما الذكر هنا فى آية لقمان ، فهو للترغيب ، لأن وعظ الأب لابن يكتسبون
بطريق اللطف والوعد .

وقوله سبحانه : " ومن عمل صالحا " يحقق ما ذكرنا أولا ، لأن المذكور فى سورة
الروم ، لما كان بعد اليوم الذى لا مرد له ، تكون الأعمال قد سبقت ، فقال بلفظ
الماضى " ومن عمل " .

وههنا لما كان المذكور فى الابتداء قال سبحانه " ومن يشكر " بلفظ المستقبل .
وقوله : " ومن كفر فان الله غنى " عن حمد الحامدين ، حميد فى ذاته من غير حمد هم
وانما الحامد ترتفع مرتبته بكونه حامدا لله تعالى " . (٢)

(١) روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ٨٤ . بتصرف يسير .

(٢) انظر / التفسير الكبير / للرازي / ج ٢٥ / ١٤٦ .

ب : بيان معنى الشكر وما يتضمنه وهم يتحقق :-

اعلم أن الشكر يتضمن ثلاثة أمور ، لا يتحقق بدونها ، هي :-
الأمراول : العلم .

” الثاني : الحال المستعدة من أصل المعرفة .

” الثالث : العطل .

وتوضيح ذلك ، ما يلي :-

أولا : العلم :

فمن لم يعلم ، لم يشكر ، ولا يتصور منه الشكر ، والعلم هنا ، يتضمن ثلاثة

أشياء :-

(١) عين النعمة .

(٢) وجه كونها نعمة في حقه .

(٣) ذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ، ويصدر الانعام منه عليه .

أما انه لا بد من العلم بالنعمة ، فلأن الشكر في مقابلتها ، ومن لم يعلم
النعمة لم يشكر .

وأما أنه لا بد من العلم بوجه النعمة في حقه ، فلأن من لم يعلم بذلك ، فقد جهل
النعمة ، ومن جهلها لم يشكر عليها .

وأما أنه لا بد من العلم بالمنعم وصفاته التي تم بها الانعام ، فلأنه من لم يعلم
بذلك لم يشكر ، لأن الشكر يتضمن شاكرا ومشكورا وشكرا . فمن لم يعلم بمن يشكره
فكيف يشكر ؟ !

ومن هنا تضمن الشكر ، التوحيد ، فشكر الله يقتضي توحيد ه . لأنه لا بد فيه

من العلم بالمنعم وصفاته ، وذلك العلم هو التوحيد ومعرفة ذلك ، عين الشكر^(١).

ثانيا : الحال المستمدة من أصل المعرفة

وهذا الحال ، هو الفرح بالمنعم عند النعمة ، مع هيئة الخضوع والتواضع لكن هذا لا يكون شكرا الا بشرط ، وهذا الشرط هو أن يكون الفرح بالمنعم ، لا بالنعمة ولا بالانعام .

وتفصيل ذلك : أن هذا الفرح يحتوى على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى :

أن ينصب فرح المنعم عليه ، على النعمة فقط ، ويقصر نظره عليها لموافقتها رغبته ، وغرضه ولذته ، فهذه الدرجة لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا ، بل هو بعيد عنها .

الدرجة الثانية :

أن ينصب الفرح على المنعم ، لا من حيث ذاته ، ولكن من حيث عنايته بالمنعم عليه وشفقته به ، وهذه الحال داخلية فى معنى الشكر بلا شك . وهذا هو حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه ، خوفا من عقابه ، ورجاءا لثوابه .

أما الدرجة الثالثة :

فهى الدرجة العليا والمنزلة الرفيعة ، لانصباب الفرح فيها الى ذات المنعم وحده ، واغفال ما سوى ذلك ، لأن المنعم عليه ، يحصر فرحه فى كون النعمة

(١) احياء علوم الدين / للفضالى / ج ٤ / ٨١ : ٨٣ . اقتباس بتصرف .

طريقا الى الله ، وحافزا على مرضاته ، وحاجزا له عن معصيته وغضبه .

وهذا حال من ينظر الى الدنيا نظرة واحدة ، وهي كونها مزرعة للآخرة فقط . لذلك تجده يغمه الحزن عندما يقع في نعمة تلهيه عن الله وعن طاعته ورضوانه .

وهذه المنزلة لا يدركها من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات ، وخلا عن لذة القلب . لأن القلب المعلق بالآخرة ، لا يلتذ الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه ، أما اذا مرض بسوء العادات - والعيان بالله - فانه لا يجد لذلك طعما ، بل ربما استبشع ذلك واستقبحه ، كاستبشاع المريض للأشياء الحلوة ، واستحلائه للأشياء المرة . كقول الشاعر :

ومن يك ذا قم مر مريض يجد مرا به الماء الزلا (١)

ثالثا : العمل بموجب الفرج الحاصل من معرفة المنعم :

وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح :-

أما بالقلب : فقصده الخير واضماره لكافة الخلق .

وأما باللسان : فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه .

وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى ان شكر الحمينين ، أن تستر كل عيب تراه لمسلم ، وشكر الأذنين ، أن تستر كل عيب تسمعه فيه ، فيدخل هذا في جلة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، وكذلك الشكر باللسان . لإظهار الرضا عن الله

(١) المرجع السابق / ص ٨٣ ، ٨٤ ، بتصرف .

تعالى ، وهو مأثور به ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل : كيف أصبحت ؟ قال : بخير . فأعاد صلى الله عليه وسلم ، السؤا ل عليه ، حتى قال فى الثالثة : بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم : هذا الذى أردت منك * . (١)

وكان السلف يتساعلون ، ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ، ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا ، وما كان قصد هم الرياء باظهار الشوق .
وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ،
فالشكر طاعة ، والشكوى : معصية قبيحة من أهل الدين . وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الطوبى ويبيده كل شيء مالى عبد مطوك ، لا يقدر على شيء . فالأحرى بالعبد أن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء ، وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى ، فهو المبتلى وهو القادر على ازالة البلاء ونزل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل .

واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مظه ، ذل قبيح ، قال تعالى : - ان الذين تصبدون من دون الله لا يطيكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له " سورة الحنكوت - آية ١٧ .
وقال تعالى : - " ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " سورة الأعراف آية ١٩٤ .

فالشكر باللسان من جطة الشكر .

وقد روى أن وفدا قدم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله - فقام شاب ليتكلم فقال عمر : الكبر الكبر . ! فقال الشاب : يا أمير المؤمنين ، لو كان الأمر بالسنة

لكان في المسلمين من هو أسن منك ، فقال عمر : تكلم . فقال : لسنا وفد الرغبة
ولا وفد الرهبة . أما الرغبة : فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة : فقد آمننا
منها عدلك ، وإنما نحن ، وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف . (١)

(١) أحياء علوم الدين / للفتاوى / ج ٤ / ص ٨٤ .

ج - بيان أن عقيدة التوحيد هي رأس الحكمة . ويتضمن هذا :

١ - بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم " الحكماء " .

٢ - بيان الحكمة عند أهل الكتاب كما يزعمون :-

أولا : عند اليهود .

ثانيا : عند النصارى .

٣ - بيان الحكمة في الاسلام .

١ - بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم " الحكماء " :-

عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام ، هي رأس الحكمة . وإذا كانت

الأشياء تتميز بأضدادها ، كان مما يتمين على أن أتناول باجمال ، بعض
الحقائد السابقة . ومدى موافقتها للحكمة .

ففي الفلسفة : نرى السوفسطائيين ، يخرجون على كل شيء . فلا يعترفون

بحدود لأي شيء ، حتى اختلط المعلوم بالمجهول ، وأصبحوا يرددون كلمتهم

المشهورة : " لا أدري " . وإذا تأملنا في هذا المسلك وجدناه لا نظام فيه ،

ولا يعترف بأي نظام ، مما يجعلنا نجزم بأن مسلكهم من أبعد الأشياء عن

الحكمة .

وجاء من بعدهم سقراط " فكان يرى أن لكل شيء طبيعة أو ماهية هي

حقيقته يكشفها العقل وراء الأعراض المحسوسة ، ويعبر عنها بالحد وأن غاية

العلم ، إدراك الماهيات ، أي تكوين معان تامة الحد ، فكان يستمين بالاستقراء ،

ويتدرج من الجزئيات الى الماهية المشتركة بينها ويرد كل جدل الى الحد والماهية

فيسأل : ما الخير وما الشر ؟ وما العدل وما الظلم ؟ ما الحكمة وما الجنون ؟ ،

ما الشجاعة وما الجبن ؟ ما التقوى وما الالحاد ؟ وهكذا . فكان يجتهد في هذا الألفاظ والمعاني ، هذا جامعا مانعا . ويصنف الأشياء في أجناس وأنواع ، ليمتتح الخطط بينها .

" ولقد كان لاكتشافه الحد والماهية ، أكبر الأثر في مصير الفلسفة . فقد ميز بصفة نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس .

" وانحصرت عنده الفلسفة في دائرة الأخلاق ، باعتبارها أهم ما يهم الإنسان .

وقال سقراط : الإنسان روح وعقل ، يسيطر على الحس ويديره ، والقوانين العادلة ، صادرة عن العقل ، ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة ، يحترم العقل والنظام الإلهي (١) الخ .

وبهذا أرى أن سقراط ، لفت النظر إلى العقل الذي تتبع منه الحكمة ، وإن كانت عقيدته كما يبدو في كلامه ، تشير إلى تعدد الآلهة ، فلم يصل إلى العقيدة المرضية التي يستسيغها العقل ويؤم بها .

وقال أفلاطون : " ولما كان " الموجود الوحيد الكفء للحصول على العقل هو النفس كانت الحيل الحاكمة نفوسا تتحرك حركة ذاتية ، وكانت المادة شرطا لفعالها أوطه ثانوية ظروا من العقل ، تتحرك حركة قسرية وتعمل اتفاقا ، إلا أن تستخدمها الحيل الحاكمة ، وسيلة وموضوعا ، وتوجهها إلى أغراضها .

والنفس غير منظورة ، بينما العناصر والأجسام جميعا منظورة ، فيبلغ أفلاطون من هذا الطريق إلى علم ^{عالم} معقول بصفته بأنه الهى لا يشتركة في الروحية والعقل ، ولكنه يحين فيه مراتب ، ويضع في قمته الله .

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية / يوسف كرم / ص ٥٢ ، ٥٣ .

هذا هو المبدأ الذي عليه
الكارل لأفلاطون
ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠

وبرهن أفلاطون على وجود الله من وجهة الحركة ووجهة النظام ، فقال
عن الأولى : " ان الحركات سبع : حركة دائرية ، وحركة من يمين الى يسار ، ومن
يسار الى يمين ، ومن أمام الى خلف ، ومن خلف الى أمام ومن أعلا الى أسفل ،
ومن أسفل الى أعلا ، وحركة العالم دائرية منظمة لا يستطيعها العالم بذاته ، فهي
معلولة لعلة عاقلة ، وهذه العلة هي الله ، أعطى العالم حركة دائرية على نفسه ،
وحرره الحركات الست الأخرى (وهي طبيعية) فمنعه من أن يجرى بها على غير
هــدى .

أما برهانه على وجود الله من الوجهة الثانية وهي وجهة النظام فيقول :
" ان العالم آية فنية غاية في الجمال ، ولا يمكن أن يكون النظام البادى فيما بين
الأشياء بالاجمال ، وفيما بين أجزاء كل منها بالتفصيل ، نتيجة عل اتفاقية ، ولكنه
صنع عقل كامل توخى الخير ، ورتب كل شىء عن قصد " (١) . الخ

رأى في

ثم انتهى بعد ذلك الى قوله :

" فالله روح عاقل محرك جميل خير عادل كامل ، (وهو بسيط لا تنوع فيه ثابت
لا يتغير ، صادق لا يكذب ، ولا يتشكل أشكالا مختلفة ، كما صور هوميروس ومن هذا
حدوه من الشعراء ، وهو كله في حاضر مستمر فان أقسام الانسان لا تلائم الا
المحسوس " (٢) . الخ

أما الحكمة في رأى أرسطو : فهي : مبنية على التجريد أى : التجرد من
المحسوسات الى المقولات ، حتى تنتهى الى الجوهر البسيط الثابت الذى يحرك
ولا يتحرك وهو الاله في نظره ، والله يفعل ضرورة لا اختيارا .

(١) المرجع السابق ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

وعنده ، أن الله ليس بجسم ، والعالم يتحرك بحركة الشوق اليه وهو
لا يعقل الا ذاته ، لأن علمه بالعالم ينقص من قيمته ، (١)

فأنت ترى أن الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم ، اسم : الحكماء :
اما تشويه و خلط ، كما هو عند السوفسطائيين .
واما : اشتغال بالالفاظ وتحديد معانيها كما هو عند سقراط .
واما : خيال كما هو عند افلاطون ؛
واما : تناقض كما هو عند أرسطو .

٢ - عقيدة أهل الكتاب كما يزعمون :

أولا : عند اليهود :

كان الدين اليهودي في أصله ، دين توحيد ، تتصف فيه الذات العلية
بصفات الوحدة والكمال والصفاء من جميع مظاهر النقص ، والمخالفة للحوادث في
كل شيء .

لكن الظاهر من استقراء تاريخ اليهود ، وما ورد بشأنهم في القرآن
الكريم ، وما ورد في أسفارهم نفسها ، أن فهمهم للذات العلية ، لم يكن مطابقا
تمام المطابقة لهذا الوضع في أي عصر من عصورهم .

أما فكرة الألوهية فقد مرت بثلاث مراحل هي :-

المرحلة الأولى :

أنهم لم يستطيعوا فهم الذات العلية ، الفهم الصحيح ، فظنوا مكان

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٨ : ١٨٢ بتصرف .

رؤيتها ، حتى بلغ بهم الأمر الى أن علقوا ايمانهم بموسى عليه السلام ورسالته على رؤيتهم للمولى تبارك وتعالى ، ويشير الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : " وان قلت يا موسى لن نوؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ^(١) الآيات .

كما أنهم لم يطمئنا الى عبادة اله لا يستطيعون رؤيته ، بل طلبوا الى موسى عليه السلام - حينئذ رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم - أن يجعل لهم الها يحسونه ، كما يحس هؤلاء آلهتهم ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى : " وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغضكم الها وهو فضلكم على العالمين " . (٢)

كذلك يخبرنا القرآن الكريم أنهم فى أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة الله أكثر من مرة ، فعبدوا المجل تارة ، وعبدوا الأصنام تارة أخرى ، وعن ذلك يخبرنا تعالى بقوله سبحانه : " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين " . (٣)

أما اذا تأمل القارىء فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج . فانه يرى أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة فى عقولهم الى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين - أى بعد موسى بنحو خمسة قرون - فتصوروا الله تبارك وتعالى فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والخفة والجهل . وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين .

(١) سورة البقرة / آية ٥٥ . (٢) سورة الاعراف من آية ١٣٨ : آية ١٤٠ .

(٣) سورة الاعراف - آية ١٤٨ .

فمن ذلك : " ما يرويه سفر التكوين في قصة آدم وحواء واخراجهما من الجنة ، حيث يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة وخوفهما مضلا ومخفيا عليهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لهما أن الأكل منها يفضي الى الموت ، مع أن الأكل منها يفضي الى رقي التفكير وانحسار أغشية الجهد ، وانبثاق نور المعرفة ، ولكن الاله يريد بقاءهما جاهلين حتى لا يشاركا في صفة من أخص صفاته . ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كانا يجهلانه من قبل ، فصرفا أنهما مكشوفتا السوءتين ، وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة ، ولما قدم الاله نحوهما مخترقا طرق الجنة ، وسمعا صوته وحركته في أثناء سيره ، اختبأ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذوا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وأخذ يستجوبيهما واستنتج من فعلتهما ومن استجوابيهما ، أنه لا بد أن يكونا قد آكلا من شجرة المعرفة وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وأن الانسان قد أصبح بذلك " أحد الالهة لتمييزه بين الحسن والقبيح " وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد الانسان من الجنة حتى لا تمتد يده الى شجرة أخرى هي " شجرة الخلد " فيكفل لنفسه أرقى صفات الاله وهو البقاء " . (١)

وانا رجعنا الى القرآن الكريم نجده قد عرض لعدة مواقف من قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وأكلمهما من الشجرة وخروجهما من الجنة ، دون أن يبدو فسى أى واحد من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله تعالى وقدرته ، وخطوه عن النقص ، ومخالفته للحسوات .

مكة المكرمة - ١٤١٢ هـ

(١) الاصحاح الثالث من سفر التكوين

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين ، من أن الله تعالى أولاداً من الذكور ، وأن هؤلاء الذكور قد فتهم جمال بنات الآدميين اللاتي كان عددهن قد كثر في الأرض . فاتخذوهن خليلات . وولد لهم منهن نسل ، امتاز ببسطة كبيرة في الجسم ، وهم الجبابرة الذين سكوا الأرض قبل الطوفان . (١)

ومن ذلك أيضا : ما يقرره سفر التكوين : " من أن الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام ، استراح في اليوم السابع وكان يوم سبت ، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك ، فحرم فيه الحمل ^(٢) أي أنه كالبشر في حاجة الى الراحة بعد بذل المجهود في عمل ما " .

وعلى هذا الزعم الباطل يرد القرآن الكريم في قوله تعالى : " ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب " . (٣)
وغير ذلك كثير .

المرحلة الثانية :

أخذ تصورهم للذات العملية يرقى شيئا فشيئا ، ويتخلص نوعا ما من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك في أحداث أسفار توراتهم المزعومة . كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

غير أنه قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم الها خاصة بهم ، وهو الله اسرائيل ، وأنهم هم أولاده وأحبائه ، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى ، وأن

(١) الاصحاح السادس من سفر التكوين ، فقرات : ١ ، ٢ .
(٢) الاصحاح الثاني من سفر التكوين / الفقرات الاولى .
(٣) سورة ق / آية ٣٨ .

المهم في صراع مع هذه الآلهة ، لكنه لم يتخلص نهائيا من صفات الحوادث ، بل ظل عالقا به في نظورهم بعض هذه الصفات ، فمن ذلك ما يذكره سفر اللاويين في أكثر من موضع : " أن الضحايا المحرقة - وهي التي تحرق أجزاءها في المذبح تحت إشراف أحد اللاويين - يرتاح لها الإله ويفيد منها وينتعم من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يفضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه ، أو إذا قدمت إليه في صورة ، غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين ، أو غير المراعين لمراسم التقديم ، فيرسل عليهم نارا تحرقهم ، كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية ، ومن ثم كانت طريق حرق الأضحية وتصاعد دخانها هي الطريقة المقررة لديهم في معظم أنواع الأضحية والقربان ، حتى في قربان النبات وما يصنع منه كالقطائر وما إليها " . (١)

ويرد عليهم المولى تبارك وتعالى على هذه المزاعم الباطلة في قوله سبحانه " لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ويشر المحسنين " . (٢)

المرحلة الثالثة :

الذي يبدو أنه بعد أن قاربت عقيدتهم من التوحيد وتنزيه الإله من النقص ، ارتكبت مرة أخرى ، ارتكاسا كبيرا في العهد الذي ألف فيه التلمود " القرون الستة الأولى بعد الميلاد " .

(١) انظر سفر اللاويين وخاصة الإصحاحات : الأول والثاني والسادس [كزما سفر اللاويين]
والسابع والعاشر .

(٢) سورة الحج / آية ٣٧ .

فأسفار التلمود تظهر اله اسرائيل متصفا بكثير من صفات الحوادث ، وصفات النقص ، ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الاله ، وضخامة أعضائه وما يرويه عن نشاطه وأعماله في الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل ، وتشريد بني اسرائيل ، وما يقرره بصدده تخصيص أيام من كل عام ، لعبادة اله صغير ، ويصدر حرص الاله على أن تقدم له أضحية من الآدميين .

فقد ذكر العلامة ابن هزوم في : " الفصل في الطل والأهواء والنحل " أن سفرا من أسفار اليهود يسمى : " سفر توما " ، قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال : " انها من أعلاها الى أنفه خمسة آلاف ذراع " ، وأنه قد جاء في سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له : " سادر ناشيم " : " أن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب ، وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب ، وأن الطك الذي يخدم ذلك التاج ، اسمه : " صندلفون " . (١)

وورد في بعض أسفار التلمود ، أن الله يقضى الساعات الثلاث الاولى من النهار في مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية في شئون الحكم ، بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة في تدبير الميث للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها في اللعب مع الحوت طك الأسماك الخ .

ثم يستطرد المؤلف قائلا : " وأما ساعات الليل فيقضيها الاله في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع طك الشياطين الذي يصعد الى السماء كل ليلة ، ثم يهبسط منها الى الأرض بعد هذه الندوة العلمية . . . الخ .

(١) الفصل في الطل والأهواء والنحل / لابن هزوم / ج ١ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

ويقرر تلحودهم أن الله قد تستولى عليه نزوة غضب ، فيقسم لياتين أعصالا شريرة أو غير عادلة ، ثم يثوب الى رشده ، فيتحلل من يمينه ، كما حدث يوم أن غضب على بنى اسرائيل فى الصحراء وأقسم أن يبيد هم ، ثم رجع عن عزمه وتحلل من يمينه بعد أن انقضت نزوة غضبه .

ويستدل منه كذلك : أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام من أول أكتوبر — يعبدون فيها ربا آخر ، غير الههم ويطلقون عليه اسم : " الرب الصغير " وهو : " صندلفون " الطوك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم ،

هذا وقد بلغ بهم الارتكاس ، الى اعتقاد بعضهم ، أن لله تبارك وتعالى ابنا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - ويشير الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى " وقالت اليهود عزير ابن الله " . (١)

ويضاف الى ذلك أن عقائدهم فى هذه المرحلة ازدادت انحرافا ووحشية فيما يتعلق بشئون الأضحية والقربانين ، فأسفار تلحودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لالههم ، ومنجداً منهم بمجبن الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى أعيادهم وأفراحهم الدينية ، وبخاصة عيد الفصح وعيد أستير ، ومراسم ختان الأطفال ، واستخدام هذه الدماء فى طقوس سحرهم وشعوذتهم وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودى الى ربه ، وما تقرّبه عين الالههم . (٢)

(١) سورة البقرة - آية ٣٠ .
التوبة

(٢) الأسفار المقدسة / د . على عبد الواحد وافي . من ص ٢٣ : ٣٠ .

بتصرف .

ثانيا : النصرانية :

عقيدة النصرانية ، كما هي عند النصارى وفي كتبهم :

يذكر الامام أبوزهرة ، ناقلا عن كتاب : سوسنة سليمان / لنوفل بن نعمة الله جرجس النصراني ، أن : " عقيدة النصارى ، التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس - وهي أصل الدستور الذي بينه المجتمع النقاوى - هي الايمان باله واحد ، أب واحد ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، ومرب واحد ، يسوع الابن الوحيد ، المولود من الآب قبل الدهور ، من نور الله ، اله حق . من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، والذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا ، نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس ، و صلب عنا على عهد بيلاطس وتآلم وقبر ، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب ، وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب ، وسيأتي بمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه والايمان بالروح القدس ، الرب المحيى ، المنبثق من الآب ، الذي هو مع الابن يسجد له ، ويمجد ، الناطق بالأنبياء " .

هذا هو جوهر العقيدة ولبها ، ويمكن حصرها في ثلاثة عناصر استنباطا

من النص السابق :-

العنصر الأول : التثليث والايمان بثلاثة أقانيم .

العنصر الثانى : صلب المسيح فداء عن الخطيئة وقيامه من قبره ورفعته .

العنصر الثالث : أنه يدين الأحياء والأموات . (١)

وسأكتفى بكتابة نبذة كافية عن العنصر الاول فقط لتعلقه بعلم التوحيد .

(١) انظر / محاضرات في النصرانية / محمد أبوزهره / ص ١١٨ ، الطبعة الخامسة .

عقيدة التثليث :

هذه العقيدة ، هي كما أفصح عنها الدكتور بوست في : تاريخ الكتاب

القدس بقوله : -

" طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية . الله الآب ، والله الابن ،
والله الروح القدس . فالآب ينتج الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفداء ،
والى الروح القدس التطهير " . (١)

والذى يفهم من هذا ، أن هذه الأقانيم الثلاثة ، عناصر متلازمة ل ذات

الخالق ، لا ينفك أحدها عن الآخر .

يرى أصحاب هذه العقيدة أن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الاقانيم
وأن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين في الكمالات الالهية هي : الآب ، والكلمة ،
والروح القدس .

فالأول : الآب : وهو مصدر كل الأشياء ومرجعها ، ونسبته للكلمة ،
ليست صورية ، بل شخصية حقيقية ، ويمثل للأفهام محبته الفائقة وحكمته الرائعة .

أما الثانى : فهو الكلمة : لأنه يعلق مشيئته بعبارة وافية ، وهو وسيط
المخاطبة بين الله وبين الناس . كما يدعى أيضا " الابن " لأنه يمثل العقل ونسبته
المحبة والوحدة بينه وبين أبيه ، وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتميز بين نسبه هو الى
أبيه ، ونسبه كل الأشياء اليه .

(١) انظر / محاضرات في النصرانية / محمد أبوزهرة / ص ١١٨ / الطبعة الخامسة .

أما الآنوم الثالث : فهو الروح القدس : وهو يوضح الدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عطية في تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته" (١) .

كما سبق يمكننا استنتاج أن البُنية هنا لا تعني " ولادة بشرية" ولكنها تصف سرية فائقة ، بين الآنوم وآخر ، في اللاهوت الواحد ، كما أنها علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر .

ويؤيد ذلك ما قاله القس / ابراهيم سعيد / في تفسير معنى كلمة "ابن الحلي" حيث يقول :

" ابن الحلي . أو ابن الله . لم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله ، ولا لقليل ، ولد الله ، ولم يقصد بها ، ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا ، أنهم أبناء الله لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله ، ولم يقصد بها تفرقة فسي المقام من حيث الكبر والصغر ، ولا الزمنية ، ولا في الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله ، وهي محبة متبادلة ، وما المحبة التي بين الآب والابن الطبيعيين ، سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل ، من بهاء أنوارها ، ويراد بها اظهار المسيح لنا ، أنه الشخص الوحيد ، الذي حاز رضا الله ، وأطاع وصاياه ، فقبل الموت ، موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : " هذا ابني الحبيب ، الذي سررت به ، له اسمعوا" . وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات ، طدة خدمة المسيح على الأرض ، لأنه تم ارادة الله في الفداء ، ويراد بها ، اظهار التشابه والتماثل في الذات وفي الصفات وفي الجوهر ، كما يكون بين الآب والابن الطبيعيين ، فقل عن المسيح ، انه بها مجد الله ، ورسمه وجوهه وقال هو عن نفسه : " من رأى

(١) بتصرف / محاضرات في النصرانية / محمد ابوزهرة / ص ١١٨ ، ١١٩ الطبعة الخامسة .

فقد رأى الآب ، أنا والآب واحد . ويراد بها دوام شخصية المسيح ، باعتباره الوارث لكل شئ ، الذى منه وبه ، له كل الأشياء . وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة ، يقصر دون ادراكها العقل" . (١)

ان المتأمل فى النص السابق ، يرى بوضوح كامل ، وجلاء لا تشوبه شائبة أن شخصية الابن غير شخصية الآب ، وكذلك روح القدس .

لكن الأمر يختلف اذا انتقلنا الى النص التالى ، المأخوذ عن كتاب خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ، هيث يقول :-

" كيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت ايمانها من كيرلس وديسقوروس ومعهم الكنائس : الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية ، تعتقد أن الله ذات واحدة مطثة الأقاليم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثانى ، أى أقنوم الابن ، تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، فصيرا هذا الجسد معه ، واحدا ، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج ، والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وهذا الاتحاد ، صار الابن المتجسد ، طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة" .

" وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية ، بأن للأقنوم الثانى ، طبيعتين ومشيئتين" . (٢)

من النصين السابقين يمكننا أن نستخلص ما يلى :-

- ١ - أن الكنائس كلها تعتقد التثليث ، وهذا موضع اتفاق بينها .
- ٢ - أن هناك موضع خلاف بينها ، وهو / العنصر الالهى فى المسيح - :-

(١) انظر المرجع السابق / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) بتصرفه المرجع السابق / ص ١٢١ .

أهو الجسد الذى تكون من روح القدس ومن مريم العذراء ، المختلط
بالعنصر الالهى ، فصار طبيعة واحدة ومشية واحدة ؟ .
أم أن له طبيعتين ومشيتين ؟ . " (١)

من جميع ما سبق ، يمكننا القول ، أن المسيحيين على اختلافهم ، يمتقدون
أن فى اللاهوت ، ثلاثة يعبدون ، وإذا تنبنا عباراتهم وجدناها تفيد بمقتضاها
أنهم متغايرون وان اتحدوا فى الجوهر والقدم والصفات والتشابه الكامل بينهم ،
لكن كتابهم يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ، وهذا هو المستحيل الذى
لا يمكن تصويره ، فضلا عن التصديق به " . (٢)

(١) بتصرف / المرجع السابق / ص ١٢١ .

(٢) المرجع السابق / ص ١٢٢ / بتصرف .

قلت ؛ هكذا كانت الحكمة التي أسداها المفكرون ، لدينين سماويين ،
شوههما الفكر الانساني ، بتصوره الخاطيء ، وقصور ادراكه ، فضلّ وأضلّ .
وخلاصة ما سبق :-

أن الاله في نظر اليهود ، أشبه بالبشر ، وفي نظر النصارى أشبه بالخيال الجموح
الذى لا يجد اللفظ المسفر عن المعنى ، ولا العبارة التي تبين ، انما هي شطحات
من وراء الفكر ، لم تستقم في الذهن ، ولم تستقر في الشعور ، وعليه فلم نجد تصورا
صحيحا للمعقيدة ، الا في الحكمة العالية الجميلة ، التي جاء بها الاسلام ، قال
تعالى ؛ " يوفى الحكمة من يشاء ومن يوفى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر
الا أولوا الألباب " . (١)

وقال سبحانه عن الدنيا ؛ " قل متاع الدنيا قليل " (٢) الآية . فتأمل : الدنيا بما فيها
متاع قليل . والحكمة وما تنطوى عليه ، خير كثير .

وعقيدة الاسلام ، تصورها الآيات الكريمة ، خالية من التشويه والتشويش
" قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد " . (٣)
" شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم " . (٤)

" الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في
الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤخروه حفظهما وهو العلي
العظيم " . (٥)

-
- (١) سورة البقرة آية : ٢٦٩ . (٢) سورة النساء - آية : ٧٧ .
(٣) سورة الاخلاص - كلها . (٤) سورة آل عمران - آية : ١٨ .
(٥) سورة البقرة - آية : ٢٥٥ .

" هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الطوك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم" . (١)

الى غير ذلك من الآيات .

فأى حكمة أروع من هذه الحكمة ، وقد رأينا الفلاسفة يتخبطون بين السطحية والخيال . وأتباع الأديان يضلّون فينقصون قدر الله ، وما قدره حق قدره ، أو يضيفون اليه ما لم يأن به ، " ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم" . (٢)

وشكروا المسلمين الذين ادعوا لأنفسهم ، استقلال الحقول ، وأعطوا الحق أكثر مما يستحق ، يوفقون بمقدار قريتهم من النصوص الشرعية ، ويتعبدون عن الصواب بمقدار يحد هم عنها .

وانا لم يعنك الله فيما تريد	فليس لمخلوق اليه سبيل
فان هو لم يرشدك فى كل مسلك	ضلت ولو أن السماك دليل

(١) سورة الحشر / آية : ٢٢ : ٢٤ .

(٢) سورة الشورى - آية : ٢١ .

الفصل الثانى

فى تفسير قوله تعالى

"وان قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم".

ويتضمن ذلك ما يلى :

- ١ - بيان معنى الوعظ .
- ٢ - بيان سبب نزول قوله سبحانه " ان الشرك لظلم عظيم " .
- ٣ - بيان قوله : " ان الشرك لظلم عظيم " :
 - أ - هل هو من كلام لقمان ؟ .
 - ب - ام هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان ، متصل به فى تأكيد المعنى ؟ .
- ٤ - بيان معنى الشرك .

وهذا هو التفصيل :

بيان تفسير قوله تعالى :-

"وان قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم" .

قوله : " وان قال لقمان لابنه " :-

- اسم لقمان : سبق الحديث عنه في أول البحث . (١)
وكذلك الحال بالنسبة لاسم ابنه . (٢)

أما : " ان " : فهو محمول لا ذكر المحذوف ، وهو في موضع نصب .

وقيل : يحتل أن يكون ظرفاً لاتينا ، والتقدير : " وآتيناه الحكمة ان قال " واختصر لدلالة الحقدم عليه ،

أما قوله : " وهو يعظه " :- فهو جملة حالية . (٣)

١ - بيان معنى الوعظ :-

قال الراغب :- الوعظ : زجر مقترن بتخويف . (٤)

وقال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب . (٥)

وفي لسان العرب :-

" الوعظ والعظة والعظة والموعظة : النصح والتذكير بالمواقب .

وقال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب" . (٦)

(١) انظر ص / ١٠ من الباب الاول .

(٢) انظر ص / ٥٠ من الباب الاول .

(٣) روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ٨٤ / دار احياء التراث العربي / لبنان .

(٤) ، (٥) انظر / المفردات في غريب القرآن / للراغب الاصبهاني / ص ٨٢٧ /

كتاب الواو / الواو مع العيين . (٦) انظر لسان العرب / لابن منظور /

ج ٢ ص ٤٦٦ / باب حرف الظاء / فصل الواو / بيروت / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

هذه
تفسير
المراد ؟

قلت :

القولان الاولان ، وهما : قول الراغب الاصبهاني ، وقول الخليل : - ارى
انهما متلازمان ولا زمين للوعظ ، فان الوعظ قائم على الترغيب والترهيب ، حسب
ما يقتضيه المقام . فالترغيب في موضع يجب فيه الترهيب يكون عبثا ، وكذلك الترهيب
في موضع الترغيب . فالقائم على المعصية يرهّب ، والخائف المفرط في خوفه يرغب .

اما ما ذكره صاحب لسان العرب ، من ان الوعظ . . . الح : هو النصيح
والتذكير بالمواقب . فهو يشتمل على الترغيب والترهيب ، لان النصيح يؤدى الى
الترغيب والحث على عمل الخير ، بينما يدل التذكير بالمواقب على الترهيب
والتهذير من المواقب التي لا تحمد .

وكذلك ما قاله ابن سيده : من ان الوعظ هو : " تذكيرك للانسان بما يلين قلبه
من ثواب وعقاب " .

فهو واضح على اشتماله للترغيب والترهيب .

وهذان القولان ، هما أشمل وأوضح من قول الراغب وقول الخليل في حالة
ذكر كل واحد منهما منفردا عن الآخر .

وقوله : " يا بني " : كلمة " بني " هنا ليست على حقيقة التصغير ، وان كانت

على لفظه ، انما المراد ، تصفير محبة واشفاق وترقيق .

ومنهم قولهم : ولكن اذا ما حب شيء تولعت . . . به احرف التصغير من شدة الوجد

وقول آخر : ما قلت حبيبي من التحقير . . . بل يعذب اسم الشئ بالتصغير (١)

(١) روح المعاني / للالوسي / ج ٢١ / ص ٨٤ / بتصرف .

والابن في نظر أبيه ، دائما أصغر منه شأنًا ، وأقل منه تجاريا ، وهو فسي

حاجة الى نصائح سابقيه من أهل الحجة والعلم والمعرفة .

٢ : بيان سبب نزول قوله : " لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم " :-

ان سبب نزول هذه الآية ، هو كما ذكر الامام البخاري في صحيحه : " عن

عقمة عن عبد الله قال : لما نزلت " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم " قال

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينما لم يظلم ؟ . فأنزل الله : " ان الشرك لظلم عظيم " . (١)

فهذه الرواية ، نص واضح في سبب النزول لقوله رضى الله عنه : " فأنزل

الله : ثم عقب بالآية : " ان الشرك لظلم عظيم " .

وهي لا تحتاج الى تعليق . والله أعلم .

٣ : بيان قوله : " ان الشرك لظلم عظيم " :-

أ - هل هو من كلام لقمان ؟ .

ب - أم هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان ، متصل به في توكيد المعنى ؟ .

اختلف في ذلك كما يلي :-

أ - وقيل : هو من كلام لقمان .

ب - وقيل : هو خبر من الله تعالى ، منقطع عن كلام لقمان ، متصل به في تأكيد

(١) انظر : صحيح البخاري / ج ١ / ص ١٥٥ / باب ظلم دون ظلم / كتاب

الايمان / دار مطابع الشعب . وكذلك : انظر

ج ٤ / ص ١٧٢ / باب قول الله تعالى " واتخذ الله ابراهيم خليلا " / كتاب

المعنى . ويؤيد هذا الحديث المأثور ، وفيه : أنه لما أنزلت :
 " الذين آمنوا ولم يلجسوا ايمانهم بظلم " ، أشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقالوا أينما لم يظلم ؟ فأنزل الله تعالى : " ان الشرك لظلم عظيم " فسكن
 اشفاقهم . وانما يسكن اشفاقهم بأن يكون خبرا من الله تعالى .

وقد يسكن الاشفاق ، بأن يذكر الله ذلك . عن عبد قد وصفه بالحكمة
 والسداد . (١)

وأنا أميل الى القول الثانى ، لتأييده بالحديث ، ومتى وجد ذلك ، فهو
 أقوى وأجود . والله أعلم .

وقد ذكر الالوسى أنه : " قيل : عن ابن لقمان وامراته ، انهما كانا كافرين ، فلم
 يزل يعظهما حتى أسلما .

كما ذكر عن ابن أبى الدنيا ، أنه أخرج عن الرقاشى ، قال : ما زال لقمان ، يعظ
 ابنه حتى مات . وأخرج عن حفص بن عمر الكندى ، قال : وضع لقمان جرابا من
 خردل ، وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة ، فنقد الخردل ، فقال : يا بنى :
 لقد وهبته موعظة لو وعظتها جيلا لتفطر ، فتفطر ابنه .

وقيل : كان مسلما - أى ابن لقمان - والنهى عن الشرك ، تحذيره عن صدوره منه
 فى المستقبل . (٢)

وقد ذكر الرازى : أن قوله سبحانه : " وان قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى

لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم " : عطف على معنى ما سبقه وتقديره :

== بدء الخلق / وكذلك ج ٦ / ص ٧١ / سورة الانعام - كتاب التفسير - دار مطابع الشعب .

(١) انظر / تفسير القرطبى / ج ١٤ / ٦٢ .

(٢) روح المعانى / للآلوسى / ج ٢١ / ٨٥ / بتصريف .

كما ذكره
 ابن جرير
 فى تفسيره
 ص ١٢٢

آتيناه الحكمة حين جعلناه شاكرًا في نفسه ، وحين جعلناه واعظًا لغيره ، وهذا لأن طو مرتبة الانسان ، بأن يكون كاملاً في نفسه ، ومكلاً لغيره .
فقوله : " أن اشكر " إشارة الى الكمال .
وقوله : " وأن قال لقمان لابنه وهو يعظه " إشارة الى التكميل .
وفي هذا لطيفة وهي :-

أن الله تعالى ذكر لقمان وشكر سميه ، حيث أرشد ابنه ، ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلام ، الذي أرشد الأجانب والأقارب ، فان ارشاد الولد أمر معتاد ، أما تحمل المشقة في تعليم الأبعد فلا .

أما اذا انتقلنا الى الوعظ ، فانا نجد قد بدأ بالأهم ، وهو الضم من الاشراك ، حيث قال : " ان الشرك لظلم عظيم " .
وقد كان الشرك ظلماً : اما لأنه وضع للنفس الشريف المكرم بقوله سبحانه :-
" ولقد كرّمنا بني آدم " في عبادة الخسيس .
أو : لأنه وضع العبادة في غير موضعها ، وهي غير وجهه الله سبحانه .

وأما كونه عظيماً : فلأنه وضع في موضع ، ليس موضعه ، ولا يجوز أن يكون موضعه .
كما أن في ذلك تسوية بين من لا نعمة منه أصلاً ، وبين من لا نعمة الا منه سبحانه .
وأما الاشراك : فهو وضع العبادة في غير الله تعالى ، ولا يجوز أن يكون غيره معبوداً أصلاً " . (١)

وللشرك صور عديدة ، كلها ازدراء للحقل ، وتشويه للحياة ، والا سلام نزل عدواً لدوداً للشرك ، في مختلف صور وأوضاعه ، والضابط له ، كما قال الشيخ محمد عبده :-

(١) التفسير الكبير / للرازي / ج ٢٥ / ١٤٦ . بشي من التصرف .

" هو اعتقاد أن لغير الله أثرا فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة ، وأن لشئ من الأشياء سلطانا على ما خرج عن قدرة المظوقين . وهو اعتقاد . من يعظم سوى الله ، مستمينا به فيما لا يقدر الجبد عليه ، كالا ستصار في الحرب بغير قوة الجيوش ، والا ستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله اليها ، والا ستعانة على السمادة الأخروية ، أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا " . (١)

فالتعامل مع الخلق على أساس ما أعطاهم الله من قوى وقدر وأسباب ، كل ذلك ليس من الشرك ، وانما يكون الشرك ، عند ما نطلب من أحدهم ، ما ليس له ، وما لا قدرة له عليه ، لا شرعا ولا قدرا .

(١) انظر / رسالة التوحيد / للامام محمد عبده / ص ٧٥ / الطبعة

الاولى / ٩٦ هـ / ٧٦ م .

الفصل الثالث

في بيان تفسير قوله تعالى :

"ووصينا الانسان بوالديه احسانا وهما على وهن وفصاله في عامين

ان اشكرلى ولوالديك الى المصير .

وان جاهدك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من انا الى ثم الى مرجعكم فانيئكم بما كنتم تعملون".

ويتم ذلك فى ضوء النقاط التالية :-

١ - ايراد أهم الأقوال التى قيلت فى الآيتين الكريمتين ، ثم توجيه تلك الأقوال .

٢ - بيان معنى الوصية فى اللغة .

٣ - بيان معنى الوصية فى القرآن الكريم .

٤ - الانسان فى القرآن الكريم :-

ويتضمن ذلك ما يلى :-

أ - المخلوق المسئول .

ب - الانسان الكائن المكلف .

ج - الانسان روح وجسد .

٥ - تفسير الآيتين الكريمتين .

وهذا هو التفصيل :-

١ - الأقوال التي قيلت في الآيتين الكريمتين :-

قيل في هاتين الآيتين أقوال كثيرة ، أجمعها فيما يلي :-

- أ - قيل : أنهما معترضان في أثناء وصايا لقمان .
- ب - وقيل : أن هذا ما أوصى به لقمان ابنه ، وأخبر الله به عنه ، لأن الله تعالى أوجب طاعة الوالدين في غير معصيته سبحانه .
- ج - وقيل : أي : وإن قال لقمان لابنه : فقلنا للقمان فيما آتينا من الحكمة : " ووصينا الإنسان بوالديه ، أي : قلنا له : اشكر لله ، وقلنا له : ووصينا الإنسان " (١) .
- وقيل غير ذلك .
- د - ذكر الطبري أن هاتين الآيتين ، نزلتا في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، لما أسلم ، حيث أن أمه حلفت آنذاك ، ألا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، حتى تموت ، أو يرجع رضي الله عنه عن إسلامه ، فأبى عليها فلم تحزل كذلك حتى غشى عليها ، فسقاها بنوها فلما أفاقت ، دعت الله عليه فنزل قوله تعالى : " ووصينا الإنسان بوالديه " . . . إلى قوله " في الدنيا معروفاً " (٢) .
- هـ - ذكر ابن كثير أن قوله تعالى : " وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما " الآية نزلت في سعد بن مالك . (٣)

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ٦٣ / بتصرف .

(٢) تفسير الطبري / ج ٢١ / ٧٠ / بتصرف .

(٣) تفسير ابن كثير / ج ٣ / ٤٤٥ / بتصرف .

و - ذكر الواحدى فى أسباب النزول : أن الآيتين نزلتا فى سعد كما ذكر
الطبرى وابن كثير . (١)

قلت : ونحن اذا دققنا النظر فى هذه الأقوال نجد ها جميعا مقاربة
وليست متفاوتة ، ويمكن توجيهها كالتالى :-

أما بالنسبة للقول الأول ، القائل بأن الآيتين معترضتان فى أثناء وصايا
لقمان ، فيجاب عنه ، بأن هذا الكلام " اعترض به على سبيل الاستطراد ، تأكيداً
لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك " . (٢)

كما أنه لا يمتنع أن يكون مما أوصى به لقمان ابنه ، الوصية بالوالدين
والاحسان اليهما وشكرهما وطاعتهما فى غير معصية الله ، وأخبرنا عن ذلك رب العزة
فى القرآن الكريم . وكان ذلك أيضا من الحكمة التى أوتيها لقمان كما جاء فى القولين
الثانى والثالث .

أما عن القول الرابع الذى يقول : بأن الآيتين نزلتا فى سعد بن أبى وقاص
والقول الخامس ، بأنها نزلت فى سعد بن مالك ، فتوجيههما كما يلى :-
ان سعد بن أبى وقاص ، هو سعد بن مالك ، ذكر ذلك ابن حجر فى تهذيب
التهذيب (٣) ، وفى الاصابة (٤) ، كما ذكر ذلك أيضا ابن الأثير فى : أسد

(١) أسباب النزول / للواحدى / ص ٢٢٩ / ٢٣٠ ، ٢٣٣ / طبعة : ١٣٨٨-١٩٦٨ هـ .

(٢) انظر الكشف / للزمخشري / ج ٣ / ٢٣٢ .

(٣) تهذيب التهذيب / لابن حجر / ج ٣ / ٤٨٣ / الطبعة الاولى .

(٤) الاصابة فى تمييز الصحابة / لابن حجر / ج ٢ / ٣٣ ، ٣٩ / الطبعة الاولى .

الغفابة^(١) ، والذهبي ، في الكاشف . (٢)

٢ - بيان معنى الوصية في اللغة :-

الوصية في اللغة :

الوصية والتوصية والايضاء في اللغة هي : أن يطلب الانسان من غيره ، القيام بعمل في غيبته ، أو بعد موته .
تقول : أوصاه بكذا ، ووصاه به ايضاء وتوصية .
والوصية في الأصل ، مأخوذة من : وصيت الشيء بالشيء اذا وصلت به ، وذلك لأن الموصى ، يصل ما بعد موته بما قبله ، في نفاذ التصرف . فكما نفذت تصرفاته ، فسي ماله في حياته ، تنفذ تصرفاته فيه بعد موته .
أو : لأنه يصل خير دنياه ، بخير آخرته ، فكما جازله فعل الخير بما له في حياته ، جازله ذلك بعد موته . (٣)

وقد ورد في لسان العرب :

فلاة واصية ، أى : متصلة بفلاة أخرى . قال ذو الرمة :

بين الرجا والرجا من جنب واصية . . يهماء خابطها بالخوف معكـوم
وأرض واصية : متصلة النبات ، اذا اتصل نبتها . (٤)

ولكن هل الوصية مأخوذة من : " وصى " الثلاثي ، أو من الرباعي المضعف

(١) أسد الغفابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير / مجلد ٣٦٦/٢ .

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة / للذهبي / ج ١ / ٣٥٤ / الطبعة الاولى .

(٣) انظر / أحكام الوصية / د . حسين حامد حسان / ص ٥ / الطبعة الاولى / ١٩٧٣ م .

(٤) انظر / لسان العرب / جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور / ج ١٥ / ٣٩٥ / دار بيروت للطباعة / ٩٦ هـ / ٧٦ م .

"وصّى" أو المزيّد : "أوصى" ٤ .

إذا رجعنا الى كتب اللغة : كالصّاح والقاموس وتاج المعروس ، نجد أنها تجعل الثلاث : "وصى : يوصى" بمعنى الوصل لا غير ، ومنه تؤخذ الوصية . أما الرباعي فيجعلونه بمعنى : العهد لا غير .

وقد جاء في لسان العرب :

أوصى الرجل ، ووصاه : عهد اليه . قال رؤبة :
وصّاني الحجاج فيما وصّنى . (١)

"ويقال : وصّى في ماله ، أو : ولده بشئ" ، أى : عهد في ذلك ، بما يرى ، على أن ينفذ بعد موته ، كأن يعهد أن يعطى فلان كذا من ماله إذا توفى ، أو : أن يقوم على ولده بعد وفاته فلان" . (٢)

٣ - الوصية في القرآن الكريم :-

إذا رجعنا الى كلمة الوصية الواردة في القرآن الكريم ، نجد ما وردت فسى

أماكن متعددة ، منها :-

- ١ - قوله تعالى : "ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" . سورة الأنعام - آية : ١٥١ .
- ٢ - وقوله تعالى : "ذلكم وصاكم به لعلكم تتذكرون" . سورة الانعام - آية : ١٥٢ .
- ٣ - وقوله تعالى : "ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" . سورة الانعام - آية : ١٥٣ .
- ٤ - وقوله تعالى : "ووصينا الانسان بوالديه حسنا" . سورة المنكبوت / آية : ٨ .
- ٥ - وقوله تعالى : "وما وصينا به ابراهيم وموسى" . سورة الشورى / آية : ١٣ .

(١) الوصية وأحكامها في الفقه الاسلامى / محمد جعفر شمس الدين / ص ٢٢ ، ٢٣ ، بتصرف .

(٢) انظر : المرجع السابق / ص ٢٤ .

- ٦ - وقوله تعالى : " من بعد وصية يوصى بها أو دين " . سورة النساء / آية ١٢ .
- ٧ - وقوله تعالى : " من بعد وصية توصون بها أو دين " . سورة النساء / آية ١٢ .
- ٨ - وقوله تعالى : " أتواصوا به بل هم قوم طاغون " . سورة الذاريات / آية ٥٣ .

إذا تتبعنا هذه الآيات الكريمات ، مع سياقها مع الآيات المتقدمة عليها ، والمتأخرة عنها ، نجد أن الوصية فيها يصعب فهمها على معنى " الوصل " ولكن المعنى المفهوم منها ، هو : أن الوصية فيها بمعنى " العهد " .

وقد جاء في تفسير البحر المحيط : " يوصيكم الله في أولادكم " : أي : يعهد إليكم . كقوله تعالى : " ما وصّى به نوحا " . (١)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلقنا من طين
فأعطانا روحه وخلقنا من طين
فأعطانا روحه وخلقنا من طين

- ٤ : الانسان في القرآن الكريم :-
- وتتضمن هذه النقطة الفقرات التالية :-
- أ - المخلوق المسئول .
- ب - الانسان الكائن المكلف .
- ج - الانسان روح وجسد .
- وهذا هو التفصيل :-
- أ - المخلوق المسئول :-

عند ما خلق الله الانسان ، وأوجده في هذا الكون ، ولم يخلقه عبثاً ولم يتركه هاملاً ، بل فضله على جميع الكائنات الحية ، وميزه عنها بصفات حميدة ، حتى استعملها كما جعلت له ، ارتقى الى منازل عليّة ، لا يدركها سواه الا من عمل مثل عمله أو أكثر

(١) المرجع السابق - ص ٢٤ ، ٢٥ / بتصرف .

ولهذا فقد حظى هذا الانسان ، بصفته المخلوق المسئول بصفوة جميع الصفات الوارد ذكرها فى القرآن الكريم ، سواء كانت تكليفا ، أو عامة فى معارض الحمد والذم ، من طباعه وأفعاله .

ولذلك نجد كثيرا من الآيات القرآنية ، تذكر هذا الانسان ، بغاية الحمف أحيانا ، وآيات أخرى ، تذكره بغاية الذم . وهذا دليل واضح أنه أهل للمسئولية ، وأهل للكمال والنقص ، فهو أهل للخير ، متى سار على نهج الله ، وهو أهل للشر متى هاد عن الصراط السوى .

وقد جعل الله الانسان ، مسئولا عن كل ما يؤديه ، ومجازى عن كل ما اقترفته يداه ، يشير الى ذلك المولى تبارك وتعالى فى قوله : " كل نفس بما كسبت رهينة " (١) وفى قوله : " كل امرئ بما كسب رهين " (٢) وفى قوله : " تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون " (٣) .

أما مفاط المسئولية فى القرآن الكريم ، فهو قائم على أركانها المجتمة فيه بنصوصه ، وهى : تبليغ ، وعلم ، وعمل . فلا تحق التبعة على أحد ، لم تبلغه الدعوة ، فى مسائل الغيب ، ومسائل الايمان ، يؤيد ذلك ، قوله سبحانه : " ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون " (٤) وقوله سبحانه : " وان من أمة الا خلا فيها نذير " (٥) وقوله جل ذكره : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٦) .

(١) سورة المدثر / آية : ٣٨ .

(٢) " الطور / " : ٢١ .

(٣) " البقرة / " : ١٤١ .

(٤) " يونس / " : ٤٧ .

(٥) " فاطر / " : ٢٤ .

(٦) " الاسراء / " : ١٥ .

أما العلم : فان أول نزول الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كان أمراً بالقراءة وتنويعها بعلم الله ، وعلم الانسان . قال سبحانه : " اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم " . (١)

كذلك نجد أن أول فاتحة فى خلق الانسان ، كانت فاتحة العلم الذى تعلمه آدم وامتاز به ، على سائر المخلوقات ، يدل على ذلك قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم " . (٢)

أما الحمل : - فهو مشروط فى القرآن الكريم ، بالتكليف الذى تسعه طاقة المكلف ، وبالسعى الذى يسعاه لربه ولنفسه ، قال تعالى : " لا يكلف الله نفساً الا وسعها " (٣) وقال سبحانه : " وأن ليس للانسان الا ما سعى " (٤) ، وقال سبحانه : " فمن يحمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يحمل مثقال ذرة شراً يره " . (٥)

ورسل البلاغ ، هم أول المكلفين بالعلم والحمل والتبليغ ، وأممهم أمة واحدة هى الأمة الانسانية ، والهمم - جميعا - اله واحد ، هو رب العالمين قال سبحانه وتعالى : " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعطوا صالحاً انى بما تحيطون عليم . وإن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون " . (٦)

-
- | | |
|-------|-----------------------------------|
| (١) | سورة الحلق / آية ١ : ٥ . |
| (٢) | سورة البقرة / آية ٣١ . |
| (٣) | سورة البقرة / آية ٢٨٦ . |
| (٤) | سورة النجم / آية ٣٩ . |
| (٥) | سورة الزلزلة / آية ٧ ، ٨ . |
| (٦) | سورة المؤمنون / آية ١ : ٥١ : ٥٢ . |

وانا استعرضنا آيات القرآن الكريم ، التي تصف الانسان ، وتأملناها كما يجب ، نجدها تصفه في الذروة من الكمال المستطاع له ، بما استعد له من التكليف كما تصفه في الجانب الآخر ، في الدرك الأسفل من الحطة ، المنحدر اليها بهذا الاستعداد ، ولهذا كان من أكرم الخلائق ، بهذا الاستعداد ، المتفرد بين خلائق السماء والأرض ، من ذى حياة ، وأغير ذى حياة ، يشير الى ذلك قوله سبحانه وتعالى : " ولقد كرّمنا بنى آدم وحطّناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " (١) وقوله : " لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم " (٢) وقوله : " سخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة " (٣)

لكنه حين يتخلّى عن هذه المسئولية ، وينحط بنفسه عن هذا التكريم والتفضيل نجده يوصف دون غيره من الخلائق ، بالكفر والظلم ، والخسران والفجور ، والكثود ، لأنه أهل للإيمان والعدل والرجحان والعفاف ، فتخلّى عن ذلك يشير الى ذلك المولى تبارك وتعالى فى قوله : " انّ الانسان لظّلم كّفّار " (٤) وفى قوله : " كلا انّ الانسان ليظفّى . أن رآه استغنى " (٥) وفى قوله : " انّ الانسان لفسّخس " (٦) وفى قوله جل جلاله : " انّ الانسان لره لكتود " (٧)

(١) سورة الاسراء / آية ٧٠ .

(٢) سورة التين / آية ٤ .

(٣) سورة لقمان / آية ٢٠ .

(٤) سورة ابراهيم / آية ٣٤ .

(٥) سورة الملق / آية ٥ ، ٦ .

(٦) سورة المص / آية ٢ .

(٧) سورة العاديات / آية ٦ .

أما اذا انتقلنا الى الآيات التى تتحدث عن خلق جسد الانسان فأننا نجد ها لا تخلو من الالهام الى هذا المخلوق المسئول ، بأن أطوار خلقه السوى اعداد لما هو أشرف من حياته الحيوانية ، وبرهان من براهين التبليغ برسالة الغيب ، لعله ينظر فى الخلق ، فيرى فيه آثار الخالق الذى لا تدركه الأبصار والأسماع ، قال تعالى : " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " (١) وقال تعالى : " ذلك العالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه " (٢) الآية .

(٣)

وقال تعالى : " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون " ، وقال تعالى : " سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون " (٤) .

وهو مع هذا ، لا يكلف ما لا يطيق ، ولا يسأل عما يجهل ، ولكنه بالمقابل يسأل عما علمه ، وعما وسعه أن يحلمه " . (٥)

-
- (١) سورة المؤمنون / آية ١٢ ، ١٤ .
 - (٢) سورة السجدة / آية ٦ : ٩ .
 - (٣) سورة الروم / آية ٢٠ .
 - (٤) سورة يس / آية ٣٦ .
 - (٥) الانسان فى القرآن / للمقاد / ص ١٥ : ٢١ بتصرف .

ب - الانسان الكائن المكلف :-

ان مكان الانسان فى القرآن الكريم ، هو أشرف مكان له ، فى ميزان العقيدة ، وفى ميزان الفكر ، وفى ميزان الخليقة الذى توزن به طبائع الكائن ، بين عامية الكائنات ، لأنه الكائن المكلف ، الموءهل لحمل أمانة التكليف .

والكتاب الذى ميز الانسان بهذه الخاصية العظيمة ، نجده يخاطب العقل ، ويجعله القمة فى هذا الانسان ، لأن العقل ، يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ، ويحمله على الفهم والتفكر فى وجوه الأشياء ومواطن الأمور .

والعقل مع هذا ، روية وتدبير ، وبصيرة تنفذ وراء الأبصار ، كما أنه ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة ، مما كان ، لما يكون .

والعقل بهذه المعانى ، موصول بكل حجة من حجج التكليف ، وكل أمر بمعروف وكل نهى عن منكر ومحظور ، يشير الى ذلك ما ورد فى أواخر كثير من الآيات : أفلا يعقلون ، أفلا يتفكرون ، أفلا يبصرون ، أفلا يسمعون الخ .

ان العقل بهذه المعانى ، حجة على المكلفين فيما يعنيه من أمر السماء والأرض ، ومن أمر أنفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق السماء والأرض . قال تعالى :
" ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار " . (١)

وقال تعالى : " أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى " . (٢)

(١) سورة آل عمران / آية : ١٩١ .

(٢) سورة الروم / آية : ٨ .

والشواهد القرآنية على هذا التوافق الموصول ، بين تمييز الانسان بالتكليف في القرآن ، وبين خطابه للعقل والفكر ، وتذكيره بالرشد والبصر ، شواهد كثيرة جدا ، تفوق الحصر والعد ، وهي رغم ذلك ، حاضرة في ذهن كل قارئ لكتاب الله الكريم ، وكل قادر على المقابلة بينه وبين غيره من كتب الأديان .

والنبوة المحمدية عندما قامت على اقناع العقل المسئول ، عن طريق التأمل والتفكير في آيات الكون ، كانت بذلك ، خاتمة لسلطان القادة ، كما كانت خاتمة لسلطان النبوات بالمعجزات الخالدة ، وخوارق العادة ، فلا يعذر الاسلام انسانا يعطل عقله ، ليطيع السادة المتكبرين ، أو الأخبار المتسلطين ، بسلطان المال والدين ، قال سبحانه وتعالى : " قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فسي الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " الآية . (١)

وقال سبحانه : " قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صدوناكم عن الهدى بعد ان جاءكم بل كنتم مجرمين " . (٢)

وقال سبحانه : " يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله " . (٣)

وقال سبحانه وتعالى : " اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " الآية . (٤)

والتكليف لا يسقط عن الحاقل ، بطاعته للمستحڪمين ، سواء كان بطغيان الحكم ،

أو بطغيان الكهانة ، وبالتالي لا يمنعه التكليف ، أن يسأل من يعلم ، ان كان لا يعلم ، لأن طلب العلم يحقق واجب التكليف ، ولا يعطله أوليغفيه ، بل يوجب على

(١) سورة النساء / آية : ٩٧ .

(٢) سورة سبأ / آية : ٣٢ .

(٣) (٤) سورة التوبة / آية : ٣٤ . وآية : ٣١ .

المتعلم أن يتبين الذى يسأله ، وعليه تبعة هذا العمل ،^(١) قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " .^(٢)

ج : الانسان روح وجسد :

ان عقيدة الروح ، من العقائد التى يجب على المسلم ، الايمان بها ، لأن العقائد الغيبية من الأسس الصميمة للتدين ، والقرآن الكريم ، لا يعطل عقل المؤمن به ، بل يحث على البحث والتفكر فى كل أجزاء هذا الكون العظيم ، وما عقيدة الروح الا احدى هذه العقائد ، ومع هذا فقد وجب على الانسان ، الايمان بعلمه القليل فيها ، وتسليمه تسليم الايمان بأنها من أمر الله .

والروح والجسد فى القرآن الكريم ، مكملان لبعضهما ، فلا ينكر أحدهما فى سبيل الآخر ، ولا يبخس حق أحدهما ، نظير ايفاء حقوق صاحبه .

وقد جاء القرآن الكريم ، بالنهى عن تحريم الحلال ، كما جاء بالنهى عن اباحة الحرام ، يشير الى ذلك قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون " .^(٣)

كذلك يأمر القرآن الكريم ، المؤمن به ، بأن يكون كسبه من الطيب من الرزق ،

(١) الانسان فى القرآن / للعقاد / من ص ٢٢ : ٢٩ بتصرف .

(٢) سورة النحل - آية : ٤٣ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٨٧ ، ٨٨ .

وأن يكون انفاقه متزنا ، لا مسرفا ولا مقترا ، وأن ينعم بالطيبات من ثمرات الأرض ،
وأن يوعى شكر ذلك كله ،^(١) قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات
ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض " ^(٢) وقال سبحانه : " يا أيها الذين آمنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون " .^(٣)

ان القرآن الكريم بهذا الالهام الصادق ، ينقذ العقل من نقائص التفكير ،
فضلا عن انقاذه من نقائص الحيرة في حقائق الدين . وقد علم العقل اليوم " أن
ذرات التراب ، وذرات الضياء من معدن واحد ، وان الحجر اليابس يتفتت ، فإذا
هو شعاع ، وان الشعاع المطلق ينمقد ويتقابل ، فإذا هو حجر ، وان الفيصل بين
ضياء الفلك وضياء العقل ، قائم لا شك فيه ، ولكن لا شك كذلك ، في خفاء هذا
الأمر على العلم ، كخفائه على الايمان .

فماذا يقول العالمون بالذرة ، من المؤمنين بالمادة دون الروح ؟ . ماذا
يقولون عن " عقل الدماغ " ، كيف يرى ما لا تراه العين بشعاع الضياء ؟ سيقولون علما ،
ما قال به قارىء الكتاب ايمانا ، حين قيل له عن الروح فسمع وصدق . وقلبه مطمئن
بالايمان : " قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا " ^(٤) .

أما اذا نظرنا الى الدراسة الحديثة للنفس ، التي قام بها علماء النفس
المتخصصون فانا نجد القرآن الكريم قد سبقهم في ذلك المضمار ، ويمكن القول أن

(١) الانسان في القرآن / للمقاد / ص ٣٠ ، ٣١ بتصرف .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٧ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٢ .

(٤) انظر / الانسان في القرآن / للمقاد / ٣٣ ، ٣٤ .

دراساتهم تلك ، مقتبسة في جلها من هذا النبي الصافي ، الذي لا ينضب معينه ولا تنتهي عجائبه ، فان القرآن الكريم قد ذكر النفس في مواضع شتى ، ووصفها بصفات جليلة ، كاملة الوضوح ، فمن ذلك :

ان قوة الدوافع الفريزية تساوى النفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى : " وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي " . (١)

وقوة النفس الواعية ، تساوى النفس الطمعة قال تعالى : " ونفس وما سواها فآلهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دساها " . (٢)

وقوة الضمير ، تساوى النفس اللوامة . وهي التي يقع منها الحساب ، كما يقع عليها ، قال تعالى : " لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة " . (٣)

وقوة الايمان والثقة بالغييب ، تساوى النفس المطمئنة . قال تعالى : يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية " . (٤)

وفي كل موضع من هذه المواضع ، تذكر النفس الانسانية بعامة هذه القوى . . فتجمعها خاصة واحدة ، هي خاصة الانسان في القرآن وهي كما تقدم ، خاصة الكائن المكلف المسئول . قال تعالى : " كل نفس بما كسبت رهينة " (٥) وقال تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا " ، وقال تعالى : " يوم تجدد

(١) سورة يوسف / آية / ٥٣ .

(٢) سورة الشمس / آية : ٧ : ١٠ .

(٣) سورة القيامة / آية : ٢ .

(٤) سورة الفجر / آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) سورة الطاهر / آية : ٣٨ .

(٦) سورة الانبياء / آية : ٤٧ .

كل نفس ما عطت من خير محضراً^(١) وقال تعالى : " علمت نفس ما قدمت وأخرت .

يا أيها الانسان ما غرّك بربّك الكريم . الذي خلقك فسوّاك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك " . (٢) ، (٣)

والذات الانسانية ، أعم من النفس ومن الروح ومن العقل ، حين تذكر كل منها على حده ، لأن الانسان يحاسب نفسه فيهاها عن الهوى ، أما الروح فهي من امر الخالق تبارك وتعالى ، الذي لا يعلم الانسان منه ، الا ما علمه الله سبحانه ، لكن العقل يتوسط بين القوتين ، فهو وازع المفريضة ومستلهم لهداية الروح . (٤)

ولهذا نجد الانسان يعلو بعقله على نفسه ، ويعلو على عقله بروحه ، فيتصل من جانب النفس بقوى الفرائز الحيوانية ، ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب الروح ، بعالم البقاء ، وسر الوجود الدائم وعلمه عند الله ، أما العقل ، فحققه أن يدرك ما وسعه من جانبيه المحدود ، ولكنه ، لا يدرك الحقيقة كلها من جانبيها المطلق ، الا بايمان والهام . (٥) قال سبحانه وتعالى : " وما أوتيم من العلم الا قليلاً " ، (٦) وقال سبحانه وتعالى : " وفوق كل ذي علم عليم " . (٧)

ه : تفسير الآيتين الكريميتين :-

قال تعالى : ووصينا الانسان بوالديه " :-

-
- (١) سورة آل عمران / آية : ٣٠ .
 - (٢) سورة الانفطار / آية : ٦ : ٨ .
 - (٣) الانسان في القرآن / للحقاد / ٣٨ ، ٣٩ بتصرف .
 - (٤) المرجع السابق / ص ٤٠ / بتصرف يسير .
 - (٥) انظر المرجع السابق / ص ٤٠ .
 - (٦) سورة الاسراء / آية : ٨٥ . (٧) سورة يوسف / آية : ٧٦ .

يأمر الله تبارك وتعالى ، في هذه الآية الكريمة ، الانسان بصفة عامة ، أن يحسن الى والديه ، وأن يعطف عليهما ، وأن ييربهما ، وأن يطيعهما في غير معصية الله تعالى ، وأن يصلهما حتى ولو كانا كافرين .

وقوله : " حطته أمه وهنا على وهن " :

أى : حطته في بطنها ، وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف منذ حطها به .
وقيل : المرأة ضعيفة الخلقة ، فإذا حطت أضعفها الحمل أكثر وأكثر ، (١)
وقيل : بل المراد : أن الأم تضعف ضعفا متزايدا ، بازدياد ثقل الحمل ، الى مدة الطلق ، ثم ضعف النفاس .

وقيل : المعنى :-

" وهنا " : أى : الولد ، " على وهن " : أى : الوالدة وضعفها .
والمراد : أنها حطته ، حسال كونه ضعيفا ، على ضعيف مثله ، وليس المراد : أنها حطته ، حال كونه متزايدا الضعف ، ليقال ان ضعفه لا يتزايد بل ينقص . (٢)

قلت :-

وفي الحقيقة ، إذا أمعنا النظر في هذه الأقوال ، فانا نجدها جميعا متلازمة ومترابطة ، فان المرأة في حقيقتها ضعيفة الخلقة ، والحمل في بدايته يكون ضعيفا ، ولكن تزايد ثقل الحمل على المرأة يزيد لها ضعفا ومشقة الى ضعفها الحقيقى والنفاس ، فانا اجاءها الطلق ، ازداد الحال مشقة ، ثم تبلغ المشقة قمتهما أو ان الوضع وأيام النفاس الأولى .

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ٦٤ . بتصرف .

(٢) روح المعاني / للألوسى / ج ٨٥ / ٢١ . بتصرف يسير .

ومن خلال هذه المراحل المفعمة بالتعب والأرق والمشقة والخوف ، يتبين لنا بوضوح ، مدى ما تعانيه الأم من شتى أنواع الآلام من أول أيام حملها الى أيام وضعها . ثم ما يعقب ذلك من الرضاع والرعاية والتربية .

ولهذا فان الولد مهما قدم لأمه من أنواع الجزاء والطاعة ، فانه لا يزال مقصرا . وقد جاء الحديث الشريف يبين ذلك ويحث عليه ، " عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك . (١)

فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ، ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب ، لذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، الأم ثلاث مرات ، وذكر الأب في الرابعة فقط ، وإذا توصل الى هذا المعنى ، شهد له العيان .

وذلك : ان صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع ، تنفرد بها الأم ، دون الأب ، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب . وروى عن مالك ، أن رجلا قال له : ان أبى فى بلد السودان ، وقد كتب الى أن أقدم عليه ، وأنى تمنعنى من ذلك . فقال له : أطع أباك ولا تعص أمك . فدل قول مالك هذا : أن برهما متساو عنده .

وقد سئل الليث عن هذه المسألة : فأمره بطاعة الأم ، وزعم أن لها ثلثى

البر .

(١) انظر / الجامع الصحيح / للإمام مسلم / ج ٨ / ص ٢ / باب بر الوالدين - كتاب البر والصلة والآداب / منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع .

① الفاء المنسب ١٦٧/٢
وهي قراءة لمحمد بن يوسف ، روى عنه جماعة والمحدثين
رحمنا ربهم وربهم

- ١٠٦ -

وحديث أبي هريرة يدل على أن لها ثلاثة أرباع البر وهو الحجة على من
خالف .

وقد زعم المحاسبى فى كتاب " الرعاية " : أنه لا خلاف بين العلماء أن للأُم ثلاثة
أرباع البر ، ولأب الربع ، على مقتضى حديث أبي هريرة " (١) .
وأرى أن الزعم هنا ، الاعتقاد وليس الادعاء .

وقوله : " وفصاله فى عامين " :

المقصود بالفصال هنا : الفطام . والمعنى : أن فصاله وفطامه ، يكون فى انقضاء
عامين .

وقرأ بعضهم : " وفصله " ، وهما لفتان . [مع الجمع المكتوب فى المتن]
وقد أشار الألوسى الى أن الفصل أعم من الفصال ، والفصال ههنا أوقع من الفصل ،
لأنه موقع يختص بالرضاع ، وإن رجعا الى أصل واحد على ما قال الطيبى .
يجب الجمع هنا
كتبت بفتح

ثم استطرد قائلا ، وظاهر الآية : أن مدة الرضاع عامان . وإلى ذلك :
ذهب الشافعى والامام أحمد وأبو يوسف ومحمد ، وهو مختار الطحاوى ، وروى عن
مالك .

وذهب الامام أبو حنيفة الى أن مدة الرضاع الذى يتعلق به التحريم ثلاثون
شهرا ، لقوله تعالى : " وحمله وفصاله ثلاثون شهرا " . ووجه الاستدلال : أنه
سبحانه وتعالى ، ذكر شيئين ، وضرب لهما مدة . فكانت لكل واحد منهما بكمالها ،
كالأجل المضروب للدينين على شخصين ، بأن قال : أجلت الدين الذى لى على
فلان ، والدين الذى لى على فلان ، سنة . فانه يفهم : أن السنة بكمالها لكل .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن / للقسوطى / ج ١٠ / ٢٣٩ .

« انظر / أحكام القرآن / للزمخشري / ١٨ / ٥ »

أو : على شخص : بأن قال : لفلان على ألف درهم وعشرة أقفزه الى سنة . فصدقه المقرله في الأجل . فإذا مضت السنة ، يتم أجسهما جميعا ، الا أنه قام النقص في أحدهما ، أعنى مدة الحمل ، لقول عائشة الذي لا يقال مثله الا سماعا . الولد لا يبقى في بطن أمه أكثر من سنتين ولو بقدر فلكة مغزل ، فتبقى مدة الفصال على ظاهرها ، وما ذكر هنا أقل مدته " . (١)

وعن أبي حنيفة في قول آخر : ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا ، وان أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ، ثم أرضعته فهو رضاع محرم " . (٢)

وقوله سبحانه : " أن أشكرلى ولوالديك " :

أن : هنا ، تحتل عدة وجوه :-

الوجه الاول : أن تكون مفسرة ، ويكون المعنى على هذا : " ووصينا الانسان بوالديه ^{هنا شكر}هنا شكر

أى أشكرلى ولوالديك . لا سيما وأن شروط " أن " المفسرة متوفرة هنا وهى : ^{الوجه الاول}

١ - أن تكون مسبوقه بجطة .

٢ - أن يكون بعدها جطة .

٣ - ألا تكون الجطة السابقة مشتطة على القول ، بل فى معنى القول .

الوجه الثانى : أن تكون مصدرية ، بتقدير لام التمليل قبلها ، وهو متعلق بوصيها .

الوجه الثالث : أن تكون مصدرية ، بلا تقدير ، على أن يكون المصدر بدلا من -

والديه - بدل اشتغال . وعليه كأنه قيل : أوصينا الانسان بوالديه بشكرهما .

(١) انظر / روح المعاني / للأوسى / ج ٢١ / ٨٦ .

(٢) انظر / الكشف / للزمخشري / ج ٣ / ٢٣٣ .

وذكر شكر الله تعالى ، لأن صحة شكرهما ، تتوقف على شكره عز وجل ، كما قيل في عكسه : من لا يشكر الناس لا يشكر الله " (١) . ولذا قرن بينهما في الوصية . (٢)

وقد اختلف في معنى الشكر هنا :-

ف قيل : ان الشكر لله تعالى يكون بطاعته سبحانه وامثال أوامره واجتناب نواهيه ، وفعل ما يرضيه كالصيام والصلاة والصدقة و . . . الخ .
أما الشكر بالنسبة للوالدين ! فيكون ببرهما وصلتهما وعدم اغضابهما والدعاء لهما .

وقيل : عن سفيان بن عيينه : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ، ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما " . (٣)

وقوله تعالى : " الى المصير " :-

المعنى : أن نعمة الله سبحانه وتعالى ، عامقة الدنيا والآخرة ، أما نعمة الوالدين فهي خاصة في الدنيا ، ولذلك فان المصير والرجوع بعد الحياة الدنيا اليه سبحانه فيجازى كلا على ما قدمه وما عظمه في دنياه " . (٤)

وأشار الألويس الى أن قوله سبحانه وتعالى " الى المصير " : تعليل لوجوب امتثال الأمر . فان الرجوع اليه سبحانه ، لا الى غيره ، فيجازى الانسان على ما صدر منه ، وخالف به أمر الله " . (٥)

(١) انظر / الجامع الصحيح / للترمذي / ج ٣ / ص ٢٢٨ / الطبعة الثانية /

٩٤ هـ - ٧٤٤ م / باب ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك .

(٢) ، (٣) روح المعاني / للألويس / ج ٢١ / ص ٨٦ ، ٨٧ بتصرف .

(٤) تفسير الرازي / ج ٢٥ / ١٤٧ . بتصرف .

(٥) روح المعاني / للألويس / ج ٢١ / ص ٨٧ . بتصرف .

بر الوالدين مما اتفقت عليه الشرائع وتطابقت على حسنه العقول :

ان بر الوالدين والا حسان اليهما وطاعتهما في غير معصية الله تعالى ، ومن الأمور التي اتفقت الشرائع عليه ، وتطابقت على حسنه العقول .

والحاكم في ذلك كله هو الاسلام ، فما وافقه قبلناه ، وما عارضه ردناه ، وما لم يوافق ولم يحارض ، قلنا ما علمنا الاسلام أن نقوله : "آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" . (١)

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه :

"كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية ، لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم" (٢) الآية .

أما تطابق العقول على ذلك ، فان هذا من الأمور المسلم بها عقلاً وعرفاً . فانه لا يوجد عاقل يرى أن بر الوالدين والا حسان اليهما خلق ذميم ، أو أن عقوبتهما من الأخلاق الحسنة .

وكذلك الحال بالنسبة للعرف . لأن من صنع اليك معروفاً فانه يجب عليك

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٦ .

(٢) انظر / صحيح البخاري / ج ٩ / ص ١٣٦ / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة دار مطابع الشعب .

أن تكافئه على صنيعه تجاهك ، حتى لو لم تجد ما تكافئه به ، فيجب عليك أن تدعوله حتى ترى أنك قد كافأته .

وهذا بالنسبة لمن صنع اليك معروفا ، وقد يكون هذا المعروف قليلا في تكاليفه وفي زمنه . فكيف بمن حملك في بطنه تسعة أشهر ثم سقاك لبنه وأفاض عليك حنانه ، وراك الرعاية الشاقة له المريحة لك حتى ترعرت وكبرت وذل لك ما يملك فكنت تنام وهو بجانبك ساهر ، وكنت تتمتع بالراحة والاطمئنان ، وهو يتحمل ألوان المشاق وأصناف المتاعب من أجلك حتى أنه ربما يتمنى أن يموت لتعيش أنت .

فماذا يكون جزاؤه بعد هذا ؟ ان الجزاء عظيم ، وأنه لمعظم جدا ، ولن يستطيع أحد أن يقوم به كاملا الا من وفقه الله لذلك .

واننى لأبتهل الى الله عز وجل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يوفقنا لطاعة والدينا وهرهما والاحسان اليهما في حياتهما وبعد موتهما .

قلت :

أولا : ومن هذه الآيات الكريمة تتضح لنا ، المبادئ الرفيعة ، والمثل العليا التي تملأ المرء إيمانا وثقة بربه . فهو سبحانه أرحم بعباده ، فأوصى الإنسان خيرا يألصق الناس به قرابة ، ومن المعلوم أن الموصى ، أكثر اهتماما ورحمة من الموصى اليه ، فإله يوصينا بآبائنا وأمهاتنا ،

ثانيا : قد ينسى الإنسان بعض النعم ، التي أسبغت عليه ، أو يتناسى ، فذكره القرآن بأمور لا يمكن له أن يجعدها مهما اشتد في طفليانه ، أو توغل في نسيانه ، فقد حطته أمه ووضعت وأرضعته وهي ضعيفة ، وهو كذلك ضعيف مما يؤكده أن ضعف الأم ، ومشقة الحمل ، لم يمنعها من التضحية ، فهي جديرة بالاحترام والتقدير .

ثم يلح القرآن الكريم الى ضعف هذا الإنسان ، الذي قد ينسى ، في خضم الحياة ، ضعفه الحاض ، ويطنفيه غروره ، فلا يذكر ضعفا سابقا ، فذكره القرآن الكريم بأن الضعف كان سابقا على قوته ، وسيطرأ لا محالة ، بمد قوته ، فما ينبغي نسيان تلك الحقيقة ، ثم ان نسيان تلك الوصية ، سيكون أيضا حين يتحول الى والد ضعيف فيوصي الله به أولاده .

وقد أرشد سبحانه الى مدة الحمل والرضاع ، وهي مدة ليست يسيرة فثلاثون شهرا من المكابدة والاعياء ، ليست بالأمر السهل ، فإذا أوجب عليه الشكر ، فهو عين العدل ، وأحق من يشكر ، هو المنعم الحقيقي سبحانه ، فقد نزل الصعاب ومهد الطريق ، وجعل المرحلوا في أعين الوالدين ، فكل ما يتمهما في سبيل أولادهما هي لذة الحياة في نظرهما ، فسبحان من أوجد اللذة من الألم .

ولذا فقد ختمت الآية ، وفيها انذار بالمكس ، فقد يوعظ من خلال اللذة ،
كما ألد من خلال الألم ، فالمصير اليه وحده ، والجزاء منه وحده ، وما كان لوجهه
جازى عليه بالاحسان ، وما كان لغيره ، طقاه بالرد والنكران .

هنا
لا تفسير

قال تعالى : "وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما".

الواو : للاستئناف .

ان : ترد "ان" المكسورة على أربعة أوجه . (١)

والذى يهمننا هنا ، هو ما يتعلق بالآية الكريمة الآتفة الذكر ، وهو :

ان : شرطية .

وفعل شرطها : جاهدك ، وجوابه : تطعهما .

(٢)

على : لعل : تسعة معان :-

والذى يتعلق بالآية الكريمة ، من هذه المعاني التسعة فى اعتقادى كما يلى :-

تحتل "على" فى الآية الكريمة عدة وجوه هى :-

الوجه الاول :

أن تكون للتعليل ، والمعنى على هذا : وان جاهدك لا شراك بى

فلا تطعهما ..

الوجه الثانى :

أن تكون موافقة للباء ، والمعنى على هذا : وان جاهدك بأن تشرك بى

فلا تطعهما ..

الوجه الثالث :

أن تكون للمجاوزة ، والمعنى على هذا : وان جاهدك مجاوزين الحد فى

الظلم ، حاملينك على الشرك فلا تطعهما .

(١) انظر / مفتى اللبيب / لابن هشام / ج ١ / ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق / ج ١ / ص ٢٧ وما بعدها .

أن : هنا في الآية الكريمة ، مصدرية ناصبة للفعل المضارع .

قوله : " بي " : - الباء هنا بمعنى : في . والمعنى : أن تشرك في .

ما : قال السيوطي : -

إذا وقعت " ما " قبل ليس ، أو قبل " لم " ، أو قبل " لا " ، أو بعد " الا " :

فهى موصولة ، مثل : -

- ١ - ما ليس لى بحق .
- ٢ - ما لم يعلم .
- ٣ - ما لا يعلمون .
- ٤ - الا ما علمتنا . (١)

وطى هذا فلكمة " ما " الموجودة معنا في الآية الكريمة : " موصولة " .

والمعنى على هذا : أن تشرك بي الذى ليس لك به علم .

ليس : فعل لا يتصرف . وقيل انه حرف ، والصواب : الأول .

وتلازم ليس ، رفع الاسم ونصب الخبر . وقيل : قد تخرج عن ذلك . (٢)

وقال ابن مالك : ترد للنفي الحام المستغرق ، المراد به الجنس . (٣)

و " ليس " الواردة في الآية الكريمة ، تعتبر من أخوات كان الناسخة ، التى ترفع

المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ، ويسمى خبرها .

لك : هذه اللام هى الجارة ، وهى تفيد اثنين وعشرين معنى . (٤)

والذى يهنا هو ما يتعلق بقوله سبحانه " لك " فى الآية الكريمة ، وهو فيها

بمعنى " عند " . والمعنى على هذا : " ما ليس عندك به علم " .

(١) الاتقان / للسيوطي / ج ١ / ص ١٧٧ / يتصرف .

(٢) معنى اللبيب / لابن هشام / ج ١ / ص ٢٩٣ / يتصرف .

(٣) انظر / الاتقان / للسيوطي / ج ١ / ص ١٧٧ .

(٤) انظر / معنى اللبيب / لابن هشام / ج ١ / ص ٢٠٨ .

فلا : تأتي " لا " على ثلاثة أوجه :-

- ١ - أن تكون نافية .
- ٢ - أن تكون موضوعة لطلب الترك .
- ٣ - أن تكون زائدة لتقوية الكلام وتوكيده . (١)

والذى يتعلق بالآية الكريمة من هذه الوجوه ، هو الوجه الثانى . وعلى هذا
فكلمة " لا " فى الآية الكريمة ، تفيد طلب الترك و جزم الفعل المضارع الذى بعدها .

أما معنى الآية الكريمة ، فهو :-

ان حرص الوالدان ، على أن يجعلاك تتبعهما فى دينهما - الذى هو الاشراك
بالله - فلا تطعهما ، ولا يمتصك ذلك من مصاحبتهم وبرهما ، والا حسان اليهما
فى الدنيا مصروفا .

وقد أشار الألوسى الى أن المراد : " استمرار نفى العلم ، لا نفى استمراره
فلا يكون الاشراك تقليدا .

أما الزمخشري ، فيرى أن المراد بنفى العلم ، نفى ما يشرك ، أى : لا تشرك بى
ما ليس بشئ " ، كما فى قوله سبحانه : " ما تدعون من دونه من شئ " .

وجعله الطيبى من باب : نفى الشئ بنفى لازمه ، وذلك أن العلم ، تابع
للمعلوم ، فإذا كان الشئ معدوما ، لم يتعلق به موجود .
ثم استطرد الألوسى بعد ذلك قائلا :

وفى الكشف أن الزمخشري أراد أنه بولغ فى نفى الشريك ، حتى جعل كلا
شئ " ، ثم بولغ حتى ما لا يصح أن يتعلق به علم ، والمعدوم يصح أن يعلم ، ويصح

أن يقال انه شيء ، فادخل في سلك المجهول مطلقا ، وليس من قبيل نفى العلم لنفى وجوده " . (١)

وعندى : أن الآية الكريمة ، تقرر مبدأ هاما ، وهو : أولوية الحقوق ، فلما كان المولى هو صاحب الحقوق كلها ، بإيجاده وانعامه ، كانت طاعته أولى وأحق من طاعة ما سواه . وحقوق الوالدين تأتي بعد ذلك ، فان تعارضت مطالبهما مع حق الله ، فحق الله تعالى أولى بالتقديم ، وتلغى مطالبهما التي ليس في تنفيذها ، برّ لهما ولا مصلحة ، فالتوحيد حق الله ولا مصلحة للوالدين في شرك ولد ههما ، وطلبهما منه ذلك مجاوزة واعتداء .

ولذا أمر الولد ، بعدم طاعتهما في ذلك ، فالحق أحق أن يتبع وماذا بعد الحق الا الضلال المبين .

أما قوله : " ما ليس لك به علم " فلا مفهوم له . ان لا يوجد شرك بعلم وانما كل شرك منشؤه الجهل ، فالآية توضح الواقع نحو قوله : " ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به " ان لا يوجد داع مع الله الها آخر وله برهان ، كما تقول : " صل ركعتين شرعيتين " ان لا يوجد صلاة ركعتين الا مشروعة .

والمراد بالحلم : النفى : أى الحجة كأنه يقول : وان جاهدك على أن تشرك بى ما لا حجة لك عليه " .

(١) روح المعاني / للألويس / ج ٨٧ / ٢١ . بتصريف يسير .

لقد جاء في الحديث الشريف
 (السلام) من اجل ما قبله ورواه حماد (١)
 لمؤلفه جليله

- ١١٧ -

بيان ما يطاع فيه الوالدان وما لا يطاعان فيه :

ان طاعة الوالدين من الأمور المسلم بها ، لدلالة العقل عليها ، واقتضاها
 المعروف وجوب الحمل بها .

فضلا عن ورود كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تأمر بذلك وتحث
 عليه ، وتتوعد المقصر فيه بالعقاب الأليم والعذاب الشديد يوم الجزاء والحساب .

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك ، على سبيل المثال ، لا الحصر :

١ - قوله تعالى : " وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، أما
 يبيلفن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما
 قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
 صغيرا " . (١)

٢ - قوله تعالى : " قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين
 احسانا " . (٢) الآيات .

أما الأحاديث الشريفة الدالة على ذلك ، فهي كثيرة ، ومنها على سبيل

المثال لا الحصر :-

ما ورد في صحيح البخاري : " عن عبد الله قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم
 أي العمل أحب الى الله عز وجل ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أي ؟ قال :
 ثم برّ الوالدين ، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال حدثني بهسن
 ولو استزدته لزادني " . (٣)

(١) سورة الاسراء - آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الانعام - آية : ١٥١ .

(٣) صحيح البخاري / ج ٢ / ٨ / باب قول الله تعالى : " ووصينا الانسان
 بوالديه " / كتاب الأدب / دار مطابع الشعب .

فأخبر صلى الله عليه وسلم ، أن برّ الوالدين ، أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الاسلام ، ورتب ذلك بـ " ثم " التي تفيد الترتيب والمهلة ، وكما أمر الاسلام بطاعتهم ، أمر أيضا بعدم التعرض لسيئهما ، وأن ذلك من الكبائر ، " عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أباه ، فيسب أبيه ، ويسب أمه " . (١)

وإذا كان بر الوالدين ، موافقتهم على أغراضهم ، فإن عقوبتهم : مخالفتهم في أغراضهم الجائزة لهم .

فلو أمر أحدهما أو كلاهما ولدهما بأمر ، وجبت طاعته لهما إذا لم يكن ذلك الأمر معصية لله تعالى . حتى ولو كان ذلك الأمر من قبيل المباح أو من قبيل المندوب .

وأشار القرطبي الى أن البعض ، يرى أن أمرهما بالمباح يصيره في حق الولد مندوبا ، وأمرهما بالمندوب ، يزيده تأكيداً في نديته " . (٢)

وإذا كان الوالدان كافرين ، فيجب كذلك على الولد برهما والاحسان اليهما ومصاحبتهما صحابا حسنا ، قال تعالى : " وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً " (٣) الآية .

وفي الحديث الشريف : " عن أسماء قالت : قدمت أمى وهى مشركة - فى عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم - مع أبيها ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ان أمى قدمت وهى راغبة ، فأصلها ؟ قال : نعم ،

(١) انظر / صحيح البخارى / ج ٨ / ص ٣ / باب : لا يسب الرجل والديه

- كتاب الأدب / دار مطابع الشعب .

(٢) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٠ / ص ٢٣٨ / بتصرف .

(٣) سورة لقمان - آية : ١٥ .

صلى أمك * . (١)

وهر الوالدين لا يختص بهما في حالة حياتهما فحسب ، بل يمتد حتى فسي
حالة موت أحدهما أو كلاهما ، ويكون ذلك بالدعاء لهما والا ستغفار لهما وصلة
رحمهما وصلة أهل ودهما .

"عن ابن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ان أبر البر ،
أن يصل الرجل أهل وده أبيه" (٢)

وفي رواية عن أبي اسيد مالك بن ربيعة قال بينما نحن عند النبي صلى
الله عليه وسلم ان جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله : أبقى من ير
أبوى شيء أبرهما به من بعد موتهما ؟ قال : نعم : الصلاة عليهما والا ستغفار
لهما ، وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم ، التي
لا توصل الا بهما (٣)

وكان صلى الله عليه وسلم يهدي لصدائق خديجة ، برا بهما ووفاء لهما ،
وهي زوجته ، فما ظنك بالوالدين ؟ (٤)

وجملة ما تقدم ، أن طاعة الوالدين واجبة في غير معصية الله تعالى فلا

(١) انظر / صحيح البخاري / ج ٨ / ص ٥ / باب صلة المرأة أمها ولها

زوج - كتاب الأدب .

(٢) انظر / سنن الترمذي / ج ٣ / ص ٢٠٩ / باب : في إكرام صديق الوالد /
أبواب البر والصلة / الطبعة الثانية .

(٣) انظر / سنن ابن ماجه / ج ٢ / ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ / باب : صل من كان
أبوك يصل .

(٤) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٠ / ٢٤٠ وما بعدهما بتصرف .

(١) تراعى فى ركوب كبيرة ، ولا فى ترك فريضة على الأعيان ، وتلتزم طاعتهما فى الصاجات .
أما اذا أمره أحدهما أو كلاهما بمعصية لله سبحانه وتعالى ، فليس عليه طاعتهما ، بل يجب عليه معصيتهما ، حيث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وقوله سبحانه : " وصاحبهما فى الدنيا معروفا " :-

أى : يجب على الولد أن يصاحب والديه فى هذه الدنيا أصحابا حسنا ، يفيض بحسن الخلق ، وشدة الاحتمال ، كما يرتضى ذلك ، الشرع وتوجيه المروءة ، ويقتضيه الكرم ، ومن ذلك : اطعامهما وكسوتهما ، وعدم جفائهما ، أو انتهارهما ، وزيارتهم إذا مرضا ، ومواراتهم إذا ماتا .

وقد ورد فى قوله سبحانه " فى الدنيا " أقوال هى :-

- ١ - ورد ذلك للإشارة الى تهوين مدة الصحبة ، وأنها ليست سوى أيام قلائل سرعان ما تنقضى ، فلا يضر تحمل مشقتها ، مهما كانت .
- ٢ - وقيل : ان ذلك إشارة الى أن الرفق بهما ، انما يكون فى الأمور الدنيوية دون الدينية .

٣ - وقيل : ان ذلك لمقابلته بقوله سبحانه : " ثم الى مرجعكم " . (٢)

وأرى : أن هذه الأقوال ، لا تتسم بالدقة ، فإذا فرضنا المصاحبة فى الدنيا لقصر المدة ، قلنا : وهل توجد مصاحبة فى غير الدنيا ؟
ان فى الآخرة . يشغل كل انسان بحاله " يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه ومنه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " . (٣) وهذا فى وقت الحشر

(١) انظر / المرجع السابق / ج ١٤ / ص ٦٤ / بتصرف .

(٢) روح المعاني / للآلوسى / ج ٨٧ / ٢١ . بتصرف .

(٣) سورة : عبس / آية : ٣٤ : ٣٧ .

والحساب ، وتأتى الصحبة العامة بين المقتنين جميعا ، قال تعالى : " الا خلا " يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المقتنين " . (١)

اما القول : بان الصحبة قاصرة على أمور الدنيا ، دون امور الدين ، فتفريق

بين الدين والحياة ، وعزل للاسلام عن الحياة ، وهذا لا يقبله من يعرف دينه . وايضا ، اذا كانت الصحبة مقيدة بالمعروف ، فهي فى الأمور التعبدية ، أشد طلبا من الزاد من الأمور الدنيوية . ومقابلة قوله " فى الدنيا " ، بقوله : " ثم الى مرجعكم " : انما هى مقابلة الجزاء على العمل فى الدنيا .

وأرى : ان تقييد الصحبة بالدنيا ، لأنه الواقع ، وايضا ، الدنيا هى موضع كسب

الابتلاء ، فلكى لا يشذ الانسان ، ذكرا بوجوب الصحبة ، ولم تفرض عليه فرضا عاريا من الفائدة ، بل هى مقيدة بالمعروف عقلا وشرعا وعرفا .

وقوله سبحانه : " واتبع سبيل من اناب الى " :-

أى : عليك بعد ذلك ان تلتزم فى دينك وفى حياتك كلها ، طريق المؤمنين ، المقتنين آثار الأنبياء والمرسلين . وهو طريق الاخلاص والطاعة ، والا ستقامة على توحيد الله تعالى ، واتباع مرضاته وأوامره ، واجتناب نواهيه وكل ما يخفضه .

وقد اختلف فى المأمور فى الآية والذي اناب فيها ، كما يلى :-

- ١ - " حكى النقاش : أن المأمور سعد ، والذي اناب ، أبوبكر . وقال : ان أبوبكر لما سلم ، أتاه سعد وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان ، وطلحة وسعيد ، والزبير ، فقالوا : آمنت ؟ قال : نعم . فنزلت فيه : " أم من هو قانت آنا الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه " (٢) . فلما سمعها الستة ، آمنوا .

(١) سورة الزخرف / آية : ٦٧ .

(٢) سورة : الزمر / آية : ٩ .

فأنزل الله تعالى : " والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأناابوا الله
الله لهم البشري فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين هداهم الله " . (١)

وقد ذكر الواحدى فى اسباب النزول : ان قوله تعالى : " واتبع سبيل من
أناب الى " : نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، قال عطاء : عن ابن عباس
يريد أبابكر ، وذلك أنه حين اسلم ، أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى
وقاص ، وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير ، فقالوا لأبى بكر رضى الله عنه
آمنت وصدقت محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فقال أبوبكر نعم . فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا وصدقوا ، فأنزل الله تعالى ، يقول لسعد :
" واتبع سبيل من أناب الى " . يعنى أبابكر رضى الله عنه " . (٢)

٢ - وقيل : الذى أناب : النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ - وقيل : قال ابن عباس : لما أسلم سعد ، أسلم معه أخواه عامر وعويمر
فلم يبق منهم مشرك الا عتبة " . (٣)

قلت : وسواء كان الذى أناب هو النبى صلى الله عليه وسلم ، او أبوبكر ، او سعد ،
فان المعنى المستفاد من ذلك هو : اتباع طريق الانبياء والصالحين ، لان العبرة
بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، والامة مخاطبة فى شخص نبيها ، وطى هذا فيحصل
الأمر ، فى الآية ، لسبب العالم ، دون تخصيص أحد ، دون أحد ، ويجب تنفيذ
ذلك والعمل بمقتضاه من جميع المكلفين .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / ج ١٤ / ص ٦٦ .

والآيتان : من سورة الزمر / آية : ١٧ ، ١٨ .

(٢) انظر : اسباب النزول / للواحدى / ص ٢٣٣ / طبعة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م /
الناشر : الحلبي وشركاه .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / ج ١٤ / ص ٦٦ .

وقوله سبحانه : " ثم إلى مرجعكم فأنبيئكم بما كنتم تعملون " .

أي : بعد هذه الحياة الدنيا ، مرجعكم ورجعهم إلى " ، فأجازي المؤمن على إيمانه ، والكافر على كفره ، وذلك بعد البحث والنشور ، حيث يجد كل واحد صحيفة تشتمل على كل ما عمله المرء في دنياه ، وقد مه لأخراه ، فان عمل خيرا وجده كذلك ، وان عمل شرا وجده كذلك . قال تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " . (١)

وقد ذكر الرازي في قوله سبحانه " فأنبيئكم " لطيفة وهي :-

ان الله تعالى يقول : لا تظنوا اني غائب عنكم ، وآباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرون في الحال ، اعتمادا على غيبتى وعدم علمي بمخالفتكم اياي ، فاني حاضر معكم اعلم ما تفعلون ولا أنسى ، فأنبيئكم بجمعهم " . (٢)

(١) سورة الزلزلة : آية : ٧ ، ٨ .

(٢) انظر / التفسير الكبير / للرازي / ج ٢٥ / ص ٣٦ .

الفصل الرابع

في تفسير قوله تعالى : " يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله
لطيف خبير " .

وذلك ببيان ما يلي :-

١ - بيان ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى ، أخذاً من الآية الكريمة

حيث اشتطت على صفتين :

أ - صفة القدرة .

ب - صفة شمول علمه سبحانه .

٢ - تفسير الآية الكريمة .

وهذا هو تفصيل ذلك .

نفس هذا النفس يا ابن آدم
الوصف في البرهان من ربي
البرهان يا ابن آدم

قال تعالى : " يا بنى انهار ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى
السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير " . (١)

١ - ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى ، اخذا من الآية الكريمة :-

هذه الآية الكريمة تشتمل على صفتين من صفات الله تعالى جل شأنه

هما :

أ - صفة القدرة .

ب - صفة العلم .

١ - صفة القدرة :-

قوله سبحانه : " يأت بها الله " : دال على قدرته ، فلا يعجزه شئ ، وهو
قادر على كل ممكن ، صالح للوجود والعدم ، ان هو مجال عمل القدرة وتعلقها
ولا ينافى أحد من العقلاء فى قدرة الله ، وانما النزاع الذى وقع بين بعض المتكلمين
فى تعلق القدرة .

- فعند الجمهور : انها تتعلق بكل ممكن .

- وعند الفلاسفة : لا تتعلق الا بممكن واحد ، بناء على زعمهم الفاسد :

" من أن الواحد لا يصدر عنه الا اثر واحد " .

- وقالت الصابئية : الكواكب هى التى تفعل . وهكذا ضلوا . فلا فاعل

غير الله . ويرد عليهم :

بتوأم : أحدهما سعيد والآخر شقى ، فهل يمكن للكواكب أن تفعل مثل هذا ؟
أو أنه من غير ريب تدبير العزيز الحكيم .

السورة: ص ١٢٦ / ج ٢ / من ص ٣٤٧ : ص ٣٥٢ .
 المبدأ الثاني : لا يقدر على الشر .
 المبدأ الثالث : لا يقدر على القبيح .
 المبدأ الرابع : لا يقدر على العبد .

- ١٢٦ -

السورة

- وقالت الثانوية : لا يقدر على الشر .

- وقال النظام من المعتزلة : لا يقدر على القبيح .

وجهة نظرهم : أن القدرة على فعل القبيح أو الشر ، تنافي الرحمة أو تنافي جلال الألوهية . ويرد عليهم بما يلي :-

أنه لو سلم أنه لا يفعل القبيح أو الشر ، فوجود صارف عن ذلك اقتضته الحكمة الالهية ، وهذا لا ينافي القدرة عليه .

وقال ابوالقاسم البلخي :- لا يقدر على مثل فعل العبد ، لأن فعله اما طاعة أو معصية أو عبث . وأفعال الله منزهة عن كل هذا .

وجوابه :-

أن هذا التقدير بالنسبة لنا ودواعينا ومقاصدنا . فلا يقاس على ذلك فعل الباري سبحانه .

- وقالت الجبائية : لا يقدر على عين فعل العبد .

ويرد عليهم :

بأن هذا مبني على تأثير القدرة الحادثة ، وفيه نظر . (١)

(١) خلاصة ما جاء في المواقف / للإيجي / ج ٢ / من ص ٣٤٧ : ص ٣٥٢ .

و " " " المقاصد / للتفتازاني / ج ٢ / " ص ٧٢ : ص ٨٧ .

ب : صفة العلم وشموله :-

ونذلك من قوله : " ان الله لطيف خبير " :-

هذا التعبير بصيغة المبالغة ، يقتضينا أن نتعرض لبحثين في العلم ، ذكرهما علماء الكلام هما :-

الاول : في الدليل على ثبوت علمه سبحانه وتعالى ، وخلاصته :-

١ - أنه يستدل عليه بالفعل المتقن المشاهد في الأرض والسموات ، ذلك الفعل المتقن ، لا يصدر الا عن عالم مدبر ، ان الاتقان ، يستحيل صدوره عن غير قصد أو عن جهل ، قال تعالى : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " . (١)

وقال تعالى : " يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير " . (٢)

٢ - أنه قادر ، وكل قادر عالم ، ذلك أنه لا يرتاب أحد في قدرته ، والجهل نقص ، والقادر لا يقبل على نفسه النقص .

الثاني : عن شمول علمه ، ان لا يعزب عنه شيء ، يعلم المستحيل والواجب والممكن .

وخالف في ذلك بعض الفرق الضالة ، كالدهرية ، وقدماة الفلاسفة ، ومن يرى أنه لا يعلم المتغير أو المحسوس ، أو غير المتناهي ، " كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا " . (٣)

(١) سورة الطلک - آية : ٤ .

(٢) " الحديد آية : ١٤ .

(٣) " الكهف آية : ٥ .

والى هذه الفرق الضالة يقول الحق تبارك وتعالى : " وما كنتم تستترون
أن يشهد عليكم سمكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا
ما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين .
فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعذبوا فما هم من المعتبين . وقيضنا لهم
قرناء فزيّنا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول فى أمّ قد خلت من
قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين " . (١)

وشبهة هؤلاء : أن المتغير أو المحسوس يقتضى تغير العلم ، ونسوا أن
التغير فى التعلق ، أما العلم فهو واحد لا يتغير . وادراك المحسوس انما
يحتاج الى آلة جسمية ، اذا كان العلم هو حصول الصورة ، وعلم الله سبحانه
فعلى سابق أزلى وانفعالى بعد الواقع ، ليس فيه جديد وانما به تقوم الحجة على
خلقه . وهذا معنى قوله : " ولنبلوّنكم حتى نعلم المجاهدين منكم " . (٢)
والله جل شأنه عالم بما كان وما هو كائن وما سيكون . (٣)

(١) سورة فصلت - من آية ٢٢ : ٢٥ .

(٢) سورة محمد : آية - ٣١ - .

(٣) خلاصة ما جاء فى المواقف / للإيجى / ج ٢ / من ص ٣٥٢ : ٣٥٧ .

و " " " المقاصد / للتفتازانى / ج ٢ / من ص ٨٧ : ٩٤ .

هكذا إعراب (الكثير)

٢ : تفسير الآية الكريمة :

قال تعالى : " يا بني " انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة
أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير .

الياء : حرف نداء ، و : بنى : منادى .

انها : ان : حرف ناسخ ، والهاء اسمها .

واختلف في الهاء . هنا ، فقيل :

(١) انها كناية عن المعصية والخطيئة . والمعنى على هذا : يا بني ان المعصية

ان تك مثقال حبة من خردل . أو : ان الخطيئة .

(٢) وقيل : هي : عماد . (١)

(٣) وقيل : وهو كما ترى : انها : أى التى سألت عنها . فقد روى أن لقمان

سأله ابنه : أرايت الحبة تقع في مفاص البحر ، أيطمها الله تعالى ؟ .

فقال : يا بني : انها ، أى التى سألت عنها " . (٢)

ان : شرطية . وفعل الشرط : تك ، وجوابه : يأت .

مثقال : قرىء بالرفع وبالنصب ✕

فأما من قرأ بالرفع ، فجعل الضمير للقصة ، و " تك " مضارع " كان " التامة ،

والتانيث لاضافة الفاعل الى الموءنت ، كما في قول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته . . . كما شرقت صدر القناة من الدم (٣)

(١) تفسير الطبرى / ج ٢١ / ص ٧١ / يتصرف .

(٢) انظر / روح المعاني / للألوسى / ج ٢١ / ص ٨٨ .

(٣) انظر / المرجع السابق / ج ٢١ / ص ٨٨ .

وقيل : قراءة الرفع : على أن الخبر مضمّر ، كأنه قيل : ان تك ، في موضع مثنى
حبة ، لأن النكرات تضمّر أخبارها ، ثم تترجم عن المكان الذي فيه مثنى
الحبة .

وقراءة النصب : على أن في " تكن " اسما مضمرا مجهولا . (١)

قوله : " فتكن " : جاء بالفعل لفائدة الاجتماع ، لأن الفاء للاتصال بالتحقيب . (٢)

المعنى :- قوله : " يابني " : هذا رجوع الى القصة ، لذكر بقية ما أريد حكايته
من وصايا لقمان لابنه ، التي كان في مطلعها النهي عن الشرك .

وقوله : " انها ان تك مثنى حبة " : أى : ان المظلمة أو الخطيئة ، لو كانت
مثلا في الصغر ، كحبة الخردل . والمثنى ما يقدر به غيره لتساوى
ثقلهما وهو في الحرف معلوم . (٣)

وقوله تعالى : " فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله " :-
المعنى : - قرن قوله " تكن " بالفعل لفائدة الاجتماع المفيد للاتصال والتحقيب
والمعنى : ان كانت صغيرة ، وهى مع صغرها خفية في موضع حريز ، كجوف الصخرة
مثلا ، أو في ^{العالم} العلم الملوئ أو السفلى ، فانها لا تخفى على الله أبدا ، ولابد
أن يأتى بها الله يوم القيامة ، فيحاسب عليها .

وقيل : المعنى :- " في أخفى مكان وأحرزه ، كجوف الصخرة أو أعلاه ، كحشد
السموات ، أو أسفله كقعر الأرض . ولا يخفى أنه لا دلالة في النظم على

(١) انظر / المرجع السابق / ج ٢١ / ص ٨٨ .

(٢) بتصريف يسير / تفسير الطبرى ج ٢١ / ص ٧٢ .

(٣) بتصريف / تفسير الرازى / ج ٢٥ / ص ١٤٨ .

تخصيص المحذب والمقصر ، ولعل المقام يقتضيه ، ان المقصود المبالغة .
وفى قوله تعالى : " فى السموات " : لا يأتى ذلك ، لأنها ذكرت بحسب المكانية .
أو : للمشاكلة ، أو : هى بمعنى : على ، وعبر بها للدلالة على التمكن ومع هذا
الظاهر ما تقدم .

وفى البحر : أنه بدأ بما يتعقله السامع أولاً ، وهو كينونة الشئ فى صخرة ،
وهو ما صلب من الحجر وعسر الاخراج منه ، ثم أتبعه بالظلم العلوى ، وهو أغرب
للسامع ، ثم أتبعه بما يكون مقر الأشياء ، للشاهد . وهو الأرض . (١)
وهنا قد يقول قائل : " ان الصخرة لا بد أن تكون فى السموات أو فى الأرض .
فما الفائدة فى ذكرها ؟ .

ويجاب عن ذلك بما يلى :-

أولاً : قول بعض المفسرين ، أن المراد بالصخرة ، صخرة عليها الشور ، وهى
ليست فى السماء ولا فى الأرض .

ثانياً : قال الزمخشري : ان فيه اضماراً ، تقديره : فتكن فى صخرة أو فى موضع
آخر فى السموات أو فى الأرض .

ثالثاً : أن نقول : ان تقديم الخاص ، وتأخير العام ، فى مثل هذا التقسيم جائز .
أما تقديم العام وتأخير الخاص فغير جائز . أما الثانى : فلما بينتم أن من
قال : هذا فى دار زيد أو فى غيرها أو فى دار عمرو ، لا يصح . لأن دار
عمرو ، داخلية فى قوله : " أو فى غيرها " .

(١) انظر / روح المعاني / للألويس / ج ٢١ / ٨٨ .

والخلاصة / حاشية الربيع / فى تفسير البيهقي - ٧٤ / ١٢٦

وأما الأول : فلأن قول القائل : هذا في دار زيد أو في دار عمرو أو في غيرها .
صحيح غير قبيح . فذلك ههنا قدم الأخص .
أو تقول : خفاء الشيء يكون بطرق منها :-
أن يكون في غاية الصغر .

ومنها : أن يكون بعيدا .

ومنها : أن يكون في ظلمة .

ومنها : أن يكون من وراء حجاب .

فان انتفتت الأمور بأسرها ، بأن يكون كبيرا ، قريبا ، في ضوء . من غير
حجاب . فلا يخفى في العادة . فأثبت الله الروئية والعلم مع انتفاء الشرائط .
فقوله : " ان تك حبة " : اشارة الى الصغر . وقوله : " فتكن في صخرة " : اشارة
الى الحجاب . وقوله : " في السموات " : اشارة الى البعد ، فانها أبعد الأبعاد
وقوله : " في الأرض " : اشارة الى الظلمات . فان جوف الأرض ، أظلم الأماكن .
وقوله : " يأت بها الله " : أبلغ من قول القائل " يعلمها الله " . لأن من يظهر له الشيء
ولا يقدر على اظهاره لغيره ، يكون حاله في العلم ، دون حال من يظهر له الشيء
ويظهره لغيره ، فقوله : " يأت بها الله " : أي : يظهرها الله للأشهاد . (١)

وهذا الاظهار : " اما على ظاهره ، واما ان الله يجعله كالحاضر المشاهد ،
لذكره والاعتراف به " . (٢)

ما المراد بالصخرة الواردة في الآية الكريمة ؟

أهم الأقوال في ذلك ما يلي :-

(١) تفسير الرازي / ج ٢٥ / ص ١٤٨ / بتصريف يسير .

(٢) انظر / روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ص ٨٩ .

- ١ - عن ابن عباس والسدى : أن هذه الصخرة هي التي عليها الأرض .
 - ٢ - وقيل : هي صخرة في الريح .
 - ٣ - وقال ابن عطية : وكل ذلك ضعيف لا يثبت سنده ، وإنما معنى الكلام المبالغة والانتها في التفهيم ، أي : أن قدرته عز وجل ، تنال ما يكون في تضاعيف صخرة ، وما يكون في السماء وما يكون في الأرض . (١)
- أما قوله : " فتكن " : فقد ورد فيها عدة قراءات هي كما ذكر الألويسي :-
- قرأ عبد الرحيم الجزري : " فتكن " : بكسر الكاف وشد النون وفتحها .
 - وقرأ محمد بن أبي فجة البعلبكي : " فتكن " : بضم التاء وفتح الكاف والنون مشددة .
 - وقرأ قتادة : " فتكن " : بفتح التاء وكسر الكاف وسكون النون ، ورويت هذه القراءة عن الجزري أيضا .
- والفعل في جميع ذلك من : وكن الطائر ، إذا استقر في وكنته أي : عشه .
- ففي الكلام استعارة أو مجاز مرسل ، ~~بفتح الشين~~ ^{مجرى} ، والضمير للمحدث عنه فيما سبق . وجوز أن يكون للابن والمعنى : أن تخفت أو تخف وقت الحساب يحضرك الله تعالى ، ولا يخفى أنه غير ملائم للجواب ، أعني قوله : " يأت بها الله " . (٢)

وعندي : أن الآية في غاية الوضوح ، فهي تشير إلى أن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا يعجزه شيء ، مهما دق الشيء أو استعصى ، فإن الله عالم به ، قادر عليه .

(١) المرجع السابق / ج ٢١ / ٨٩ / بتصرف .

(٢) انظر / المرجع السابق / ج ٢١ / ٨٩ .

وقوله : " ان الله لطيف خبير " : أى : أن الله سبحانه وتعالى ، تتفد قدرته ويصل علمه الى كل خفى ، ويعلم كنهه ، مهما تناهى فى الصغر والقماء كما يعلم كنهه وسره مهما كان مكتوما متواريا .

" وعن قتادة : لطيف باستخراجها ، خبير بمستقرها .

وقيل : ذو لطف بعباده ، فيلطف بالاثيان بها بأحد الخصمين ، خبير عالم بخفايا الأشياء " . (١)

(١) انظر / المرجع السابق / ج ٢١ / ص ٨٩ .

الفصل الخامس

" فـى ما يتعلق برأس العبادات البدنية "

- وذلك أخذاً من قوله تعالى : " يا بنى آدم اقم الصلاة " .
- ويتم البحث فى هذا الفصل فى ضوء النقاط التالية .
- (١) الصلاة مشروعة فى جميع شرائع الله تعالى ، ولأهميتها أمر لقمان بها ابنه .
 - (٢) منزلة الصلاة فى الاسلام .
 - (٣) فرضية الصلوات الخمس .
 - (٤) معنى الصلاة فى اللغة وفى الشرع .
 - (٥) معنى إقامة الصلاة .
 - (٦) الصلاة قوة خلقية تعود صاحبها الطاعة .
 - (٧) الصلاة طهارة للنفس من الآثام ، وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات .
 - (٨) الصلاة نظافة وتجل .
 - (٩) فى الصلاة رياضة بدنية .
- وهذا هو التفصيل :-

١ - الصلاة مشروعة في جميع شرائع الله تعالى ، ولأهميتها أمر لقمان بها ابنه :

ان الشرائع السماوية ، لم تخسل من فريضة الصلاة ، منذ أول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام ، يدعو الله تعالى في سورة ابراهيم بأن يجعله مقيما للصلاة ، ومن ذريته كذلك وذلك في قوله تعالى : " رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء " . (١)

وكذلك في قوله سبحانه : " ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " . (٢)

ويخبرنا تعالى عن سيدنا شعيب عليه السلام وعن قول قومه له ، وذلك في قوله تعالى : " قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لآنت الحليم الرشيد " . (٣)

أما سيدنا اسماعيل عليه السلام فان الله تبارك وتعالى ، يخبرنا عنه ، بأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وقد فاز برضاء ربه سبحانه ، وذلك في قوله تعالى : " واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا " . (٤)

(١) سورة ابراهيم - آية - ٤٠ - .

(٢) " " " - ٣٧ - .

(٣) " هود " - ٨٧ - .

(٤) " مريم " - ٥٤ ، ٥٥ - .

وإذا انتقلنا الى سيدنا موسى عليه السلام ، فإننا نجد المولى تبارك وتعالى يأمره بإقامة الصلاة لذكره سبحانه ، وذلك في قوله جل ذكره : " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى " . (١)

وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يتوجه الى المولى تبارك وتعالى ويدعوه بان يرزقه ذرية طيبة ، فيستجيب الله دعاءه ، ويأتيه النداء ، وهو قائم يصلى فى المحراب حاملا معه البشرى بذلك ، يخبرنا عن ذلك المولى تبارك وتعالى بقوله جل ذكره : " هنالك دعا زكريا ربه قال رب هبلى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله ييشرك بيحى مصدقا بكملة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين " . (٢)

أما سيدنا لقمان الحكيم فإنه يوصى ابنه بمواعظ كثيرة ومن ضمن ذلك أمره اياه بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما أصابه . يخبرنا عن ذلك ربنا سبحانه وتعالى وذلك فى قوله جل ذكره : " يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور " . (٣)

وهذا سيدنا عيسى عليه السلام يخبر أن الله تبارك وتعالى أوصاه بالصلاة والزكاة ، ما دام حيا . وذلك فى قوله سبحانه : " وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا " . (٤)

أما سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فإن الله تبارك وتعالى

(١) سورة طه - آية : ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) سورة لقمان - آية : ١٧ .

(٤) سورة مريم - آية : ٣١ .

يأمره بها ، فى محكم تنزيله ، وذلك فى قوله جل ذكره : " أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون " . (١)

وفى آية أخرى ، يأمره سبحانه ، بأن يأمر أهله بها والاصطبار عليها ، وذلك فى قوله تعالى : " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والحاقبة للمتقوى " . (٢)

وفى آية ثالثة ، يأمره سبحانه بإقامتها طرفى النهار وزلفا من الليل ، لما فى ذلك من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، وذلك فى قوله سبحانه : " وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان أحسنات يذبحن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " . (٣)

~~لما كيفية الصلاة التى أوحى بها لقمان ابنه فى قوله سبحانه : " يا بني اقم الصلاة " . فأغلب طغى أنها كصلاتها ، والله أعلم .~~

٢ : " منزلة الصلاة فى الاسلام " :

عنى الاسلام بالصلاة عناية فائقة ، وشد فى اقامتها كل التشدد ، كما حذر من تركها ، وأوحى مجرد التهاون بها ، وذلك لأهميتها العظمى ، حيث أنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ، " عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس : شهادة ألا اله الا الله

(١) سورة المئكبوت - آية : ٤٥ .

(٢) " طه " : ١٣٢ .

(٣) " هود " : ١١٤ .

وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان " . (١)

ولذلك فهي عمود الدين ، إذا أقامها المرء كما ينبغي ، بجميع أركانها
وواجباتها وشروطها ومستلزماتها ، فقد أقام الدين ، وإذا أهملها وضيعها فقد
هدم الدين وضيعه .

وهي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة من الأعمال ، فإن قبلت كان
ذلك إيذاً بتيسير حسابيه ، فيما بقى بعدها ، وإن ردت - والعياذ بالله من
ذلك - كان ما بعدها من الحساب ، أشد وأعسر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم .

" عن هرويث بن قبيصة قال : قدمت المدينة ، فقلت : اللهم يسر لي جليسا
صالحا ، قال : فجلست الى ابي هريرة ، فقلت : انى سألت الله أن يرزقني جليسا
صالحا ، فحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعن الله
أن ينفعنى به .

فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ما يحاسب به العبد
يوم القيامة من عمله ، صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح ونجح ، وإن فسدت فقد خاب
وخسر .

فان انتقص من فريضة شيئا ، قال الرب تبارك وتعالى : انظروا : هل لعبدي
من تطوع ، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة . ثم يكون سائر عمله على ذلك " .

(١) انظر / صحيح البخارى / ج ١ / ص ٩ / باب : دعاءكم ايمانكم / كتاب
الايمان / دار مطابع الشعب .

وانظر الجامع الصحيح / للإمام مسلم / ج ١ / ص ٣٤ / باب : قول النبي
صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس / كتاب : الايمان / منشورات
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع .

وفى الباب : عن تميم الدارى .

قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة ، حديث حسن غريب ، من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة " . (١)

وقد جعلها المولى تبارك وتعالى ، صفة أساسية من صفات المتقين تتلوه مرتبة الايمان بالنفيع وذلك فى قوله تعالى : " ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالنفيع ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون " . (٢)

أما فى سورة " المؤمنون " فان المولى تبارك وتعالى ، يجعلها فى مطلق أوصاف المؤمنين المظحين ، ويجعلها أيضا خاتمة لتلك الأوصاف الحميدة قال تعالى " قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون " . (٣)

وفى المحافظة عليها ودوام القيام بها ، ورد كثير من الآيات القرآنية ، تأمر بالمحافظة على الصلاة وتؤكد ذلك وتشدد فيه فى جميع الأحوال والأوقات ، ففى الحضر والسفر ، وفى الأمن والخوف وكذلك فى الحرب والسلام . ولم يرخس فى تركها أبدا .

(١) انظر / سنن الترمذى / ج ١ / ص ٢٥٨ / باب : ما جاء : أن أول ما

يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة / رقم الحديث // ٤١١ //

(٢) سورة البقرة من آية ١ : ٣ .

(٣) " المؤمنون من آية ١ : ١١ .

قال تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فان خفتهم فرجالا او ركباناً فاذا أمتتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون " . (١)

ولئلا يتساهل المرء في اقامة الصلاة في وقتها ، ورد الانذار بالويل والهلاك لمن يسهو عنها حتى يضيع وقتها ، فلا يؤدى بها فيه ، وذلك في قوله سبحانه :
" فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون " (٢)

أما من ضيعها ، فهو لما سواها أضيع ، وقد وصف الله تعالى من ضيعها بأنهم خلف سوء ، استحقوا العذاب والنفي ، وكفى بذلك ذماً وعقاباً . قال تعالى :
" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً . الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً . جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً " . (٣)

ولم يحظ أهمية الصلاة ، نجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يجعلها الدليل الأول . على التزام الايمان ، ويجعلها الشعار الفاصل بين المسلم والكافر . يشير الى ذلك ما رواه أبو سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد ، فاشهدوا له بالايمان . فان الله يقول : " انما يحميكم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة " الآية . هذا حديث حسن غريب . (٤)

(١) سورة البقرة - آية : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢) " الماعون من آية ٤ : آية ٦ .

(٣) " مريم " " ٥٩ : آية ٦١ .

(٤) انظر : سنن الترمذى / ج ٤ / ص ١٢٥ / باب ما جاء في حرمة الصلاة

رقم الحديث // ٢٧٥٠ //

وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بين الكفر
والإيمان . ترك الصلاة" . (١)

وعن الأعمش بهذا الإسناد نحوه قال : " بين العبد وبين الشرك أو الكفر
ترك الصلاة " . (٢)

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
العبد الذى بيننا وبينه اسم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر " . هذا حديث حسن
صحيح غريب . (٣)

ولأجل هذه المكانة العظيمة للصلاة ، كانت عناية الإسلام بها فائقة ،
والاهتمام بها كثيرا ، كما كان الوعيد شديدا ومريعا لمن أهملها أو تساهل فيها
أو ضيعها .

وهي أول عبادة فرضت على المسلمين ، حيث فرضت قبل الهجرة بنحو
ثلاث سنين ، وكانت طريقة فرضيتها دليلا على عناية الله بها ، حيث فرضت
العبادات كلها فى الأرض ، بينما فرضت الصلاة وحدها فى السماء ، ليلة الإسراء
والمعراج ، بخطاب مباشر من رب العالمين إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا
محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(١) انظر / المرجع السابق / ج ٤ / ١٢٥ / باب : ما جاء فى ترك الصلاة /

رقم الحديث // ٢٢٥١ //

(٢) انظر / المرجع السابق / ج ٤ / ص ١٢٥ / باب ما جاء فى ترك الصلاة /

رقم الحديث // ٢٢٥٢ //

(٣) انظر : المرجع السابق / ج ٤ / ص ١٢٦ / باب ما جاء فى ترك الصلاة /

رقم الحديث // ٢٢٥٦ //

٣ - فرضية الصلوات الخمس :

عندما بعث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، بدأ بدعوة الناس الى توحيد الله وافراده بالعبادة ، ونبذ ما سواه . واستمر في هذا العمل الشاق سنوات عديدة ، وكان ممن بلفته الدعوة من ناصب المصطفى صلى الله عليه وسلم العدا ، لدعوته ولمن آمن بها وانضوى تحت لوائها .

ومنهم من آمن به وصدق بما جاء به ، لكن هؤلاء كانوا قلة في أول عهد الدعوة ، ومعظمهم من الفقراء والمستضعفين .

وقد لا قى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كثيرا من المتاعب في سبيل الدعوة . وكذلك أتباعه ، لكن ذلك لم يثن عزمهم ، ولم يفت في عضد هم بل كان يزيد هم عزيمة وثباتا وقوة وصمودا ، لثقتهم بأن ما ينتظرهم في الدار الآخرة ، أعز وأعظم مما ينتظرهم في الحياة الدنيا ، وان كان المستقبل للإسلام لا محالة .

وفى خضم هذه المتاعب وقعت معجزة الاسراء والمعراج ، وفى ليلتها فرضت الصلوات الخمس ، كما في حديث أنس بن مالك قال : " كان أبوزرير يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل فلعج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فخرج بي الى السماء الدنيا ، فلما جيئت الى السماء الدنيا قال جبريل لغازن السماء : افتح . قال : من هذا قال : هذا جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد صلى الله عليه وسلم فقال : أرسل اليه ؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل من هذا ؟

قال : هذا آدم . وهذه الأسود عن يمينه وشماله ، نسّم بنيه . فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسود التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، حتى عرج بن إلى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح : فقال له خازنها . مثل ما قال الأول ، ففتح . قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات : آدم وادريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر ، أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة .

قال أنس : فلما مرّ جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بادريس قال : " مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت من هذا ؟ قال : هذا ادريس . ثم صررت بموسى فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم" . .

قال ابن شهاب . فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثم عرج بن حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام " . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة . قال : فارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعني فوضع شطرها . فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها . فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق . فراجعته فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال : ارجع إلى ربك . فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعته ، فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يبدل القول لديّ . فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك فقلت استحيت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وفشيها

ألوان لا أدرى ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حياثل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك " . (١)

٤ : معنى الصلاة في اللغة وفي الشرع :

١ - الصلاة في اللغة : هي الدعاء . قال تعالى : " وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم " أى : ادع لهم .

وعن ابن هزيمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا دعى أحدكم فليجب ، فان كان صائما فليصل ، وان كان مفطرا فليطعم " .
والمعنى : ان كان المدعو مفطرا فليأكل ، وان كان صائما ، فليدعولصاحب الطيمة بالمغفرة والبركة ونحو ذلك . (٢)

وقال الشاعر :

تقول بنيتى وقد قرّبت مرتحلا . . يا رب جنب أبى الأوصاب والوجع
عليك مثل الذى صليت فافتضى . . نوصا فان لجنب المرء مضطجع

والمعنى : أدعوك بمثل ما دعوت لى به . (٣)

وذكر القرطبي في تفسيره أن أسماء لما ولدت ابنها عبد الله بن الزبير ، أرسلته الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمسحه وصلى عليه ، أى : دعا له . (٤)

(١) انظر: صحيح البخارى / ج ١ / ص ٩٧ ، ٩٨ / باب كيف فرضت الصلوات

في الاسراء / كتاب الصلاة / دار مطابع الشعب .

(٢) انظر / صحيح مسلم / شرح النووي / ج ٩ - ٢٣٦ / كتاب النكاح - باب

الامر باجابة الداعى الى دعوة / الطبعة الثانية .

(٣) مقدمة المغنى / لابن قدامة / ج ١ / ص ٢٦٧ / كتاب الصلاة / طبعة

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / القاهرة .

(٤) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١ / ص ١٦٨ بتصرف .

في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، ثلاثا ، غير تمام ، فقل لأبي هريرة انا نكون وراء الامام فقال : اقرأ بها في نفسك ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثني على عبدي . واذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي وقال مرة : فوض الى عبدي ، فاذا قال : اياك نعبد واياك نستعين ، قال هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدى ما سأل . فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ، ولعبدى ما سأل . (٢)

- ١٤٦ -

في الصلاة في الشروع :

(١) هي أقوال وأفعال مخصوصة ، مفتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، ثلاثا ، غير تمام ، فقل لأبي هريرة انا نكون وراء الامام فقال : اقرأ بها في نفسك ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثني على عبدي . واذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي وقال مرة : فوض الى عبدي ، فاذا قال : اياك نعبد واياك نستعين ، قال هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدى ما سأل . فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ، ولعبدى ما سأل . (٢)

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد النبي صلى الله عليه وسلم ، عليه السلام . فقال : ارجع فصل فانك لم تصل ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ارجع فصل فانك لم تصل " ثلاثا " . فقال : والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره ، فعلمني . فقال :

(١) انظر كشف القناع / للبهوتي / ج ١ / ص ٢٥٥ .

(٢) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووي / ج ٤ / ص ١٠١ ، ١٠٢ / كتاب

الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .

إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها . (١)

أدلة وجوب الصلاة : ← لا بد من هذه الأركان الخمسة ولا يصح الصلاة إلا بها

الصلاة واجبة على المسلم المكلف بنص القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، واجماع المسلمين .

والأدلة على ذلك كثيرة ، وسأكتفى بدليل واحد من كل من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، لتجنب التلويل . وهي :-

١ - من أدلة القرآن الكريم على ذلك ما يلي :-

قوله تعالى : " وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة " . (٢)

٢ - من أدلة السنة الشريفة :-

" ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس ، شهادة ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان " . (٣)

(١) صحيح البخارى / ج ١ / ص ٢٠١ / باب : استواء الظهر في الركوع -

كتاب الصلاة / دار مطابع الشعب .

(٢) سورة البينة - آية : ٥ .

(٣) انظر : صحيح البخارى / ج ١ / ص ٩ / باب : دعاؤكم ايمانكم / كتاب الا

الايمان / دار مطابع الشعب . وانظر الجامع الصحيح / للإمام مسلم /

وأما الإجماع :

فقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة على كل مسلم مكلف ومسلمة مكلفة . (١)

٤ : معنى إقامة الصلاة :

"عن ابن عباس : إقامة الصلاة ، اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها .

وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .
وقال مقاتل : اقامتها : المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . . فهذا اقامتها" . (٢)

وقال القرطبي : إقامة الصلاة : أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها . يقال : قام الشيء : أي : دام وثبت ، وليس من القيام على الرجل ، وإنما هو من قولك : قام الحق أي : ظهر وثبت .

قال الشاعر : قامت الحرب بنا على ساق

وقيل : إقامة الصلاة ، ادامتها . وإلى هذا المعنى أشار عمر بقوله : "من حفظها وحافظ عليها ، حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع" . (٣)

== ج ١ / ص ٣٤ / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : بني الإسلام على خمس / كتاب الإيمان .

- (١) مقدمة المغني / لابن قدامة / ج ١ / ص ٢٦٢ / بتصرف .
(٢) انظر / تفسير ابن كثير / ج ١ / ص ٤٢ / طبعة الحلبي وشركاه .
(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١ / ص ١٦٤ / بتصرف يسير .

أما في روح المعاني / فان الألويس ، يورد لها أربعة معان هي :-

- ١ - معنى يقيمون الصلاة : أي : يمدلون أركانها ، بايقاعها مستجمعة للفرائض والواجبات مع مالها من الآداب والسنن ، وذلك من : اقام العود اذا قومه .
 - ٢ - معنى ذلك : المواظبة والمداومة عليها . وذلك من : قامت السوق اذا نفقت . وأتمتها اذا جعلتها نافقة .
 - ٣ - المعنى : يتشمترون لأدائها بلا توان عنها ولا فتور . وذلك من قولهم : قام بالأمر وأقامه ، اذا جد فيه .
 - ٤ - المعنى : يؤدونها ويفعلونها . وعبر عن ذلك بالاقامة لأن القيام بمعنى أركانها" . (١)
- وأرى أن هذه المعاني ، كلها مرادة واللفظ يحتملها ، ولا تعارض حتى نلجأ الى الترجيح ————— .

هـ : الصلاة قوة غلقية تعود صاحبها الطاعة :

ان في اقامة الصلاة اقامة حقيقية ، دافعا غارجيا وحافزا نفسيا لمقيمها ، على فعل الخير ، واجتناب الشر ، والابتعاد عن الفحشاء والمنكر ، ومقاومة الجزع عند نزول الكوارث ، والرضى بما قدره الله ، وتقبله ، بقلب مطمئن ، ونفس راضية .

فهو تفرس في القلب ، مراقبة الله تعالى ، ورعاية حدوده ، وفي كل شأن من شئون الحياة ، كما تفرس فيه الحرص على المواقيت والدقة في المواعيد ، والتفلسب على نوازع الكسل والهوى ، وجوانب الضعف الانساني .

(١) انظر / روح المعاني / للألويس / ج ١ / ص ١١٠ .

وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى : " ان الانسان خلق هلوفا ، اذا مسه الشر جزوا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم راعون " . (١)

وفي قوله تعالى : " وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " . (٢)
أما الذين يصلون ولا يرى عليهم ظهور تلك الآثار الحميدة ، بل هم منحرفون في سلوكهم وأخلاقهم ، فلا بد أنهم يؤدون الصلاة مجرد تأدية فقط ، لا اقامة للصلاة اقامة حقة ، فصلاتهم على هذا النحو ، انما هي جثة بلا روح ، وحركات جسم بلا حضور عقل ، ولا خشوع قلب ، ولا تفكير ولا تدبر .

وقد توعده الله المتظاهرين بالصلاة ، الساهين عنها بالهزل وذلك في قوله سبحانه : " فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . ^{الذين هم} الذين هم يرأون . ومنعون الماعون " . (٣)

واذا نظرنا الى صلاة الجماعة ، رأينا أنها تغرس في النفس الطاعة والنظام والدقة والاخاء والتعاون والترابط .
فعندما تقام الصلاة ، ترى المصلين قد وقفوا في صفوف مستقيمة متراصة لا عوج فيها ولا فرج ، المنكب الى جانب المنكب ، والقدم الى جانب القدم ، يوجههم امامهم ويحشهم على الاستقامة والاقبال على الله بقلوب ملؤها الخشية والخشوع ، ويحذروهم بأن الله لا ينظر الى الصف الأعوج ، ويهشدهم الى تسوية الصفوف واقامتها ، لأن ذلك من تمام الصلاة يؤيد ذلك ما ورد في حديث النعمان بن بشير : " يقول :

(١) سورة المعارج - من آية ١٩ : آية ٢٣ .

(٢) " المنكبات - آية : ٤٥ .

(٣) " الماعون - من آية ٤ : آخر السورة .

قال : النبي صلى الله عليه وسلم لتسوّن صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم^(١).

وكذلك ما ورد في حديث أنس رضي الله عنه : "سوّوا صفوفكم فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة".^(٢)

وفي رواية * أنس عند مسلم : "سوّوا صفوفكم فان تسوية الصف من تمام الصلاة".^(٣)

فإذا كبر الامام ، كبروا ، وإذا قرأ أنصتوا ، وإذا ركع ركعوا ، وإذا سجد سجدوا ، وإذا سلم سلموا ، لا يسبقونه بشيء من ذلك ، بل يتابعونه بكل دقة "عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : انما جعل الامام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا ركع فاركعوا ، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا صلى جالسا ، فصلوا جلوسا أجمعين ، وأقيموا الصف في الصلاة ، فان اقامة الصف من حسن الصلاة".^(٤)

والذي يخرج عن هذا النظام الدقيق المتقن ، كأن يسابق الامام في ركوعه أو سجوده فقد استحق من الله العقاب الشديد ، ومن اتصف بشيء من هذه المخالفات الدينية فقد أذره المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في حديث "أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما يخشى أحدكم - أو لا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الامام ، أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أهجعل الله صورته صورة

(١) انظر: صحيح البخاري / ج ١ / ص ١٨٤ / كتاب الأذان - باب تسوية الصفوف عند الاقامة ومعدّها .

(٢) انظر: المرجع السابق / ج ١ / ص ١٨٩ / كتاب الأذان - باب اقامة الصف من تمام الصلاة .

(٣) انظر صحيح مسلم / ج ٢ - ص ٣٠ / كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف واقامتها وفضل الاول فالأول منها / منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر / بيروت .

(٤) انظر : صحيح البخاري / ج ١ ص ١٨٤ / كتاب الأذان - باب اقامة الصف من تمام الصلاة .

حمـار . (١)

وفى حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما بال أقوام ، يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم ؟ فاشتد قوله فى ذلك ، حتى قال : لينتهن عن ذلك ، أولتخطفن أبصارهم" . (٢)

وخلاصة ما ذكر ، أن الصلاة تتضمن مبادئ خلقية واجتماعية سامية ، أجملها فيما يأتى :-

١ - الدافع الداخلى ، والحافز الخارجى : وذلك لأنها تؤدى لله ، والاخلاص فى كل عمل يؤدى لله ، ضرورى لا محيص عنه ، وما الاخلاص الا توجه النية الى الله ، والنية من أعمال القلوب ، وذلك يتحقق الدافع الداخلى .

أما الحافز الخارجى : فان الاسلام جعلها عماد الدين ، من اقامها فقد أقام الدين ، ومن هنا كان الناس رقبا بعضهم على بعض ، فمن تخلف سئل عن أسباب تخلفه ، ولا يعنى هذا أن للناس عملا فيها ، بل هى السبب فى لقاء الناس فى بيت من بيوت الله ، يسألون عن ضعيفهم ، ويعينون محتاجهم ، ويعودون مريضهم ويردون الظالم عن ظلمه .
فلا غرابة أنها تنمى فى الانسان ، الحافز الذى يأتى من خارج النفس .

٢ - عملها فى القلب :- وذلك لأن الصلاة ، صلة بين العبد وربّه ، ولا تتحقق تلك الصلة أول ما تتحقق ، الا فى القلب ، فلا يتسع لغير الله ، ولا ينحط الى الشهوات الخسيسة ، بل يظل فى رقى بصاحبه حتى يتحقق له الكمال

-
- (١) انظر: المرجع السابق / ج ١ / ص ١٧٧ / كتاب الأذان - باب اثم من رفع رأسه قبل الامام .
(٢) انظر: المرجع السابق / ج ١ / ص ١٩١ / كتاب الأذان - باب رفع البصر الى السماء فى الصلاة .

الانسان ، على مقدار همته وعمله .

٣ - النظام : وهو ^{تؤكد} التعصود على النظام ، فان العادة تتقرر بكثرة التكرار
فأوقات معينة وأعمال محددة ، يأتيها الانسان ، خمس مرات في اليوم
والليلة ، لا ريب أنها تولد النظام الذي يتميز به الانسان عن غيره من سائر
الحيوانات .

٤ - العمل والقضاء على الكسل : ففيها اعمال الجوارح والقلوب ، ولا تسمح
بأن يتباطأ الانسان عن أداؤها في وقتها ، وذلك تقضى على أهم عوامل
التأخر والتخلف ، من كسل ونحوه ، وتدعو لمواصلة العمل الذي هو أصل
لأى بناء روحى أو جسمى .

٥ - الطاعة والمعرفة والاخاء والتعاون :

وفى صلاة الجماعة ، زيادة على ما ذكر من طاعة ، ان يرتبط المأمومون
بإمامهم ، ارتباطاً دقيقاً ، فلا يسمح بتقديم أحد هم على إمامه ، أو تأخره
تأخراً يفوت عليه شيئاً من أركانها ، وفيها من الاخاء والتعاون ، ما لا يخفى
حيث يقف الفقير بجانب الغنى ، والضعيف بجانب القوى ، وكلما كثر العدد
فى الجماعة ، كلما زاد الأجر . وفى هذا من معرفة قيمة التعاون ، مما
يلمحه أولوا القلوب والعقول والبصائر النيرة .

٦ : الصلاة طهرة للنفس من الآثام وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات :

عندما فرض المولى تبارك وتعالى على الانسان الاسلام ، جاء شاملاً ومتضمناً

لكثير من أنواع العبادات ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج .

وكانت هذه العبادات تختلف عن بعضها كما وكيفا ، وكانت الصلاة ، أكثر هذه العبادات تكرارا وتأدية في اليوم واللييلة .

ولما كانت النفس الانسانية بطبيعتها ، تمل وتسأم وتتأقل تأدية العمل اذا طال وكان على وتيرة واحدة . لذلك فقد خفف الله تعالى على الناس أعداد الصلوات في اليوم واللييلة ، من خمسين صلاة الى خمس صلوات . كما ورد في الحديث الشريف . ^(١) كما خفف سبحانه عليهم عدد ركعات كل صلاة ، فكانت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربع ركعات وكذلك صلاتي العصر والمشاء ، والمغرب ثلاث ركعات هذا عدا السنن الرواتب وغيرها .

وانا نظرنا الى زمن أداء كل صلاة منها ، نجده قد لا يتجاوز الخمس دقائق وهذا من رأفة الله بعباده ، ورحمته بهم ، فله الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

لذا وجب على المصلي عند تأدية أى صلاة من هذه الصلوات أن يستحضر هيبة الرب وجلاله ، وعظمته وكبرياءه ، وأن يستحضر أيضا ضالة نفسه وذله وحاجته وفقره ، الى المولى تبارك وتعالى ، فيؤدبها بكل خشوع وطمانينة واخلاص متمسكا بجميع أركانها وواجباتها وسننها ومستلزماتها ، ليكون مقيما للصلاة حقيقة لا موجدا لها فقط .

وقد مدح القرآن الكريم ، أصحاب هذه الصفات ووصفهم بالفلاح ، كما فسى

(١) سبق ذكر ذلك في ص

قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " . (١)

وكما في قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون " . (٢)

وإذا أقيمت الصلاة على الوجه المطلوب ، كانت مكفرة للخطايا ، وما حية للذنوب والآثام ، يشير الى ذلك ما ورد في حديث " أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : - وفي حديث بكر - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يفتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا " . (٣)

وفي حديث آخر : " عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ، ما اجتنب الكبائر " . (٤)

(١) سورة البقرة - من آية ٣ : آية ٥ .

(٢) سورة المؤمنون - من أولها : آية ١١ .

(٣) انظر / صحيح مسلم / ج ٢ / ص ١٣١ / باب : المشي الى الصلاة

تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات - كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٤) انظر / المرجع السابق / ج ١ / ص ١٤٤ / كتاب الطهارة - باب : الصلوات

الخمس والجمعة . . . الخ مكفرات لما بينهن . منشورات المكتب التجاري

للطباعة والنشر / بيروت .

وعن أبي ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء ،
والورق يتهافت فأخذ بخصنين من شجرة ، قال : فجعل ذلك الورق يتهافت . قال
فقال يا أبا ذر : قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ان العبد المسلم ليصلى الصلاة
يريد بها وجه الله تعالى ، فتهافت عنه ذنوبه ، كما يتهافت هذا الورق عن هذه
الشجرة . (١)

والصلاة فوق ذلك ، هى راحة للنفس ، من عناء الدنيا ، ومتاع الحياة
ومشاغلها وهمومها ، يؤيد ذلك ما ورد فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه الذى
يرويه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفيه : وجعل قرعة عينى فى الصلاة . (٢)

وعن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال : انطلقت أنا وأبى الى صهر لنا من
الأنصار نعوده ، فحضرت الصلاة ، فقال لبعض أهله : يا جارية : ائيتونى بوضوء
لعلى أصلى فأستريح قال : فأتكرنا ذلك عليه ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : " قم يا بلال فأرجنا بالصلاة " . (٣)

وكما أن الصلاة تمحو الخطايا ، وتطهر القلوب من أدران الذنوب ، وتجلوها
من آثار الآثام والمعاصى ، فهى أيضا صلة بين العبد وربّه ، بها يتصل العبد
بخالقه ، ويرفع اليه سؤاله ومظلمته ، دون أن يكون بينهما واسطة ولا ترجمان .

(١) مسند الامام أحمد / المجلد الخامس / ص ١٧٩ / المكتب الاسلامى
للطباعة والنشر / بيروت .

(٢) سنن النسائى / بشرح السيوطى / ج ٧ / ص ٦١ / كتاب عشرة النساء - باب
حب النساء - المطبعة المصرية بالأزهر .

(٣) سنن أبى داود / ج ٢ / ص ٥٩٢ / كتاب الأدب / باب فى صلاة العتمة /
الطبعة الاولى / ٧١ هـ - ٥٢ م .

يقول المولى تبارك وتعالى : " وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " . (١)

وفى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا حزبه أمر صلى ، (٢)

والصلاة تحين على دفع النوائب ، وتبعث في النفس الهدوء والراحة ، وتشع في القلب الاطمئنان والثقة ، وقد ندب بعض العلماء ، صلاة المعصية وهي ركعتان عقبها ، أخذاً من هذا الحديث . ونقل عن ابن عباس ، أنه كان يفعل ذلك ويقول : نفعل ما أمرنا الله به بقوله : " واستمعينوا بالصبر والصلاة " . (٣)

وعن جابر رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كالمسورة من القرآن . اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم يقول : اللهم اني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاقدره لى ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير ، حيث كان ، ثم رضى به . هسمى حاجته " . (٤)

(١) سورة : غافر - آية : ٦٠ .

(٢) انظر / مسند الامام احمد بن حنبل / مجلده / ص ٣٨٨ / المكتب

الاسلامى / بيروت .

(٣) انظر / حاشية الفتح الربانى / احمد البناء / ج ٢ / ٢٠٧ / باب : ما جاء

في فضل الصلاة مطلقا / كتاب الصلاة /

(٤) انظر / صحيح البخارى / ج ٨ / ص ١٠١ / كتاب الدعوات - باب الدعاء

عند الاستخارة .

كما أن الصلاة ، تكسب صاحبها شفافية خلصة ، ونظرة ثابتة فاحصة ففى
الابتعاد عن كل ما من شأنه معصية لله ، أو حتى ما فيه شبهة معصية .

ويمكننا أن نستخلص مما سبق أموراً هامة ومعاني سامية أجملها فيما يلى :-
١ - أن الله تبارك وتعالى ، أراى بعباده ، منهم بأنفسهم ، وهذا نستنتجه من
مشروعية الصلاة خمسين صلاة ، ثم تخفيفها الى خمس صلوات فى اليوم
والليالى .

كما أنه سبحانه يجازى عباده بخير مما يعملون ، وذلك أخذاً من قوله ففى
الحديث : " هى خمس وهى خمسون " ، كما يشير الى ذلك كثير من آيات
القرآن الكريم .

٢ - ان الصلاة اذا صلاها المرء كما يجب ، كانت مكفرة للذنوب والآثام ،
ما اجتنب الكبائر . وهى أيضا ، تزرع فى نفس صاحبها ، حب الخير والمداومة
عليه ، ويخفض الشر والابتعاد عنه . كما أنها طريق الصلة ^{بين} العبد وبين
المولى تبارك وتعالى ، بلا واسطة ولا ترجمان .

٣ - أنها عبادة لا تعزل صاحبها عن النشاط فى الحياة .

٧ : الصلاة نظافة وتجميل :

ان الصلاة فى الاسلام ، ليست عبادة روحية فحسب ، بل هى بالاضافة الى
ذلك نظافة وتطهير وتزيين وتجميل ، اشترط الله لها ، طهارة الثوب والبدن والمكان

من كل خبث مستقذر ، ومن كل نجاسة معلومة ، فأوجب لها التطهر بالوضوء من الحدث الأصغر ، والفصل من الحدث الأكبر ، ولهذا كان الوضوء مفتاح الصلاة كما كانت الصلاة مفتاح الجنة ، يشير الى ذلك ما ورد عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم .

قال أبو عيسى : هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن .

وعبد الله بن محمد بن عقیل : هو صدوق ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه . قال أبو عيسى : سمعت محمد بن اسماعيل يقول : كان أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم والحديث يحتجون بحديث عبد الله بن محمد بن عقیل . قال : محمد : وهو مقارب الحديث . (١)

كما يدل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنباً فاطهروا " . (٢) الآية .

وقد حث الاسلام على النظافة ، واعتبرها من الايمان ، " عن صالح بن أبي حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : " ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا - أراه قال - أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود ، قال : فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار ، فقال : حدثني - عامر بن سعد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله . الا أنه قال : نظفوا أفنيتكم " .

(١) انظر / سنن الترمذی / ج ١ - ص ٤ / باب ما جاء أن مفتاح الصلاة

الطهور - رقم الحديث - ٣ - .

(٢) سورة المائدة - آية : ٦ .

هذا حديث غريب ، وغالد بن الياس ، يضعف ، ويقال : ابن اياس " . (١)

وانا انتقلنا الى القرآن الكريم ، نجد أن المولى تبارك وتعالى ، أثنى على أهل مسجد قباء ، وأهل المسجد النبوى ، لحرصهم على التطهر والتنظيف ، وذلك فى قوله تعالى : " لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهّرين " . (٢)

وقد أمر المولى تبارك وتعالى ، بنى آدم ، أن يأخذوا زينتهم للصلاة ، وأن يذهبوا بها الى المسجد وذلك فى قوله سبحانه " يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " . (٣)

كما يجب على المسلم عند زهابه الى المسجد ، أن يكون طيب الرائحة ، حسن الملبس مبتعدا عن كل مايؤذى اخوانه المسلمين من الروائح الكريهة ، أو الثياب المستفزة ، ولذلك يحث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أمته باستعمال السواك ، كما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة " . (٤)

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : السواك مطهرة

(١) سنن الترمذى / ج ٤ / ص ١٩٨ / باب ما جاء فى النظافة - رقم الحديث

" ٩٢٥١ " .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٨ .

(٣) " الاعراف آية ٣١ .

(٤) انظر / صحيح البخارى / ج ٢ / ص ٥ / كتاب الجمعة - باب السواك

يوم الجمعة - دار مطابع الشعب .

للفم مرضة للرب " . (١)

كما سن للمصلى أن يفتسل ويتطيب يوم الجمعة ، وأن يلبس أحسن ملابسه
يوئيد ذلك ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم " . (٢) وكذلك
حديث عمرو بن سليم الأنصاري ، قال : أشهد على أبي سعيد قال : أشهد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ،
وأن يستن وأن يمس طيبا ان وجد " . قال عمرو : أما الغسل فأشهد أنه واجب ،
وأما الاستن والطيب ، فالله أعلم ، وأوجب هو ؟ أم لا ؟ ولكن هكذا في الحديث " . (٣)

وقد " كان الحسن اذا قام الى الصلاة ، لبس أجود ثيابه ، فسئل عن ذلك
فقال : ان الله جميل يحب الجمال ، فأحب أن أتجمل لربي وهو تعالى يقول :
" يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " . هذا على حين كان القسيسون والرهبان
في العصور الوسطى بأوروبا ، يعدون الاهمال والقذارة ، من وسائل القرية الى
الله ، والنظافة والتجمل ، من عمل الشيطان ، حتى ان رهبانا أثنى على آخر فقال :
يرحمه الله ، لقد عاش طول عمره ، ولم يقترب اثم غسل الرجلين " . (٤)

(١) انظر / سنن النسائي بشرح السيوطي / ج ١ - ص ١٠ - كتاب الطهارة /

باب الترغيب في السواك - المطبعة المصرية بالأزهر .

(٢) انظر / صحيح البخاري / ج ٢ / ص ٣ / كتاب الجمعة - باب فضل
الغسل يوم الجمعة .

(٣) انظر / المرجع السابق / ج ٢ / ص ٣ / كتاب الجمعة - باب فضل الطيب
يوم الجمعة .

(٤) انظر / العبادات في الاسلام / للقرضاوى - ص ٢١٨ .

٨ : فى الصلاة رياضة بدنية !

ان المرء عندما يقدم الى الصلاة ، نجده يحمل جسده كله على الحركة ، منذ بداية الوضوء حتى نهاية الصلاة ، فالصلاة بهذه الحركات المتوالية ، تفرس فى نفس مقيمها روح الرياضة وتقوية العضلات ، وتنشيط الجسم ، فهى تتطلب الاستيقاظ المبكر والنشاط الدائم ، وهذا يكون حافزا للمرء لاستقبال يومه بنشاط منقطع النظير بعد تأدية فريضة الصبح - ولا لمتى بهذا ، أنها مجرد رياضة ، بل عبادة فيها رياضه .

وديننا الحنيف يحثنا على الاستيقاظ المبكر ، والبكور فى العمل ، وهذا أدعى الى النشاط والى كثرة الانتاج ، يؤيد هذا ما ورد " عن صخر الغامدى قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لأمتى فى بكورها " . قال : وكان اذا بعث سرية أوجيشا ، بعثهم أول النهار ، وكان صخر رجلا تاجرا . وكان اذا بعث تجارة ، بعثهم أول النهار ، فأثرى وكثر ماله . وفى الباب : عن عيسى ومريدة وابن مسعود وأنس وابن عمر وابن عباس وجابر .

حديث صخر الغامدى ، حديث حسن . ولا نعرف لصخر الغامدى عن النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث ، وقد روى سفيان الثورى عن شعبة عن يعلى بن عطاء ، هذا الحديث (١) .

وانا نظرنا الى الصلاة بكيفيتها الماثورة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم نجد لها أصلا للتمرينات الرياضية الفنية التى يؤديها الرياضيون المحذثون ، لتقوية

(١) سنن الترمذى - ج ٢ / ص ٣٤٣ / باب ما جاء فى التكير بالتجارة - رقم

الجسم وتنشيطه ، وتقوية أعضائه .

فعند القيام فى الصلاة مثلا ، نجده صلوات الله وسلامه عليه - وهو قد وتنا فى كل أمورنا - كان يقف وقفة معتدلة ، لا يبطأ طىء ولا يتماوت ، كما نجده فى ركوعه مستوى الظهر ، لا مائلا ولا منحنيا ، وكان منتصب الساقين وكان اذا سجد بجافى عضديه عن جنبيه حتى يرى بياض ابطيه ، وأبعد بطنه عن فخذيه ، "عن عبد الله ابن مالك بن بحينة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان اذا صلى فرج بين يديه حتى يبد وبياض ابطيه" . (١)

واذا دققنا النظر فى حديث الحصى صلواته نجده يوضح كل حركة من حركات الصلاة بكل دقة ووضوح وطمأنينة وكمال ، "عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم عليه السلام ، فقال : ارجع فصل ، فانك لم تصل ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ارجع فصل فانك لم تصل " ثلاثا " فقال : والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعملنى ، قال : اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها " (٢)

وهكذا تكون الصلاة ، حركة وعمل وذكرا ، يشترك فيها جميع جوانب الجسم فالجسم يعمل قائما قاعدا راكعا وساجدا ، واللسان يعمل مكبرا قارئا مسبحا مهلسا

(١) انظر / صحيح البخارى / ج ١ / ص ٢٠٥ / باب : يبدى بضعفه وجافى السجود / كتاب الأذان .

(٢) انظر / المرجع السابق ج ١ / ٢٠١ / باب : استواء الظهر فى الركوع كتاب الأذان .

مستغفرا ، والعقل يعمل متديرا متفكرا ، فيما يتلو أو يقرأ عليه من قرآن ، بينما القلب يعمل مستحضرا رقابة الله وخشيته وحبه والشوق الى لقاءه . (١)

٩ : تفسير جزء الآية الكريمة :

قال تعالى : " يا بني أقم الصلاة " .

بعد ما أمر لقمان ابنه ، بتوحيد الله تعالى ، الواجب على المكلف ، وذلك ضمن النهي عن الشرك ، ونبيه على كمال علم الله تعالى وقدرته ، الذي لا تغف عنه خافية في أي جزء من هذا الكون العظيم .

بعد ذلك ، انتقل الى أمره بإقامة الصلاة ، لكونها أكمل العبادات . (٢)

فهو عمود الاسلام ، وركنه العظيم ، من أقامها فقد أقام الدين وحفظه ، ومن ضيعها فقد ضيع دينه وغسر دينه وأختره ، فقال له :

" يا بني أقم الصلاة " : أي بعد ود ها وفروضها في أوقاتها . (٣)

وقد سبق الكلام على معنى : " إقامة الصلاة " بالتفصيل ، وذلك في ص

من هذا الفصل ، ولا داعي لتكراره .

(١) العبادات / للقرضاوى / ص ٢١٨ ، ٢١٩ / بتصرف .

(٢) روح المعاني / للألويسي / ج ٢١ / ص ٨٩ .

(٣) تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٦ .

الفصل السادس

ففى تفسير قوله تعالى

” وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ”

يتم البحث فى هذا الجزء من الآية الكريمة فى ضوء النقاط التالية :-

- ١ - مدلول المعروف والمنكر .
 - ٢ - مدلول الأمر والنهى .
 - ٣ - الحد الفاصل بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
 - ٤ - حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
 - ٥ - أدلة وجهيهما .
 - ٦ - هل يعتبر الأمر بالمعروف ، نهياً عن المنكر ؟ والعكس ؟ أم أن كلا منهما مستقل ؟ .
 - ٧ - أيهما يقدم ؟ الأمر بالمعروف أم النهى عن المنكر ؟
 - ٨ - مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
 - ٩ - أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
 - ١٠ - تفسير جزء الآية الكريمة .
- وهذا تفصيل ذلك .

١ : مدلول الأمر والنهي :-

الأمر : هو أحد أقسام الكلام ، حيث ينقسم الى أمر ونهي وغير واستخبار .
وحد الأمر : أنه القول المقتضى طاعة الأمور ، بفعل المأمور به .
أما النهي : فهو القول المقتضى ترك الفعل . (١)

وللأصوليين تفريعات على هذا التعريف ، تخرجني عن الموضوع الذي هو
من صميم التفسير .

٢ : مدلول المعروف والمنكر :-

المعروف : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه ، والا حسان الى
الناس . وكل ما تدب اليه الشرع ، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات .
وهو من الصفات الخالصة ، أى : أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه . (٢)
..... الخ .

أما المنكر : فهو ضد المعروف ، وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه . (٣)

قلت : المعروف كل ما أقره الشرع ، والمنكر كل ما نهى عنه الشرع . سواء
كان الأمر والنهي بطريق الجزم ، أم بطريق غير جازم ، فالواجبات والمندوبات من

(١) انظر / المستصفى / للغزالي - ج ١ / ص ٤١١ - .

(٢) انظر / لسان العرب / لابن منظور - ج ٩ / ص ٢٣٩ - بيروت سنة

١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م .

(٣) انظر / المرجع السابق - ج ٥ / ٢٣٣ - بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م .

المعروف قطعا ، والمحرمات والمكروهات من المنكر قطعا . أما المباح الذى أذن فيه الشرع ، فهو من المعروف ما لم يفرق الانسان فيه ، فيصل الى حد الكراهة ، فينقلب المباح منكرا ، كما هو مقرر فى علم الأصول .

حيث الأحكام الخمسة ، كلها مترابطة ، فالمباح يقرب من المندوب ، ويقرب من الكراهة وكل من المندوب والكراهة يقتربان من الواجب والحرام . وفى الحديث : عن عطية السعدى - وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم - قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس . هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه . (١)

٣ : الحد الفاصل بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :-

الحد الفاصل بينهما ، كما أرى ، هو صيغة الشارع . ان أن فعل المعروف يستلزم البعد عن المنكر ، وارتكاب المنكر ، يستلزم البعد عن المعروف ، الا أن هناك دلائل ، بها يمكن التعرف ، هل القضية من باب الأمر بالمعروف أو من باب النهى عن المنكر ، والحد الفاصل هو الصيغة الشرعية .

فمثلا : الأمر بإقامة الصلاة ، أدخل فى باب الأمر بالمعروف أما النهى

عن تركها فهو أدخل فى باب النهى عن المنكر .
مطلوب هنا عنوان : ما لكل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
عنه ينظر الى ما بين ما به يحرم مع المنكر

ولا ريب أن لكل منهما وسائل ، فوسائل الأمر بالمعروف قوله تعالى : ————— :

(١) انظر / سنن الترمذى / ج ٤ / ص ٥١ - باب : "تابع لأبواب صفة

القيامة" . رقم الحديث " ٢٥٦٨ " .

(١)

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن".

هكذا نتبع فى الدعوة الى الأمر بالمعروف ، نأمر بالحكمة ، لا بالتشدد المنفرء

فلو أرغنا أحدا على فعل معروف ، فانه لا شك غير قائم بالمطلوب منه عن اقتناع

فربما يحدث العنف معه ، رد فعل ، يحمله على العناد ، فان لم يقو فربما يحمله

على النفاق ، أو الأراء ^{الظلم} الروشنى الذى لا روح فيه ، فنفتقد القيمة العملية المترتبة ^{عليه} عليه ^{عزيم} على الأمر بالمعروف .

وهكذا ندعوا بالموعظة الحسنة التى تلمن القلوب ، والمجادلة التى تنير

العقول .

أما للنهى عن المنكر فوسيلته ما حدده النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى

يروجه عنه أبوسعيد قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم

منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف

الايمان " . (٢)

فانظر ، كيف قرن الشرع بين شئ موجود ينبغى أن يزال ، وشئ غير موجود

ينبغى أن يوجد .

فالمنكر القائم بقاءه خطر على الفرد وعلى المجتمع ، ومن هنا وجبت ازالته . وقد

اختلف العلماء فى كيفية العمل بهذا الحديث ، فمن قائل :

التغيير باليد ، للحاكم فقط ، الذى له السلطة والسلطان .

(١) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٢) انظر / الجامع الصحيح / للإمام مسلم / ج ١ / ص ٥٠ / باب : كون

النهى عن المنكر من الايمان / كتاب الايمان / منشورات المكتب التجارى

للطباعة والنشر / بهروت .

والتفسير باللسان : منوط بالعلماء الفاهمين للدين المقتنعين غيرهم بالحجة .
والتفسير بالقلب : على جميع أفراد الأمة حتى لا يركنوا الى المنكر .

وآخرون من العلماء : قالوا : هذا متروك لأى فرد يخير بيده ان استطاع
والا فبلسانه والا فبقلبه .

ولا شك أن كلا من الرأيين معقول ، الا أنه فى القول الأول احتياطا من
أن يتطور الأمر الى معارك دامية تقوم بين الأفراء ، فاذا أمن الناهى عن المنكر
ذلك فله أن يخير بيده أو بلسانه أو بقلبه .

وقد ذكر ابن القيم فى اعلام الموقعين أن للانكار أربع درجات هى :-

- الاولى : أن يزول المنكر ويخلفه ضده .
- الثانية : أن يقل المنكر ، وان لم يزل بجملته .
- الثالثة : أن يزول المنكر ويخلفه ما هو مثله .
- الرابعة : أن يزول المنكر ويخلفه ما هو شر منه .

فالدريجتان الأوليان مشروعتان ، لأنه يترتب على كل منهما فائدة . حيث

يترتب على الاولى ، زوال المنكر ، ووجود ما هو ضده من المعروف .

ويترتب على الثانية : أن يقل المنكر ويخف وان لم يزل بجملته .

أما الدرجة الثالثة : فهى موضع اجتهاد ، والناهى مخير بين أن ينهى ،

فيؤدى نهييه الى زوال المنكر الموجود وحدوث منكر مساو له ، وبين عدم النهى .

(١)

أما الدرجة الرابعة : فهى محرمة ، لأن النهى يؤدى الى زوال المنكر

الموجود ، وحدوث ما هو أشد منه حرمة ، مثال ذلك : أن ينهى عن شرب الخمر فيترتب على ذلك سفك دماء المسلمين ، فالإبقاء على شرب الخمر ، أهون من سفك دماء المسلمين ، مع الاعتراف بأنه منكر ، لكنه أخف .

وقد ذكر ابن القيم أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول : " مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتاربقوم ، منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان محباً ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر ، لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهو لا يصد هم الخمر عن قتل النفوس وسبب الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم " . (١) .

هذا هو الفقه في الدين ، فإن ترك الأهم ، وفعل المهم ، بعد عن الفقه . فمن الفقه في الدين تقديم الأهم على المهم ، فعلاً أو تركاً .

٤ : حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

اتفق العلماء على أن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ، وقد خالف في ذلك نزر قليل ، حيث قالوا أنه من فروض الأعيان .

وقد انقسم القائلون بأنه من فروض الكفايات إلى قسمين هما :-

١ - يرى ~~أصحاب هذا الفريق~~ ^{المعزبون} ، بأن هذا الواجب الكفائي ، واجب على جميع المكلفين ويسقط عنهم بفعل بعضهم . وأصحاب هذا القول : هم الجمهور .

٢ - أما الفريق الثاني : فيرون أنه واجب على البعض دون البعض الآخر .

(١) انظر / المرجع نفسه - ص ٥٠ .

دليل الجمهور :

استدل الجمهور على ذلك ، بأنه لو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يقم به أحد ، لأثم الجميع بتركه . ولو لم يكن واجبا عليهم جميعا ، لما أثموا بالترك .

رد الفريق الثاني :

قالوا : انما وقع الاثم بالترك ، لتفويتهم ما قصد حصوله من جهتهم في الجملة لا للوجوب عليهم .

واعترض الجمهور بقولهم : ان هذا هو الحقيق بالاستبعاد . أى : اثم طائفة بترك أخرى فعلا ، كلفت به .

والجواب عنه : بأنه ليس الاسقاط عن غيرهم بفعلهم ، أولى من تأثيم غيرهم بتركهم ، يقال فيه : بل هو أولى ، لأنه قد ثبت نظيره شرعا ، من اسقاط ما على زيد بأداء عمرو ، ولم يثبت تأثيم انسان بترك آخر ، فيتم ما قاله الجمهور .

واعترض القول : بأن هذا هو الحقيق بالاستبعاد ، بأنه انما يتأتى ، لو ارتبط التكليف في الظاهر بتلك الطائفة الاخرى بعينها وحدها . لكنه ليس كذلك ، بل كلتا الطائفتين متساويتان في احتمال الأمر لهما . وتعلقه بهما من غير مزية لهما على الأخرى . فليس في التأثيم المذكور تأثيم طائفة بترك أخرى ، فعلا كلفت به ، ان كون الأخرى كلفت به غير معلوم ، بل كلتا الطائفتين متساويتان في احتمال كل منهما أن تكون مكلفة به . فالاستبعاد المذكور ليس في محله .

على أنا اذا قلنا بما اختاره جماعة من أصحاب المذهب الثاني : من أن البعض

مبهم ، آل الحال الى أن المكلف طائفة لا بعينها ، فيكون المكلف القدر المشترك بين الطوائف ، الصادق بكل طائفة ، فجميع الطوائف مستوية في تعلق الخطاب بها ، بواسطة تعلقه بالقدر المشترك المستوي فيها ، فلا اشكال في اثم الجميع ، ولا يصير النزاع بهذا بين الطائفتين لفظيا ، حيث ان الخطاب حينئذ ، عم الجميع على القولين وكذا الاثم عند الترك ، لما أن في أحدهما دعوى التعليل بكل واحد بعينه وفي الأخرى دعوى تعلقه بكل ، بطريق السراية من تعلقه بالمشترك .

ثمرة ذلك أن من شك أن غيره ، هل فعل ذلك الواجب ؟ لا يلزمه على القول بالسراية ، ويلزمه على القول بالابتداء ، ولا يسقط عنه الا اذا ظن فعل الغير .

ومن هنا يستغنى عن الجواب ، عما اعترض به الجمهور ، فلا يضرنا ما قيل فيه . على أنه يقال على ما قيل : ليس الدين نظير ما نحن فيه كليا ، لأن دين زيد واجب عليه وحده ، بحسب الظاهر ، ولا تعلق له بغيره ، فلذا صح أن يسقط عنه بأداء غيره ، ولم يصح أن يأثم غيره بترك أدائه ، بخلاف ما نحن فيه . فان نسبة الواجب في الظاهر الى كلتا الطائفتين على السواء فيه . فجاز أن يأثم كل طائفة بترك غيرها ، لتعلق الوجوب بها بحسب الظاهر ، واستوائها مع غيرها في التعلق .

وأما قولهم : " ولم يثبت تأثم انسان بأداء آخر " . فهو لا يطابق البحث ، ان ليس المدعى : تأثم أحد بأداء غيره ، بل تأثيمه بترك .

فالمطابق : " ولم يثبت تأثم انسان بترك أداء آخر " . ويتخلص منه حينئذ ، بأن التعلق في الظاهر قد مشترك في سائر الطوائف . فيتم ما ذهب اليه الفريق الثاني .

إذا تحقق هذا : فالقائلون بأن التكليف على البعض قالوا : بأن : "من" للتبويض . والقائلون بأن التكليف على الكل قالوا : "من" : للتبيين . وذلك فى قوله سبحانه : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " . (١)

وقد أيد الأخيرون قولهم ، بأن الله أثبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل الأمة فى قوله سبحانه " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " . (٢) ولا يقتضى ذلك ، كون الدعاء فرض عين ، فان الجهاد من فروض الكفاية بالا جماع مع ثبوته بالخطابات العامة . (٣)

ه : أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

من أهم الأمور التى أمر بها الاسلام ، وحث عليها ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما يترتب على القيام بهذا الركن العظيم من مصالح وصالح ، وما يترتب على إهماله وعدم القيام به ، من مفسد عظيمة ، يصعب علاجها بعد وقوعها فضلا عن محاولة انتزاع جذورها .

وقد جاءت الأدلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مستفيضة وكثيرة ، سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة .

(١) سورة آل عمران - آية : ١٠٤ .

(٢) " " " " ١١٠ .

(٣) روح المعانى / للألوسى / ج ٤ / ص ٢١٠ ، ٢٢٠ / بتصرف يسير .

فمن أدلة القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر ، ما يلي :-

١ - قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " . (١)

فقوله في الآية : " ولتكن " : أمر ظاهره الوجوب .

وهذا دليل على وجوب القيام بهذا الأمر العظيم ، وإن كان القيام به فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي . لكن المصيبة إنما تقع إذا تهاون به الكل ولم يقم به أحد ، فإنه حينئذ يعم الاثم على الكل والعيان بالله من ذلك .

٢ - قوله تعالى : " لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " . (٢)

في هاتين الآيتين الكريمتين ، دلالة واضحة ، تشير الى أن أولئك القوم إنما استحقوا اللعنة بسبب عصيانهم واعتدائهم وعدم تناعيمهم عن المنكر .

٣ - قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٣) الآية .

في هذه الآية الكريمة دلالة واضحة ، على أن الخيرية في هذه الآية مترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايان بالله . ولم تكن خيرية جاءت من قبيل الصدفة .

(١) سورة آل عمران - آية - ١٠٤ .

(٢) " المائدة " ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) " آل عمران - آية ١١٠ .

٤ - قوله تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين ينيهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون " . (١)

ففى هذه الآية الكريمة ، اغبار على أن النجاة ، انما كانت بسبب نهى أصحابها عن السوء ، أما الذين ظلموا ، فقد أخذ بهم الله بعذاب شديد بسبب ظلمهم وفسقهم وعدم نهيمهم عن السوء ، ان أخذه أليم شديد . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما الاحاديث الشريفة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهى كثيرة أيضا . ومن ذلك على سبيل المثال :-

١ - عن أبى سعيد قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان " . (١)

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على وجوب تغيير المنكر ، حسب الاستطاعة

قال النووى رحمه الله : " وأما قوله صلى الله عليه وسلم " فليغيره " ، فهو أمر

ايجاب باجماع الأمة } وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
الكتاب والسنة واجماع الأمة ، وهو أيضا من النصيحة التى هى الدين ، ولم يخالف فى ذلك الا بعض الرافضة ، ولا يعمد بخلافهم ، كما قال الامام

أبوالمعالى امام الحرمين : لا يكثر بخلافهم فى هذا ، فقد أجمع المسلمون

(١) سورة الاعراف - آية : ١٦٥ .

(٢) انظر / الجامع الصحيح / للامام مسلم / ج ١ / ص ٥٠ / باب كون النهى

عن المنكر من الايمان - كتاب الايمان .

عليه قبل أن ينبغ هوّلاً ، ووجهه بالشرع لا بالعقل ، خلافاً للمعتزلة^(١) .

٢ - عن أبي بكر الصديق ، أنه قال : يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية :
 " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " . وانسى
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الناس ان رأوا الظالم فلم
 يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه " . (٢)

في هذا الحديث وعيد شديد ، لمن يرى الظالم على ظلمه ولا يأخذ على
 يديه ، بأن يأمره وينهاه عن ظلمه ذلك ، بحسب الاستطاعة ، اذا لم يفعل ذلك
 من يراه ، فيوشك أن ينزل الله عقابه ، فيعم الظالم والراضى بذلك الظلم .
 والراضى بالظلم ، من المنكر ، وجب على من رآه أن ينهى عنه بحسب
 استطاعته ، ونزله اذا أمكنه ذلك .

٣ - عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسى بيده ،
 لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر^(٣) ، وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً

(١) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووي / ج ٢ / ص ٢٢ / الشرح / باب بيان

كون النهي عن المنكر من الايمان وأن الايمان يزيد وينقص .

(٢) انظر / سنن الترمذي / ج ٣ / ص ٣١٦ / باب : ما جاء في نزول

الحذاب اذا لم يغير المنكر - رقم الحديث : " ٢٢٥٧ " .

(٣) في الحديث : " وليوشكن الله " . . . : واو : بدون ألف . كأنها حرف عطف

وبيد وأن الالف سقطت عند الطبع . والصواب أنها : أو " حتى ينتظم المعنى

وقد وجدت الحديث في مسند أحمد / ج ٥ / ص ٣٨٨ / بيروت . وفي الفتح

الرباني / ج ١٩ / ص ١٧٣ : ونصه : " والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف

ولتنهون عن المنكر ، وليوشكن الله . . . " الخ الحديث .

منه فتدعونه فلا يستجيب لكم" . (١)

في هذا الحديث يؤكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك بالقسم ونون التوكيد ، ومن يتساهل في ذلك ، فما أسرع أن يبعث الله عقابه على أولئك الناس ، جزاء رضاهم بذلك الحال ، فيدعونه فلا يستجيب لهم .

٤ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت في وجهه ، أن قد حفزه شيء ، فتوضأ ثم خرج ، فلم يكلم أحداً ، فدنت من الحجرات فسمعتة يقول : يا أيها الناس ان الله عز وجل يقول : مروا بالمعروف ، وانهاوا عن المنكر ، من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ، وتسالوني فلا أعطيك ، وتستنصروني فلا أنصركم" . (٢)

الحديث دليل واضح على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان قوله : مروا ، وانهاوا كل منهما فعل أمر ، يقتضي الوجوب .
ثم ان عدم القيام بذلك العمل الجليل ، يؤدي الى غضب الله عز وجل ، حتى يدعوه فلا يستجيب لهم ويسألوه فلا يعطيهم ، ويستنصروه فلا ينصرهم ، وماذا بعد هذا الوعيد الشديد ؟ (نعوذ بالله من ذلك كله .

الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) انظر / سنن الترمذي ج ٣ / ص ٣١٦ ، ٣١٧ / باب ما جاء في الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر - رقم الحديث " ٢٢٥٩ " .

(٢) انظر مسند الامام احمد / ج ٦ / ص ١٥٩ / المكتب الاسلامي / بيروت .

وبالعكس؟

٦ : هل الأمر بالمعروف يعتبر نهياً عن المنكر ؟ أم أن كلا منهما مستقل ؟ :

ان الأمر بالشئ " نهى عن ضده ، وذلك من طريق اللزوم العقلى ، لا القصد
الطلبى . لأن مقصود الأمر ، انما هو فعل المأمور به . فاذا كان من لوازمه ترك الضد
صار تركه مقصودا لغيره .

وكذلك النهى عن الشئ " ، انما قصد الناهى ، بالقصد الأول ، الانتهاء
عن المنهى عنه ، وكونه مشتغلا بضده جاء من جهة اللزوم العقلى ، لكن انما نهى
عما يضاد ما أمر به كما تقدم . فكأن المأمور به هو المقصود بالقصد الأول فـ
الموضعيـن .

وحرف المسألة : أن طلب الشئ " طلب له بالذات ، ولما هو من ضرورته

باللـزوم .

والنهى عن الشئ " ، طلب لتركه بالذات ، ولفعل ما هو من ضرورة الترك باللزوم .
والمطلوب فى الموضعين : فعل وكف ، وكلاهما أمر وجودى " . (١)

قلت : اذا تحقق هذا فى الأمر والنهى بصفة عامة ، فان الأمر بالمعروف يعتبر

نهياً عن المنكر ، لأن مقصود الأمر بالمعروف ، انما هو فعل المعروف بطريق القصد
الطلبى وهو يستلزم الانتهاء عما يضاده من المنكر ، من طريق اللزوم العقلى .

وكذا النهى عن المنكر : انما قصد الناهى أولا ، الانتهاء ولا متناع عن المنكر

وذلك بطريق اللزوم الطلبى ، وهو بالتالى يستلزم فعل ما يضاده من طريق اللزوم

العقلى .

(١) الفوائد / لابن القيم - ص ١٢٢ ، ١٢٣ / بتصرف يسير .

من هذا نستنتج أن الأمر بالمعروف يعتبر نهياً عن المنكر ، والنهي عن المنكر يعتبر أمراً بالمعروف . وهما مرتبطان ببعضهما ولا ينفك أحدهما عن الآخر .

٧ : أيهما يقدم : الأمر بالمعروف ، أم النهي عن المنكر ؟

إذا ثبت أن الأمر بالمعروف نهى عن المنكر بالالتزام ، والنهي عن المنكر ، أمر بالمعروف بالالتزام ، فإن التعقل الصحيح يقتضى تقديم النهي عن المنكر ، لأن المنكر مفسدة والمعروف مصلحة ، ودور المفسد مقدم على جلب المصالح . وذلك أن المنكر ، عامل هدام ، والمعروف بناء شامخ . وعلينا أن نقدم الوقاية قبل غيرها ، فإذا تتبعنا المنكر وقضينا عليه ، فقد عملنا على تنقية المجتمع ، وذلك يصلح ويكون قابلاً للخير ، فإذا أمرناه امتثل ، وإذا دعوانه اهتدى . بخلاف ما لو دعوانه السي المعروف ، والمنكر قائم فيه ، فانه حينئذ يكون حائلاً بين المجتمع والاستجابة المطلوبة .

وإذا تتبعنا أساليب القرآن الكريم ، وجدناه في كثير من المواضع ، يقدم النهي عن المنكر ، على الأمر بالمعروف ، كما في قوله تعالى : " ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك " (١) ثم يقول : " واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله " (٢)

ولئن كان هذا الخطاب موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الأمة داخلة في هذا الخطاب بل هي المخاطبة بالنهي ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يدع مع الله لها آخر ، حتى ينهى عن ذلك .

(١) سورة : يونس - آية : ١٠٦ .

(٢) " " " " ١٠٩ .

وقوله :

" لا تجعل مع الله آخرا فتعبد مذموماً مخذولاً " .

" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً " . (١)

" ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل

والميزان بالقسط " . (٢) الآية

فقد قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف .

وأما قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون

عن المنكر " (٣) الآية . بتقديم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر . فذلك لأن الآية

في المسلمين ، وانتشار المنكر بينهم بعيد ، فهم أحوج إلى الأمر بالمعروف فيما بينهم ،

عن النهي عن المنكر فيما بينهم .

وكما يقولون في تبرير تقديم النهي عن المنكر : وتبرير ذلك بقولهم :
[التخلية مقدمة على التحلية . ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .
فلا ريب في أن النهي عن المنكر هو الذي يدرئ المفسدة ويخلص إلى المصلحة .
أما الأمر بالمعروف فهو الذي يحل المصلحة .]

٨ : مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ان مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مرتبة على الحالة التي تتعلق

بهما . لأنهما من فروض الكفاية اتفاقاً . وقيل : هما من الفروض العينية .

(١) سورة الاسراء آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة الانعام : آية ١٥٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .

هذا ليس برأيي
من هو رأي الجمهور في ذلك
سابقاً من ذلك

وأرى أنهما أليق بفروض الكفاية ، وفرض الكفاية شبيه بالعام الذي أريد به الخصوص
كما قال الشيخ أبوزهرة ، في كتابه " أصول الفقه " .

والواقع أن تكيف الحالة يرجع الى مدى الخطورة ، وما يترتب على التفسير
أو الأمر من فائدة . فمثلاً : اذا كان المنكر يسيراً ، ولا يصح ضرورياً من الدين ،
فازالته مندوبة . أما ان كان يصح ضرورياً ، فازالته مفروضة . وهكذا في الأمر بالمعروف .
ان كان هذا المعروف مندوباً ، فالأمر به مندوب . وان كان واجباً ، فالأمر به واجب .

وهكذا لكل حالة حكم . والمهم أن يسود الأمان والسلام في المجتمع
الاسلامي والانساني . فان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقابة شعبية وحسبية
يقوم بها أهلها ، لتأدية هذا الحكم الذي بينت فيما سلف مرتبته .

ولا ننسى ما للرقابة الشعبية من أثر فعال في المجتمع ، فلو أن الرقابة ،
اقتصرت على المؤلفين فقط ، لضاعت كثير من الحقوق . أما وأن أفراد الشعب
مشاركون في هذه الرقابة ، فلن يضيع حق ، لأن ما يفوت الشرطة ، يدركه أفراد
الشعب ، ويبلغونها ذلك لتتولى هي بقية الاجراءات .

٩ : أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقشير في أدائهما :
لأنه كما نلاحظ في النص
منه نقاط الوضوح
موضحة لغيره

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أثر ، لا يمكن لمنصف انكاره ، أو التقليل
من شأنه ، فهو وسيلة من وسائل الاصلاح ، تؤتي ثمارها الطيبة متى استعملت على
وجهها الصحيح .

فان أحسن المجتمع أنه بنيان متماسك ، يصلح بعضه بعضاً ، اشتد تماسكه

وترابطه ، وكثيرا ما يكون الوقوع فى المنكر ، أو الاعتماد عن المعروف ، نتيجة عدم العلم ، أو نتيجة عدم الفقه فى تقديم الأهم على المهم ، فإذا بصّر بالصواب ، ووضح له طريق الخير ، فانه سرفان ما يهتدى ويرجع الى الحق .

وهذه احدى الآثار الطيبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد يكون الواقع والمتورط فيهما ، قريب العهد ، فبأدنى نصيحة يمكن أن يقلع ، ان العادة لم تكن متأصلة فيه .

والهول والهلاك لمجتمع ، صار المنكر فيه معروفا ، والمعروف منكرا ، واستقر على ذلك ، نتيجة التقصير فى القيام بالأمر والنهي .

ان الاسلام يبنى السلامة لأفراده ومجتمعه على السواء ، فلا يقر منقصة تخص ، على حساب الاضرار بالآخرين وصدق الله تعالى ان يقول : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " . (١)

١ . تفسير جزء الآية الكريمة :

قال تعالى : " وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " أى : أمر الناس بطاعة الله واتباع أوامره ، وانهم عن معاصيه سبحانه وتعالى ، والوقوع فى محارمه ونواهييه . (٢)

" وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن جبير ، قال : وأمر بالمعروف : يعنى : التوحيد . وانه عن المنكر : يعنى : الشرك " . (٣)

(١) سورة : الملك - آية : ١٤ .

(٢) تفسير الطبرى / ج / ص ٧٣ / بتصرف يسير .

(٣) انظر : روح المعانى / للألوسى / ج ٢١ / ص ٨٩ .

والمعنى : أن الانسان اذا كمل فى نفسه بعبادة الله تعالى ، والاستقامة على نهجه القيم وفى مقدمة ذلك اقامة الصلاة كما يجب ، فيجب عليه حينئذ أن يعمل على تكميل غيره من الناس وذلك بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، والنصح لهم فى ذلك . فان هذا هو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وورثتهم من العلماء .

وقد يقول قائل : ان لقمان فى هذه الآية الكريمة : فى وصيته لابنه : قدم الأمر بالمعروف على النهى عن المنكر .

وقبل ذلك بآيات : قدم النهى عن المنكر على الأمر بالمعروف ، حيث كان أول قوله : " يا بنى لا تشرك بالله " ثم قال : بعد ذلك : " يا بنى أقم الصلاة " .

فما السرفى ذلك ؟

ويجاب عن ذلك بما يلى :

انه كان يعلم أن ابنه معترف بوجود الله تعالى ، فما أمره بهذا المعروف ، ونهاه عن المنكر الذى يترتب عليه ، فان الشرك بالله لا يكون نافيا لله فى الاعتقاد ، وان كان يلزمه نفيه بالدليل ، فكان كل معروف فى مقابلته منكر ، والمعروف فى معرفة الله ، اعتقاد وجوده . والمنكر : اعتقاد وجود غيره معه . فلم يأمره بذلك المعروف لحصوله ، ونهاه عن المنكر ، لأنه ورد فى التفسير أن ابنه كان مشركا ، فوعظه ولم يزل يحظه حتى أسلم .

وأما ههنا : فأمره أمرا مطلقا ، والمعروف مقدم على المنكر . (١)

(١) انظر : التفسير الكبير / للرازى / ج ٢٥ / ص ١٤٩ / الطبعة الاولى .

الفصل السابع

فى تفسير قوله تعالى

"واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور" (١)

يتم البحث فى هذا الجزء من الآية الكريمة فى ضوء النقاط التالية :

- ١ - معنى الصبر .
 - ٢ - أنواع الصبر .
 - ٣ - الصبر نصف الايمان .
 - ٤ - ذكر بعض أسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه .
 - ٥ - مراتب الصبر .
 - ٦ - تفسير جزء الآية الكريمة .
- وهذا هو التفصيل .

١ - معنى الصبر :

الصبر : الحبس .

ومنه : قتل فلان صبورا : أى : حبس حيا ثم رمى حتى قتل . وكل من حبس شيئا فقد صبره ، قال تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغسالة والعشي يريدون وجهه " (١) أى : احبس نفسك معهم .

وأتى الصبر : بمعنى الجرأة ، ومنه قوله تعالى : " فما أصبرهم على النار " (٢) : ما أجراًهم على أعمال أهل النار . (٣)

وقال الخزالي : الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر ، قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما . (٤)

قلت : كل هذه المعاني مرادة ، ولا تنافي بينها ، وكل منها يدل بحسب مقامه وإطلاقه .

ولهذا : فان " الصبر يشغل ^{يحمل} حبس النفس ، وحبس اللسان ، وحبس الجوارح .
فأما " حبس النفس : : فيكون عن الجزع والتسخط .
وأما حبس اللسان : فيكون عن الشكوى والتذمر .
وأما حبس الجوارح : فيكون عن التشويش .

(١) سورة الكهف - آية : ٢٨ .

(٢) " البقرة " ١٢٥ .

(٣) لسان العرب - لابن منظور - ج ٤ / ص ٤٤٠ وابعدها / ١٣٨٨ هـ ،

١٩٦٨ م / بتصرف .

(٤) انظر احياء علم الدين / للخرزالي - ج ٤ - ص ٦٢ ، ٦٣ .

وهذا انما يتحقق اذا كان وفق سنن الله وآياته ، فى النفس وفق الآفاق ،
ومع نعم الله على الانسان ، ووفق ما جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام
والكتب المنزلة ، من عند الله سبحانه وتعالى . عندئذ يتحقق الصبر ، وهذا هو الصابر
حلاوة الصبر" . (١)

٢ : أنواع الصبر :-

اذا أمعنا النظر فى معانى الصبر ، فانه يمكننا أن نقسمه الى ثلاثة أنواع :-

- أ - صبر على طاعة الله .
 - ب - صبر على ترك معصية الله .
 - ج - صبر على امتحان الله وملائه .
- وهذا هو تفصيل ذلك :-

أ - الصبر على طاعة الله تعالى :

ويمثل هذا النوع من الصبر ، فى المحافظة على طاعة الله تعالى ، على
الدوام ، والاخلاص فيها لوجهه سبحانه ، والالتيان بها على هدى القرآن الكريم
والسنة الشريفة .

وهذه الأمور الثلاثة ، متلازمة تلازما وثيقا ، فاذا لم يحافظ العبد على الطاعة
دائما ، تعطلت .

ولو حافظ عليها دوما ، ربما يعرض لها آفتان ، أو احدهما :-

(١) مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية / ج ٢ / ص ١٥٦ / بتصرف .

الاولى : ترك الاخلاص فيها :-

وذلك بأن يكون الباعث عليها غير وجه الله ، و ارادته سبحانه ، والتقرب اليه ، وحفظها من هذه الآفة الخطيرة ، انما يتم برعاية الاخلاص .

الثانية : ألا تكون مطابقة للمعلم :-

وذلك بالألا تكون على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وحفظها من هذه الآفة : انما يتم بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

والصبر على الطاعة ، فوق الصبر عن ترك المعصية ، لأن ترك المعصية انما كان لتكميل الطاعة ، والنهي مقصود للأمر . ولما كان المنهى عنه ينقص المأمور به ، نهى عنه ، حماية لجانب الأمر وصيانة له . فلهذا كان جانب الأمر أقوى وأكد . (١)

ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله : " الصبر على أراء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات ، وأفضل ، فان مصلحة فعل الطاعة ، أحب الى الشارع من مصلحة ترك المعصية . ومفسدة عدم الطاعة أبغض اليه وأكبر من مفسدة وجود المعصية " . (٢)

وقد قيل : حظ النفس في المعصية ظاهر جلي ، وحظها في الطاعة باطن غفي ، ومداواة ما يغفى ، صعب علاجه .

ب - الصبر على معصية الله :-

هذا النوع من الصبر ، يكمن في اجتناب كل ما نهى الله عنه ، ومنع النفس من

(١) مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية : ج ٢ / ص ١٦٤ وما بعدها / بتصرف .

(٢) انظر / المرجع نفسه - ص ١٥٧ .

ذلك ، وحرمانها منه ، ولو كان فيه لذتها وسرورها .

والصابر في هذا ، انما يلاحظ أمور :-

١ - يلاحظ الصابر ، تفسيته :-

فالنفس تشتهى ، ولا تنظر الى المواقب ، وحظها في المعصية ، ظاهر
جلي ، وليس في طبيعتها الا شيان :
هو : هي دائما أعظم منه . وإيمان : هو دائما أعظم منها ، فان لاحظت
ما يجرها الى الخارج ، هلكت وتفانت ، وان لاحظت ما يجذبها الى الداخل
علت وارتقت وكانت مؤمنة .

فالصابر اذا عن المعصية ، متوجه الى نفسه ، والعوامل المتصارعة
في داخلها ، فان ترجحت كفة الايمان ، وانتصرت النفس على شهواتها ،
انتقلت الى نظر آخر ، وهو : نظر شدة الوعيد على المعصية .

٢ - يلاحظ الوعيد الشديد المترتب على ارتكاب المعصية :-

والصابر انما يلاحظ الوعيد الشديد الذي يترتب على ارتكاب المعصية ، ابقاء
على الايمان ، وحذرا من الحرام .

٣ - يلاحظ الحياء من الرب تبارك وتعالى :-

وذلك أن يستعان بنعمه على معاصيه .

أما ملاحظة الوعيد والخوف منه :-

فالباعث عليه ، قوة الايمان بالخير والتصديق بضمونه .

وأما الحياء : فالباعث عليه : قوة المعرفة ، وشاهدة معاني الأسماء والصفات .

والأحسن من ذلك : أن يكون الباعث عليه ، وازع الحب ، فيترك المعصية ، محبة
لله تعالى ، ومحبة لما أحب الله .

وفى الأثر : " شف الله على قدر قدرته عليك ، واستحق منه على قدر قربه منك " .
والإيمان إذا قوى فى الإنسان ، كان داعياً الى ترك المعصية ، لأن المعصية تنقص
الإيمان أو تذهب به ، أو تذهب رونقه ومهجته ، أو تطفئ نوره ، أو تضعف قوته
أو تنقص ثمرته ^(١) . يشير الى ذلك الحديث الشريف : " عن أبى هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا
يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب
نهباً يرفع الناس اليه فيها أبصارهم وهو مؤمن " . ^(٢)

والمعاصى للإيمان ، كالمأكولات المضرة للأبدان ، وكل شهوة يتبعها
الإنسان ترتفع منها ظلمة الى قلبه ، كما ترتفع عن نفسه ظلمة فى المرأة الصقيمة ،
فإن تراكت ظلمة المعاصى ، صارت ريناً ، كما يصير بخار النفس عند تراكمه فى المرأة
خبثاً ، ولا بد من محوه بالحسنات ، كما قال جل شأنه : " ان الحسنات يذهبن
السئئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين " . ^(٣)

وأما الحذر عن الحرام : فيكون بالصبر عن كثير من المباح ، حذراً من أن يؤدى

(١) المرجع نفسه / ص ١٦٤ / بتصرف .

(٢) انظر / صحيح البخارى / ج ٨ / ص ١٩٥ ، ١٩٦ / باب : لا يشرب الخمر

كتاب : الحدود وما يحذر من الحدود / دار مطابع الشعب .

(٣) سورة : هود - آية : ١١٤ ، ١١٥ .

به ذلك الى الوقوع فى الحرام ، يشير الى ذلك الحديث الشريف الذى يرويه عطية السعدى ، " قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به ، حذرا لما به بأس " . (١)

أما الحياء فلكونه من شيم الأشراف ، وأهل النفوس الزكية ، فان صاحبه يكون أحسن حالا من أهل الخوف .

كما أن فى صاحب الحياء ، ما يدل على مراقبته لله تعالى ، وحضور قلبه معه وتحفظه واجلاله له سبحانه ، وهذا ما ليس موجودا فى وازع الخوف .

ولذا فان من وازعه الحياء : يكون قلبه حاضرا مع الله ، مراعى جانب الرب تبارك وتعالى .

أما من وازعه الخوف : فيكون قلبه مع العقوبة ، مراعى جانب نفسه وحمايتها وكلا المقامين من مقامات أهل الايمان . غير أن الحياء أقرب الى مقام الاحسان وألصق به لأن صاحبه ينزل نفسه منزلة من كأنه يرى الله تبارك وتعالى ، فنبع الحياء من عين قلبه ، وهذه منزلة عظيمة عالية ، ندعو الله أن يجعلنا جميعا من أهلها . (٢)

ج - الصبر على امتحان الله وابتلائه :

وهذا النوع من الصبر ، انما يحتمله صاحبه ، واضعا نصب عينيه عدة أمور هى :

١ - تهوين البلية لديه ، بتذكر نعم الله عليه .

(١) انظر / سنن الترمذى / ج ٤ / ص ٥١ / باب : " تابع لأبواب صفة القيامة " .

قال عنه : " هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه " .

(٢) مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية / ج ٢ / ص ١٦٥ / يتصرف .

- ٢ - انتظار روح الفرج من الله تعالى .
 - ٣ - ملاحظة حسن الجزاء على ذلك الصبر .
- وهذا تفصيل هذه النقاط .

١ - أما تهوين البليّة :

فانما يكون بأمرين :-

أحدهما : يحاول أن يعد نعم الله عليه ، وأياديه عنده ، فإذا عجز عن عدّها ، وأيس من حصرها ، هان عليه تحمل ما هو فيه من البلاء ، لأن نسبته إلى نعم الله عليه ، ما هي الا كقطرة إلى جانب بحر .

ثانيهما : تذكر سوائف النعم التي أنعم الله بها عليه فيما مضى .
فمتى ذكر ذلك وعرف قدره ، هان عليه تحمل البلوى مهما عظمت .

٢ - انتظار روح الفرج من الله تعالى :-

ان انتظار الفرج من الله تعالى ، وترقيبه وتطلعه يخفف حمل المشقة ، والصبر على البلوى ، مهما كانت عظيمة ، وخاصة عند قوة الرجاء أو القطع بالفرج .
ولذا فان الصابر ، متى كان كذلك ، فانك تجده يتنسم روح الفرج ففى حشو البلاء .

٣ - أما ملاحظة حسن الجزاء على ذلك الصبر :

فان الصابر يخفف عليه ، تحمل البلاء بقدر ملاحظته للجزاء على ذلك ، والشوق به ، لشهود العوض ، واللذة العائدة عليه بمد ذلك الابتلاء .
ولولا ذلك لثعلبت المصالح ، ولا أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة ، مقابل

ثمرة مؤجلة .

وكما قيل : ان النعيم لا يدرك بالنعيم ، وأن من رافق الراحة ، فارق الراحة وحصل على المشقة ، وقت الراحة في دار الراحة .
وعموما فان ملاحظة حسن العاقبة ، تمين على تحمل الصبر ، سواء كان ذلك اختياريا أو اضطراريا . (١)

ما سبق يتضح أن الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصيته سبحانه ، أكمل من الصبر على ابتلائه وامتحانه ، لأن الصبر فيهما صبر اختيار وإشعار . أما الصبر على ابتلاء الله تعالى وامتحانه ، فهو صبر ضرورة ، لا مناص منه ، كصبر سيدنا أيوب وسيدنا يعقوب عليهما السلام فيما ابتلاههما الله به .

ولذا يقول ابن تيمية رحمه الله :-

" كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها ، أكمل من صبره على القاء اخوته له في الحب ، وبيعته ، وتفريقهم بينه وبين أبيه ، فان هذه أمور جرت عليه بغير اختياره ، لا كسب له فيها ، وليس للمعبد فيها حيلة غير الصبر .
وأما صبره عن المعصية : فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس ، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة . فان كان شابا ، وداعية الشباب اليها قوية ، وعزبا ، ليس له ما يحوضه ويرد شهوته ، وغريبا ، والغريب لا يستحى في بلد غربته ، مما يستحى منه ، من بين أصحابه ومعارفه وأهله . ومملوكا ، والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر . والمرأة جميلة ، وذات منصب . وهي سيدته ، وقد غاب الرقيب

(١) المرجع نفسه - ص ١٦٦ ، ١٦٧ / يتصرف .

وهي الداعية الى نفسها ، والحريصة على ذلك أشد الحرص ، ومع ذلك توعدته -
ان لم يفعل - بالسجن والصغار . ومع هذه الدواعي كلها : صبر ، اختصارا
وايثارا لما عند الله .

وأين هذا من صبره في الحب ، على ما ليس من كسبه ؟ (١) .

٣ : الصبر نصف الايمان :

قال الله تعالى في كتابه العزيز : " ان في ذلك لآيات لكل
صبار شكور " . (٢) ذلك أن الايمان شامل ، لكل جوانب حياة الانسان . وحياته
لا تغلو عن نعمة أو نقمة ، وكلتا هما تستوجب شكرا وصبرا .

ومن هنا كان الايمان موزعا بهذا الاعتبار على صبر وشكر ، وهما في
الوقت نفسه متلازمان . فالصبر على النعمة يستلزم الشكر عليها . وكذا في النقمة ،
فما من صابر على بلاء أو غيره ، الا يعد شاكرا لله . وهو سبحانه لا يمسك عنا
فضله ، الا حين نطلب ما ليس لنا ، أو ما لسنا له .

أما المصائب الالهية ، فان الله يرسلها برحمة ، فيستلب فيها من الانسان
احساسه أو أكثره ، ويعطيه أسباب العزاء أو أكثرها . وهي له من أمره ما يجعله
يتلقى المصيبة بروحها ، لا بروح النعمة التي أصيب فيها . ولا يكون الا كالذي
يغمض عينيه ثم ينحدر الى الأبدية ، وقد يتحطم في مهواتها وما أحسن من الآلام
بشيء لأنه نائم .

(١) انظر/ المرجع نفسه - ج ٢ / ص ١٥٦ .

(٢) سورة : لقمان - آية : ٣١ . وفي غير سورة لقمان .

والله جل شأنه ، الذى يسلط الألم على الروح ، هو الرؤوف الذى يسلط
الزمن على الألم ، فيقلل من سلطانه وجبروته ، وكلما تباعد العهد بالمصيبة ،
كلما خفت حدتها .

والايمان يتضمن القول والعمل والنية ، وهذه جميعها ترجع الى شطرين ،
فعل وترك .

فالفعل : هو العمل بطاعة الله ، وهو حقيقة الشكر .

والترك : هو الصبر عن معصية الله . والدين كله فى هذين الشئتين .

وكما هو معلوم أن النفس لها قوتان ، قوة الاقدام ، وقوة الاحجام . وهى
دائما مترددة بين أحكام هاتين القوتين ، فتقدم على ما تحبه ، وتحجم عما
تكرهه .

والدين كله اقدام واحجام . اقدام على طاعة الله ، واحجام عن معصية الله .
وكل هذا لا يحصل الا بالصبر . (١)

هكذا نتعلم من الايمان ، أنه صبر وشكر ، صبر يحبس النفس ، وشكر على
النعم التى أسديت الينا .

وهل فى الحياة الا خير وشر ؟

ومن هنا يصح أن يكون الصبر ، نصف الايمان ، بناءً على ما فى الحياة من
خير وأشر ، وصدق الله ان يقول : " ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور " . (٢)

(١) انظر / عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / للعلامة : ابن قيم الجوزية /

تصحيح الناشر : زكريا على يوسف - دار الكتب العربية . ص ٨٨٨ ، ٨٩٠ .

(٢) سورة سبأ آية ١٩ . وفى غير هذه السورة من سور القرآن الكريم .

٤ - ذكر بعض أسماء الصبر بالإضافة الى متعلقه :

إذا أمعنا النظر في الصبر الذي يتحمله الانسان ، فيمكننا تقسيمه الى

قسمين :-

أحدهما : بدنى .

ثانيهما : نفسى .

أولا : الصبر البدنى :- وينقسم الى :

أ - فعلى اختيارى :

وهو أن يتحمل الصابر ، المشاق ببدنه ، ويثبت على تحملها ، سواء كان ذلك من العبادات أو غيرها . وهذا النوع من الصبر ، يكون اختياريا يفعلُه صاحبه برغبة منه واختيار .

ب - تحملى اضطرارى :

وهذا النوع يكون بالصبر على تحمل ما يشق على الجسم ، كالضرب الشديد والمرض العظيم ، والجراحات الهائلة ، وما شابه ذلك .
وصاحب هذا الصبر : يكون صبره اضطرارى واجباريا ، ولذا فهو صابر لعدم استطاعته فعل شيء سواه .

وهذان القسمان من الصبر ، يكونان محمودين ، إذا وافقا شرع الله . (١)

ثانيا : الصبر النفسى : وينقسم الى :-

أ - اضطرارى :-

وهذا النوع من الصبر ، يتمثل فى صبر النفس عن محبوبها قهرا ، إذا حيل

(١) أحياء علوم الدين / للغزالي - ج ٤ / ص ٦٦ ، ٦٧ / بتصرف .

بينها وبينه . وهو صبر اضطرارى لا مفر منه ، ولا بديل عنه .

ب - اختيارى :

وهذا النوع يتمثل فى الصبر عن مشتبهيات الطبع ، ومقتضيات الهوى ،
ورغبات النفس ، المخالفة لشرع الله وأمره .

وهذا النوع من الصبر محمود ، لأن الداعى اليه ، ارضاء الله تعالى ،
والتوقى من الوقوع فى ما حرمه الله ونهى عنه .

وهو صبر اختياري ، وتختلف أسماؤه بحسب متعلقه :-

فان كان صبرا عن شهوة البطن ، وعدم التسرع الى الطعام ، أو تناول ما لا يجمل
منه ، سمي : شرف نفس وشبع نفس . وسمى ضده : شرها ودناءة ووضاعة نفس .

وان كان صبرا عن شهوة الفرج المحرمة ، سمي : عفة . وسمى ضده : فجورا
وزنى وعهرا .

وان كان صبرا عن فضول العيش سمي زهدا ، وسمى ضده : حرصا .

وان كان صبرا عن ما لا يجوز اظهاره من الكلام ، سمي كتمانا ، وسمى ضده : افشاء
أو تهمة أو فحشا أو كدبا ، وما الى ذلك .

وان كان صبرا على قدر يكفى من الدنيا ، سمي قناعة . وسمى ضده : حرصا ،
أو شراهة .

وان كان صبرا عن اجابة داعى الغضب ، سمي : حلما ، وسمى ضده : تسرعا .

وان كان صبرا عن اجابة داعى العجلة ، سمي : ثباتا ووقارا ، وسمى ضده :
طيشا وخفلة .

وان كان صبرا عن اجابة داعى الفرار والهرب من السيئة ،سمى : عفوا وصفحا ،
وسمى ضده : انتقاما ومعاقبة .

وان كان صبرا عن داعى الامساك والشح ،سمى جودا وكrema ، وسمى ضده
بغلا .

وان كان صبرا عن داعى المعجز والكسل ،سمى كيسا .

وهكذا : له عند كل فعل أو ترك ، اسم معين ، يسمى بحسب متعلقه .
والاسم الجامع لكل ذلك هو : " الصبر " . (١)

ولا غرو أن كان الصبر بكل هذه الاعتبارات وغيرها ، نصف الايمان .

هـ - مراتب الصبر :

ان مراتب الصبر ، تتفاوت تبعا لتفاوت أصحاب الصبر ، وتفاوت قدرهم ،
ومدى تحملهم على ما يلاقونه فى حياتهم ، مما يضاد رغباتهم وميولهم .
ولهذا يمكن تقسيم مراتب الصبر الى المراتب التالية :-

المرتبة الأولى :-

مرتبة الكمال :- وهى مرتبة أولى المراتب .

وهذه المرتبة : هى الصبر لله وبالله .

فالصبر لله متعلق بأوهيته ، والصبر بالله : متعلق بربوبيته .

والصبر له عبادة ، والصبر به استعانة ، والعبادة غاية ، والاستعانة وسيلة ،

(١) عدة الصابرين / لابن قيم الجوزية - ص ١١ / دار المكتبة العلمية / بتصرف .

والغاية مرادة انفسها ، والوسيلة مرادة لغيرها .

والصبر به سبحانه : مشترك بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، فكل من شهد الحقيقة الكونية ، صبر به .

والصبر له : منزلة الرسل والأنبياء والصديقين ، وأصحاب شهد : " اياك نعبد واياك نستعين " .

والصبر له : صبر فيما هو حق له ، محبوب مرضى له .

والصبر به : قد يكون فى ذلك ، وقد يكون فيما هو مسخوط له ، أو مكروه أو مباح .

فالصابر فى هذه المرتبة : انما يكون صبره ، مبتغيا به وجه الله ، صابرا

به سبحانه متبرئا من حوله وقوته هو . وهذا كان أقوى مراتب الصبر وأرفعها .

المرتبة الثانية :-

من فيه صبر الله : - لكنه ضعيف النصيب من الصبر بالله والتوكل عليه

والثقة به والاعتماد عليه سبحانه .

فهذا له عاقبة حميدة ، لكنه ضعيف عاجز مخذول فى كثير من مطالبه ، لضعف

نصيبه من : " اياك نعبد واياك نستعين " .

فنصيبه من الله ، أقوى من نصيبه بالله . وهذا حال المؤمن الضعيف .

المرتبة الثالثة :

من فيه صبر بالله ، وهو مستعين به سبحانه ، متوكل على حوله وقوته ،

متبرئ من حوله - هو - وقوته . ولكن صبره ، ليس لله ، ان ليس صبره فيما هو ممراد

الله الديني منه . فهذا ينال مطلوبه ويظفر به ، ولكن لا عاقبة له ، بل ربما كانت عاقبته ، شر العواقب ، وفي هذا المقام ، خفراء الكفار ، وأرهاب الأحوال الشيطانية ، فان صبرهم بالله ، لا لله ، ولا في الله ، ولهم من الكشف والتأثير بحسب قوة أحوالهم ، وهم من جنس الطوك الظلمة ، فان الحال كالملك يعطاه البر والفاجر ، والمؤمن والكافر .

المرتبة الرابعة :-

أن يكون صبره لغير الله : بمعنى أنه لا يصبر لله تعالى ، ولا يصبر بالله .

وهذه أخس المراتب . وهذا صبر أردأ الخلق - والعياذ بالله من ذلك - صاحبه جدير بكل غدلان ، ومكل حرمان . (١)

ويمكن اجمال ما سبق فيما يلي :-

١ - صابر لله وبالله : وهذا حال المؤمن القوى ، ومن المعلوم أن المؤمن القوى غير وأعب الى الله من المؤمن الضعيف .

ومن هذا حاله ، فهو قوى محمود العاقبة ان شاء الله تعالى .

٢ - صابر لله : وهذا حال المؤمن الضعيف ، وحاله محمود ، لكنه ضعيف عاجز .

٣ - صابر بالله : وهذا حال الفاجر القوى ، وهذا قد يثمر صبره ، لكن عاقبته مذمومة .

(١) مدارج السالكين / لابن القيم - ج ٢ / ص ١٦٩ : ١٧٠ / بتصرف .

٤ - صابر لغير الله :- وهذا حال الفاجر الضعيف ، وهو مفهوم مضمحل ولا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

٦ : تفسير جزء الآية الكريمة :

قال تعالى : " واصبر على ما أصابك " :-

أى : عليك بالتسلح بالصبر ، على ما تلاقيه من المحن والشدائد وخاصة فيما
أمرته من إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد جاءت الوصية
بالصبر فى هذه الأشياء الثلاثة بصفة خاصة ، لأهميتها وعاشانها .

فأما فى الصلاة : فلأن اتمام الصلاة والمحافظة عايتها فى أوقاتها بكل
أركانها وواجباتها وسننها ، قد يشق ، ولذا قال تعالى : " وانها لكبيرة الا على
الغاشعين " . (١)

أما لصبر فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : فان الحاجة الى ذلك
فيهما ظاهرة لما قد يلاقيه الأمر بهما من الغير ، من الأذى والمتاعب والعقبات .
وقال ابن جبير : أن معنى : " واصبر على ما أصابك " . أى : فى أمر الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول : اذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر ، وأصابك
فى ذلك أذى وشدة ، فاصبر عليه " . (٢)

وقوله : " ان ذلك من عزم الأمور " :-

أى : الصبر على ما أصابك . وفى اسم الإشارة " ذلك " ما فيه من معنى البعد ،

(١) سورة : البقرة : آية : ٤٥ .

(٢) روح المعاني / للأوسى / ج ٢١ / ص ٨٩ / بتصرف .

للاشعار بعيد منزلته في الفضل . والتفسير بهذا المعنى ، يتناسب مع افسراد
اسم الاشارة .

وقيل : يكون المعنى : اشارة الى الصبر ، والى سائر ما أمر به . (١)

قلت : كلا المعنيين يحتلها اللفظ ، ولا داعي اترجيح أحدهما على الآخر ،
غير أن الاول فيه اشارة الى علو منزلة الصبر والحث عليه في جميع الأمور .

وقواه : " من عزم الأمور " :-

أى : من الأمور الواجبة المعزومة ، أى : المقلوعة ، ويكون المصدر ، بمعنى :
المفصول ، كما تقول : أكلت في النهار رغيف خبز ، أى : مأكولى . (٢)

وفى روح المعاني : " وجوز أن يكون العزم ، بمعنى : الفاعل : أى : عازم
الأمور ، من : عزم الأمر ، أى : جد فمزم الأمور ، من باب الاسناد المجازي ، ككرر
الليل ، لا من باب الاضافة ، على معنى : في . وان صح .

وقيل : يريد مكارم الأخلاق ، وعزائم أهل الحزم ، السالكين طريق النجاة .
واستظهر أبوحيان ، أنه أراد : من لازمت الأمور الواجبة .
ونقل عن بعضهم : أن العزم هو : الحزم ، بلفظة هذيل ، والحزم والعزم أصلان ،
وما قاله المبرد : من أن العين قلبت حاء ، ليس بشيء ، لا طراد تصارييف كل من
اللفظين ، فليس أحد هما أصلاً للآخر .

والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق ، وفيه اعتناء بشأنه . (٣)

(١) المرجع السابق / ج ٢١ / ٨٩ / بتصرف .
(٢) انظر / التفسير الكبير / للرازي / ج ٢٥ / ص ١٤٩ .
(٣) انظر / روح المعاني / للأوسى / ج ٢١ / ص ٩٠ .

والأمر ، هي : الشئون . وهكذا كل جمع لهذه المادة على هذه الصيغة
يراد به الشئون . أما الأمر التكليفي ، فيجمع على " أوامر " ، لا على أمور ، فهو من
باب : قول الله تعالى : " ألا له الخلق والأمر " .

أما قوله : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان " : فهو من باب : الأمر
التكليفي .

وعندى : أن الآية وإن اقتضت على ذكر ثلاثة عناصر هي : الأمر بإقامة
الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إلا أنها قد احتوت على السعادة
الدنيوية والأخروية ، لأن هذه العناصر الثلاثة ، تعتبر في حقيقتها ، جامعة
لكل أنواع الخير ، وطرق الفضيلة ، فإنها قد اشتملت على الكمال والتكميل . الكمال
في النفس وهو أول الأمرين وأهمهما والتكميل في الخير ، ويأتي في الدرجة الثانية .
ومتى كان المرء كاملاً في نفسه ، ومكملاً لغيره فقد بلغ درجة عالية من الفضيلة
والصلاح ، لا يصل إليها إلا من سعد بتوفيق الله ورعايته .

الفصل الثامن

في تفسير قوله تعالى

"ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور".

تدور هذه الآية الكريمة حول عنصرين هامين هما :-

أ - ذم الكبر . ب : مدح التواضع .

وتم البحث فيها على النحو الآتي :-

- ١ - معنى التصغير .
 - ٢ - " الخد " .
 - ٣ - " المرح " .
 - ٤ - ايس المراد حصر الكبر في المشي ، بل له صور أخرى .
 - ٥ - دخول النفي على صيغة المصوم .
 - ٦ - معنى : الاختيال والفخور .
 - ٧ - مقتضى النهي .
 - ٨ - مفهوم النهي في هذا الموضع ، وهو : " التواضع " .
 - ٩ - حقيقة الكبر وذمه .
 - ١٠ - علة ذلك وهو : أن الكبر لله وحده .
 - ١١ - مع المفسرين .
- وهذا هو التفصيل :-

نذكرنا مع هذه النقطة هذا المصطلح

١ - معنى التصعير:

المصعر : ميل في الوجه . وقيل : الصعر : الميل في الخد خاصة ،
وربطا كان غلقة في الانسان .

وقيل : هو ميل في الحنق ، وانقلاب في الوجه الى أحد الشقين ، وقد صعر
خده ، وصاعره : أماله من الكبر ، قال الشاعر :-

وكنا اذا الجبار صعر خده . . . أقمنا له من ميله فتقوصا

يقول : اذا أمال متكبر خده للناس ، أن للنه حتى يتقوم ميله .

وقيل : الصعر : داء يأخذ البعير فيلوى منه عنقه ويميله .

وقال للمتكبر : فيه صعر وصيد .

والتصعير : إمالة الخد عن النظر الى الناس تهاونا ، من كبر ، كأنه

معرض ، وفي الحديث : " يأتى على الناس زمان ليس فيهم الا أصعرا وأبتر " .

يعنى :- رذالة الناس ، الذين لا دين لهم . وقيل : ليس فيهم الا ذاهب
بنفسه أو ذليل " .

وقال ابن الأثير : " الأصعر : المعرض بوجهه كبرا . وفي حديث عمار :

" لا يلي الأمر بعد فلان الا كل أصعرا أبتر " . أى : كل معرض عن الحق ناقص .

ولأقيم صعر : أى : ميلك . (١) وفي حديث توبة كعب وصاحبه : . . . قال

كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب ، يظن أن ذلك سيخفى له ، ما لم ينزل

فيه وحى من الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين

(١) اسان العرب / لابن منظور / مجاد ٣ / ص ٤٥٦ / بيروت ٨٨ / هـ ١٤١٨ م

بتصرف .

لا تخاف من الخد

طابت الشمار والظلال ، فانا اليها أصغر (١) الحديث .
والمعنى : فانا اليها أميل . (٢)

٢ : معنى الخد :

الخد والخندان : جانباً الوجه ، وهما : ما جاوزا مؤخر العين الى

منتهى الشدق .

وقيل : الخد من الوجه : من لدن المحجر الى اللحي ، من الجانبين جميعاً ،

ومنه : اشتق اسم المخدة بالكسر ، وهى : المصدعة ، لأن الخد يوضع عليها .

وقيل : الخدان : اللذان يكتنفان الأنف عن يمين وشمال ، وقال اللحيانى :

هو مذكر لا غير ، والجمع : خدود ، لا يكسر على غير ذلك .

وقال الأصمعى : الخدود فى الفبط والهواج : جوانب الدفتين عن

يمين وشمال ، وهى : صفائح ، خشبها ، الواحد خد . والخد والخدة والخدود :

الحفرة تحفرها فى الأرض مستطيلة .

وفى التهذيب : الخد : جعلك أخدوداً فى الأرض تحفره مستطيلاً ، يقال :

خدّ خدّاً ، والجمع : آخاديد (٣) .

(١) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووى / ج ١٧ / ص ٨٨ / كتاب التوبة /

باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه / الطبعة الثانية - ٩٢ هـ - ٧٢٢ م

(٢) انظر / المرجع السابق / الشرح / ج ١٧ / ص ٨٩ / كتاب التوبة / باب :

حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه / الطبعة الثانية ٩٢ هـ - ٧٢٢ م .

(٣) لسان العرب - لابن منظور / مجلد ٣ / ص ١٦٠ / بيروت ، ٨٨ هـ ،

٦٨ م / بتصرف .

٣ : معنى : المرح :

المرح : شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره ، وقد أمره غيره .
وقيل : المرح : التبخر والاختيال ، وفي التنزيل : " ولا تمش في الأرض مرحاً " (١)
أى : متبختراً مختالاً .

وقيل : المرح : الأشر والبطر ، ومنه قوله تعالى : " ذلکم بما كنتم تفرحون فی
الأرض بغير الحق " (٢) وما كنتم تفرحون " (٣) .

وقال الراغب الأصبهاني : المرح : شدة الفرح والتوسع فيه (٤) .
« العنوان المذكور مرشحاً » ، المراد من المرح : المرح في المشي ، بل له صور أخرى :
٤ : لين المشي المراد حصر الكبر في المشي ، بل له صور أخرى :

لقد جاء الاسلام بكل ما من شأنه سعادة للبشرية ، حتى تمسكت بتعاليمه
وسارت على نهجه ، واتبعت هداياه ، ومن بين ذلك ، الحث على مكارم الاخلاق
والتحاق بالاخلاق الحسنة ، لما في ذلك من آثار حميدة وفوائد عظيمة .

وقد وثنا في ذلك حبيبنا وسيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة
وآتم التسليم ، حيث قال فيه المولى تبارك وتعالى : " وانك لعلى خلق عظيم " (٥) .

(١) سورة : الاسراء آية : ٣٧ .

(٢) سورة : غافر آية : ٧٥ .

(٣) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٢ / ص ٥٩١ / بيروت / ١٣٧٤ هـ

١٩٥٥ م / يتصرف يسير .

(٤) المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصبهاني / ص ٢٠٦ / كتاب الميم .

(٥) سورة النجم - آية : ٤ .

وكما حث الاسلام على الأخلاق الفاضلة وأمر بها ، فقد نهى عن الأخلاق الذميمة وأمر باجتنابها ، ومما نهى عنه الاسلام وأمر باجتنابه وحذر من الوقوع فيه ، الكبر . فقد حارب الاسلام فى مختلف صور وأوضاعه ، لأنه شذوذ فى الانسان ، عن وضعه اللائق به ، وجهل منه لحقيقة نفسه ، فعلى من يتكبر يا ترى ؟

ان كان على انسان ، فهو مثله ، وان كان على غير انسان ، فلن يتأتى ذلك منه ، لأنه سفيه . وما يتميز به بعض الناس عن غيرهم فى ناحية ، ينقص عنهم شئ آخر فى ناحية أخرى .

قال بعض الحكماء : " ان الزيادة المسرفة فى جهة من العقل ، تأتى من النقص المتحيف الى جهة أخرى ، وانه رب عقل كان تاما عبقرى فى أمور لأنه ضعيف أبله فى غيرها " .

ثم ان الكبر من صفات الخالق ، فما ينبغى للمخلوق أن يتناول اليه . وخير سبيل أن يعرف الانسان نفسه بنفسه ، وأن يعرف غيره على منوال ما عرف نفسه ، وحينئذ سيقنع بأن ما يتكبر به ، عرض زائل ، وربما يفقد الكثير مما يستمتع به غيره ، فعدل الله قائم فى عباده ، وزع بالسوية ، بحقايق كثيرا ما تخفى علينا .

(لزام)

هـ : دخول النفى على صيغة العموم :

اذا دخل النفى على صيغة العموم نحو قوله : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " . ظاهره : أنه لسلب العموم ، لتقدم السلب على صيغة العموم " كل " . وهى لا شك من صيغ العموم ، ان أضيفت الى النكرة ، استغرقت الافراد

كما في هذه الآية ، وان أضيفت الى المعرفة ، استفرقت الأجزاء ، ونحو قول القائل : " كل الرمان أكلت " ، فهو غير صادق ، لأنه لم يأكل القشر .

اذا كان الأمر كذلك ، فان ظاهر الآية ينتج أن بعض المختالين ، يحبهم الله ، لأن النقي ، سلب العموم ، وسلب العموم يبقى بعض الأفراد .
ويجاب عن هذا : بأن هذا الاستنتاج ، يعرف من المفهوم ، وشرط العمل به ألا يعارض بالمنطوق ، وقد قامت الأدلة على بغض الله لكل فرد مختال فخور من غير استثناء .

فسلب العموم هنا ، يساوى عموم السلب ، فكأنه قال : " كل مختال لا يحبه الله " .
أو : نجعل النقي منصبا على كل فرد ، لا على المجموع فتكون النتيجة : -
" ان الله لا يحب أى فرد كان مختالاً فخوراً " .

والفر

٦ : معنى : الاختيال والفخور :

أ : الاختيال :

المختال : المتكبر . قال أبو اسحاق : المختال : الصليف المتباهى الجهول الذي يألف من ذوى قرابته ، اذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ، ولا يحسن عشرتهم .

وفى الحديث الشريف : " عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من جرّثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة . قال أبو بكر : يا رسول الله : ان أحد شقي ازارى يسترعى ، الا أن أتعاهد ذلك منه ،

(۱) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لست ممن يصنعه خيلاً".

والخِيَلَاءُ والخِيَلَاءُ : بالضم والكسر : الكبر والمعجب . وفي حديث جابر ابن عتيك : " . . وان من الخيلاء ما يفيض الله ، ومنها ما يحب الله ، فأما الخيلاء التي يحب الله ، فاختيال الرجل نفسه عند القتال ، واختياله عند الصدقة ، وأما التي يفيض الله عز وجل فاختياله في البغى " . (٢)

أما عند القتال : فان الرجل يتقدم فيها بنشاط وقوة ونخوه وجنان وشجاعة وشهات .

وأما الصدقة : فإنه تهز أريحية السخاء ، فيعطيهما طيبة بها نفسه ، ولا يستكثر كثيرا ، ولا يعطى منها شيئا الا وهو له مستقل . (٣)

ب : الفخـور :

الفخر والفخر : مثل : نهر ونهر . والفخر والفخر والفخارة والفخيار والفخيار : التمدح بالخصال والافتخار وعدَّ القديم .
والتفاخر : التماظم . والتفخر : التعظم والتكبر .
والفخور : المتكبر . وفاخره ففخره يفخره فخرا : كان أفخر منه وأكرم أباء وأما .
وعند ابن السكيت : فخر فلان اليوم على فلان في الشرف والجلد والمنطق :

(۱) انظر/ صحيح البخاری / لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاری /

ج ٢ / ص ١٨٢ / كتاب اللباس / باب من جرازاره من غير خيلاء /
مطابع الشعب .

(۲) انظر / سنن ابی داود / ج ۲ / ص ۴۷ / کتاب الجہاد / باب فی

الخيلاء والحرب / الطبعة الاولى / ١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢ م .

(٣) لسان الحرب/ لابن منظور / مجلد ١١/ ع ٢٢٨/ بيروت/ ٨٨ هـ - ١٣٦٨ م.

أى : فضل عليه .

وفى الحديث الشريف : " عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ، آدم فمن سواه ، الا تحت لوائى ، وأنا أول من تتشقق عنه الأرض ولا فخر " . الخ الحديث . وقال بعد نهاية الحديث : هذا حديث حسن . (١)

والفخر : ادعاء العظمة والكبر والشرف . والمعنى : لا أقوله تبجها ، ولكن شكرا لله وتحدثا بنعمه سبحانه . (٢)

قلت : وأرى أن الجمع بين مختال وفخور مع تقاربهما فى المعنى ، يفيد

أن : المختال : من تعاضم فى نفسه .

والفخور : من تعاضم على غيره . والله أعلم بأسرار كتابه .

٧ : مقتضى النهى :

كتفى من هذا : ١٢٠ ص ١٢٠
ولا (م)

المراد بالنهى ، عدم الفعل وهو أمر عدمى . كما أن المراد بالأمر :

ايجاد الفعل وهو أمر وجودى . وعلى هذا ، يكون متعلق الأمر الایجاد ،

ومتعلق النهى : الاعداء أو العدم ، وهو أمر لا كمال فيه ، لأن العدم من حيث

هو عدم ، لا كمال فيه ولا مصلحة الا اذا تضمن أمرا وجوديا مطلقا ، وذلك الأمر

الوجودى مطلوب مأمور به ، فعاد تحقيق النهى الى الأمر . وأن المطلوب

به ما فى ضمن النهى من الأمر الوجودى المطلوب به .

(١) انظر / الجامع الصحيح / محمد بن عيسى الترمذى / ج ٤ / ص ٣٧٠

أبواب تفسير القرآن / الطبعة الثانية / ٩٤ هـ ، ٧٤ م رقم الحديث /

// ٥١٥٦ //

(٢) لسان الحرب لابن منظور مجلد ٥ ص ٤٨ ، ٩٤ بيروت ٨٨ هـ ، ٦٨ م بتصرف .

وقد اختلف في المطلوب بالمنهى الى عدة أقوال :-

أحدها : قول الجمهور : وهو :

أن المطلوب به ، كف النفس عن الفعل ، وحبسها عنه ، وهو أمر وجوبى لأن التكليف انما يتعلق بالمقدور ، والعدم المحض غير مقدور .

ثانيها : قال أبوهاشم وغيره : المطلوب : عدم الفعل ، ولهذا يحصل المقصود من بقاءه على عدمه ، وان لم يخطر بباله الفعل ، فضلا أن يقصد الكف عنه ، ولو كان المطلوب الكف ، لكان عاصيا اذا لم يأت به . ولأن الناس يمدحون بعدم فعل القبيح ، من لم يخطر بباله فعله والكف عنه .

ولهذا يرى القاضى أبوبكر : أن عدم الفعل ، مقدور للعبد وداخل تحت المكسب ، ويقول : فى أحد قوليه : المقصود بالمنهى : الإبقاء على عدم الأصل وهو مقدور .

ثالثها : المطلوب بالمنهى ، فعل الضد ، فانه هو المقدور ، وهو المقصود للناس فانه انما نهاه عن الفاحشة طلبا للمعزة ، وهى : المأمور بها ، ونهاه عن الظلم طلبا للمعدل المأمور به ، ونهاه عن الكذب ، طلبا للصدق المأمور به . وهكذا جميع المنهيات .

فحقيقة النهى عند هؤلاء : أنه الطلب لـضد المنهى عنه . فعاد الأمر الى أن الطلب انما يتعلق بفعل المأمور .

والتحقيق أن المطلوب نوعان :

- ١ - مطلوب لنفسه : - وهو المأمور به .
- ٢ - مطلوب لعدائه : وهو المنهى عنه ، لما فيه من المفسدة المضادة للمأمور به .

فان لم يخطر ببال المكلف ، ولا دعت نفسه اليه ، بل استمر على المعدم الأصلي ، لم يشب على تركه. وان خطر بباله وكف نفسه عنه لله ، وتركه اختياراً ، أثيب على كسفه نفسه وامتناعه فانه فعل وجودي ، والثواب انما يقع على الأمر الوجودي ، دون المعدم المحض . وان تركه مع عزمه الجازم على فعله ، لكنه تركه عجزاً ، فهذا وان لم يعاقب عقوبة الفاعل فهو يعاقب على عزمه وارادته الجازمة ، التي انما تخلف مرادها عجزاً .

وقد دلت النصوص الكثيرة على ذلك ، فلا يلتفت الى ما خالفها .

ومن ذلك قوله تعالى : " وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير " . (١)

وقوله سبحانه في كاتم الشهادة : " ولا تكتموا الشهادة ومن يكتتمها فانه آثم قلبه " . (٢)
وقوله سبحانه " ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم " . (٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " اذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ . قال : انه أراد قتل صاحبه " . (٤)
وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر الذي يرويه أبوكبشة الانماري ، وفيه : " ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علماً ، فهو يقول : لو كان لي مال مثل هذا ، عطيت فيه مثل الذي يحصل ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهما في الوزر سواء " . (٥)

(١) سورة البقرة - آية : ٢٨٤ .

(٢) سورة البقرة - آية : ٢٨٣ .

(٣) سورة البقرة - آية : ٢٢٥ .

(٤) صحيح البخاري / ج ١ / ص ١٥٠ / باب : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما / كتاب الايمان - دار مطابع الشعب .

(٥) انظر / مسند الامام احمد / ج ٤ / ص ٢٣٠ / المكتبة الاسلامي / بيروت .

أما قول الفريق الثالث : وهو أن المطلوب بالنهي فعل الضد :-
فهو ليس كذلك : لأن المقصود عدم الفعل والتطبع بالضدين . فان ما لا يتم
الواجب الا به ، غير مقصود بالقصد الاول ، وان كان المقصود بالقصد الاول ،
المأمور الذي نهى عما يمنعه ويضعفه ، فالمنهى عنه مطلوب اعدامه ، طلب الوسائل
والذرائع ، والمأمور به مطلوب ايجاده ، طلب المقاصد والغايات .

أما قول أبي هاشم ومن وافقه :
ان تارك القبائح ، يحمد على ذلك ، وان لم يخطر بباله كف النفس : ففي هذا
تفصيل : وهو : ان أراد بجمده : أنه لا يذم ، فصحيح ، ما ذهب اليه .
وان أراد : أنه يثنى عليه بذلك ، ويستحق الثواب والأجر ، فغير صحيح . فان
الناس لا يحمدون المجهوب على ترك الزنا ، ولا الأخرس على عدم النغيب والسب
والشتيم . وانما يحمدون القادر الممتنع ، عن قدرة وداع الى الفعل .

أما قول القاضى : أن الابقاء على المدم الأصلى مقدور :-

فيحتاج أيضا الى تفصيل : وهو :

ان أراد بذلك ، كف النفس ومنعها ، فصحيح .

أما اذا كان يريد : مجرد المدم ، فليس كذلك . (١)

أ : مفهوم النهى فى هذا الموضع : وهو : التواضع :

سيتم البحث فى هذه الفقرة على النحو التالى :-

أ - معنى التواضع فى اللغة .

ب - ايراد بعض الأقوال فى التواضع والتعليق عليها .

(١) الفوائد / لابن قيم الجوزية / ص ١٢٠ : ١٢٢ / بتصرف يسير .

أ - التواضع في اللبسة : هو التذلل . وتواضع الرجل : ذل .
وتواضعت الأرض : انخفضت عما يليها .

وقال الأصمعي : المتواضع : هو المتخاشع . تراه من بعيد لا صقا بالأرض .
وتواضع الرجل تواضعا : أى : تذلل وتخاشع ، وهو ضد تكبر . (٢)

ب - ايراد بعض الأقوال في التواضع :-
مراجع على التواضع عند ابن الأثير
في التواضع والتواضع والتواضع

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع ، فقال : التواضع أن يخضع للحق
وينقاد له ، وأن يقبله من قاله .

وقال الجنيد : التواضع ، خفض الجناح ، ولين الجانب .
وقال ابن عطاء : هو قبول الحق من كان . (٣)

قلت : وهذه الأقوال جميعها ، تفيد معنى واحدا ، وتصل بصاحبها إلى
نتيجة واحدة ، وإن تفاوتت بعض ألفاظها أو زاد بعضها على البعض الآخر .
والنتيجة هي وصول المتواضع إلى درجة يرى نفسه فيها أنه دون ما صنع .

أما مجالات التواضع فهي متعددة ، فهناك التواضع في الدين ، والتواضع
في الحياة على تعدد جوانبها ، ومن أثبت لنفسه تواضعا ، فهو المتكبر حقا ، إن
ليس التواضع إلا عن شهوة رفعة ، كان يستحقها وأنه تنازل عنها إلى ما دونها . فمتى
أثبت لنفسه رفعة في ضمن إثبات التواضع ، فقد تكبر حقيقة .

(١) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٨ / ص ٣٩٧ / بتصريف - دار بيروت

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(٢) محيط المحيط / بطرس البستاني / ص ٩٧٤ / مكتبة لبنان / بيروت / ١٩٧٧ م .

(٣) مدارج السالكين / لابن القيم - ج ٢ / ٣٢٩ .

وليس المتواضع الذى اذا تواضع ، رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع هو الذى اذا تواضع ، رأى نفسه أنه دون ما صنع ، وحقيقة ذلك أن المتواضع لا يثبت لنفسه تواضعا ، لأنه يرى من خمول ذكره وقلة شأنه ما يمنعه من ذلك . ومن كان هذا حاله ، فلو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء ، لم يثبت لنفسه تواضعا ، لأنه يرى نفسه دائما دون ما صنع من ذلك ، والسبب فى ذلك ، غلبة ذلك الشهود عليه . أما اذا أثبت ذلك لنفسه ، ورأى أنها فوق ما صنع ، مما يقتضى وجود صفة التواضع له بزعمه ، فهو متكبر حقيقة .

والتواضع الحقيقى ، هو ما كان ناشئا عن شهود عظمة الخالق تبارك وتعالى وتجلى صفاته على هذا العبد المسكين ، لأنه سبحانه ما تجلى لشيء الا خضع له ونذل وانكسر .

وبهذا ينقطع من النفس كل تطلعاتها وأمانيتها الى الكبر . ولذلك قال بعض الحارفين : لا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لعمان نور المشاهدة فى قلبه ، فعند هذا تصفو نفسه وتزكو عن الكبر والعجب . (١)

٩ : حقيقة الكبر ونقصه :

الكبر : بالكسر : هو العظمة .

والكبر فى صفات الله تعالى : العظيم الجليل . والمتكبر : الذى تكبر عن ظلم عباده . وقيل : المتعالى عن صفات الخلق .

(١) الحكم / لابن عطاء الله السكندرى / ج ٢ / ص ٦٢ ، ٦٣ / الطبعة

الأخيرة - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

وقيل : الكبرياء : العظمة والبطك . وقيل : هى عبارة عن كمال الذات وكسـال
الوجود ، ولا يوصف بها الا الله تبارك وتعالى . (١)

أما اذا نظرنا الى الكبر الذى يتخلق به بعض الناس - والعيان بالله -
فيمكن أن نقسمه الى باطن وظاهر .

فأما الباطن : - فهو خلق فى النفس .

وأما الظاهر : فهو أعمال تصدر عن الجوارح .

واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، لأن أعمال الجوارح ما هى الا ثمرات لذلك الخلق
ولذلك اذا ظهر الكبر على الجوارح يقال : تكبر . أما اذا لم يظهر ، فيقال : فسى
نفسه كبر .

فالأصل هو الخلق الذى فى النفس . وهو الا سترواح والركون الى رؤية النفس
فوق المتكبر عليه .

ولهذا فان الكبر ، يستدعى : متكبرا ، ومتكبرا عليه ، ومتكبرا به .

والمتكبر بهذه الحالة ، يستعظم نفسه ويرى لها مرتبة تعلو مرتبة المتكبر عليه ، ولهذا
تجده ينظر الى غيره نظرة ازدراء واحتقار ، يترفع عن مجالسته ، ويرى أن حقه أن يقوم
ماثلا بين يديه ، وربما استنكف عن استخدامه ، ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ،
ولا باستخدامه فى قضاء هوائجه ، أما اذا حاجه أحد ، أو ناظره ، فانه يأنف أن يرد
عليه ، وان وعظ استنكف من القبول ، وان وعظ ، عتف واشتد فى النصح (٢) . . . الخ .

(١) لسان العرب - لابن منظور / مجلده / ص ١٢٥ / بيروت ١٣٨٨ هـ -

١٩٦٨ م .

(٢) احياء علوم الدين / للفضالى / ج ٣ / ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ / بتصرف .

والحقيقة أن الأعمال الصادرة عن خلق الكبر ، كثيرة .

ولسوء خلق الكبر والمواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك ، ورد تحريمه ، بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ومن ذلك ما يلي :-

أولا : القرآن الكريم —

ورد كثير من الآيات القرآنية ، تحرم الكبر تحريما قاطعا ، ومن ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر ما يلي :-

- ١ - قال الله تعالى : " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الحق يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين " . (١)
- ٢ - قوله تعالى عن ابليس اللعين ، لما تكبر عن الامثال لأمر الله تعالى ، حين أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، حيث قال تعالى - والخطاب موجه الى ابليس اللعين :
" قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين " . (٢)
- ٣ - قوله تعالى : " وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعدّ بهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا " . (٣)
- ٤ - قوله تعالى : " انه لا يحب المستكبرين " . (٤)

(١) سورة الاعراف - آية : ١٤٦ .

(٢) " " " ١٣ .

(٣) " النساء " ١٢٣ .

(٤) " النحل " ٢٣ .

٥ - قوله تعالى : " الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعطى من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليئس مثوى المتكبرين " . (١)

٦ - قوله تعالى : " وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين " . (٢)

أما الأحاديث الدالة على ذم الكبر والنهي عنه ، فهي كثيرة أيضا ، ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر ما يلي :-

١ - عن معبد بن خالد قال : سمعت حارثة بن وهب الخزاعى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر . " (٣)

٢ - عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم ، تعاجت الجنة والنار : فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : ما لى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم . قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرهم بك من أشياء من عبادى ، وقال للنار : انما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبادى . ولكل واحدة منهما ملوؤها ، فأما النار ، فلا تملأ حتى يضع رجله ، فتقول :

(١) سورة النحل آية ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) " غافر " ٦٠ .

(٣) انظر : صحيح البخارى / ج ٦ ص ١٩٢ / باب عتل بعد ذلك زعيم - كتاب تفسير القرآن / مطابع الشعب .

قط قط قط . فهناك تملؤء ويزوى بعضها الى بعض ، ولا يظلم الله عز
(١)
وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله عز وجل ، ينشئ لها خلقا .

٣ - عن عبد الله قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان في
قلبه مثقال حبة من ايمان . هذا حديث حسن صحيح . (٢)

٤ - عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يقول الله سبحانه : الكبرياء ذئب والعظمة ازارى ، من نازعنى واحدا
منهما ألقيته في جهنم . (٣)

٥ - عن عياني بن حمار ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه خطبهم فقال :
(٤)
ان الله عز وجل أوحى الى ، أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد .

٦ - عن اياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لا يزال الرجل يذهب بنفسه ، حتى يكتب في الجبارين ،

(١) انظر: صحيح البخارى / ج ٦ / ص ١٧٣ / باب : وتقول هل من مزيد
كتاب تفسير القرآن / مطابع الشعب .

(٢) انظر: الجامع الصحيح / محمد بن عيسى الترمذى / ج ٣ / ص ٢٤٣ /
باب ما جاء فى الكبر / الطبعة الثانية / رقم الحديث " ٢٠٦٦ " .

(٣) انظر / سنن ابن ماجه / للحافظ محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه / ج ٢ /
ص ١٣٩٧ / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء الكتب العربية .

(٤) انظر / سنن ابن ماجه / للحافظ محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه / ج ٢ /
ص ١٣٩٩ / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار احياء الكتب العربية .

ففيه ما أصابهم " . هذا حديث حسن غريب" . (١)

١٠ : علة ذم الكبر

لما خلق الله الخلق ، خلقهم لحكمة ، واقتضت حكمته سبحانه ، أن يكونوا عبيده ، فهو سبحانه خالقهم وهو مولاهم ، المتصرف فيهم كيف يشاء ، له العزة والكبرياء والعظمة والجبروت ، متصف بصفات الكمال جميعها . فلا كبرياء ولا عظمة ولا كمال الا لله سبحانه . " عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله سبحانه : الكبرياء ردائي والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم " .

فالحديث دليل واضح ، أنه لا كبرياء ولا عظمة الا لله تعالى ، وأن من حدثته نفسه فاتصف بشئ من ذلك فان مصيره الى النار ، الا أن يتفمده الله برحمته وعفوه . وقد ^{كضاوح}تظافرت الآيات والأحاديث بدم الكبر ودم أهله ، وقد ذكرت ذلك فى موضع سابق .

لذا وجب على جميع الخلق أن يتواضعوا ولا يفخر أحد على أحد ، وأن يكونوا جميعا عباد الله اخوانا فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ، ولا عزة الا بالايمان الصادق والعمل الصالح ، ولا كبرياء ولا عظمة ولا كمال الا لله وحده .

ما سبق يمكننا القول بأن علة ذم الكبر هي : أن الكبر لله وحده . ولا يليق بأى انسان أن يتصف بهذه الصفة أو يتخلق بها لأنها خاصة بالله سبحانه وتعالى .

(١) انظر/ الجامع الصحيح / محمد بن عيسى الترمذى / ج ٣ / ص ٢٤٤ / باب ما جاء فى الكبر - الطبعة الثانية - ٩٤ هـ ، ٧٤ م - رقم الحديث " ٢٠٦٨ " .

وكيف يليق بهذا المبد المخلوق أن يتخلق بصفة الكبر ؟ (ولى من يتكبر ؟

على عهد مظه .

نمود بالله من الكبر وأهله ، ومن كل ما يفضب الله تعالى .

١١ : مع المفسرين :

قال تعالى : " ولا تصمّر خدك للناس ولا تمشى الأرض مرحا ان الله

لا يحب كل مختال فخور .

ولا : الواو : حرف عطف .

لا : تفيد طلب الترك ، وهى جازمة للفعل المضارع (١) ، وهو هنا : " تصمّر "

للناس : اللام يأتى لعمان كثيرة ، وهو يفيد هنا معنى : " الحلة " والمعنى :
ولا تصمّر خدك لأجل الاعراض عن الناس . (٢)

ولا : كسابقتهما .

فى : حرف جر ، وله عشرة معان : (٣)

والذى يهنا هنا ، هو ما يتعلق بالآية الكريمة وهو : حرف جر ، يفيد الظرفية

المكانية .

ان : حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر (٤) . واسمها لفظ الجلالة ، وخبرها :

الجملة التى بعده .

(١) انظر / معنى اللبيب / لابن هشام / ج ١ / ٢٤٦ .

(٢) انظر / روح المعاني / للألوسى / ج ٢١ / ٩٠ .

(٣) انظر / معنى اللبيب / لابن هشام / ج ١ / ١٦٨ .

(٤) انظر / المرجع السابق / ج ١ / ٣٧ .

ك : اسم موضوع لا ستغراق أفراد النكرة ^(١) . وهذا هو الذى يتعلق بالآية
الكريمة ، ومعناها على هذا : أنها تستغرق جميع أفراد من يتصف بالا ختيال
والفخور .

معنى الآية الكريمة :

قال تعالى : " ولا تصغر خدك للناس " .

السم / المص / المص

ذكر الطبرى أن قوله : " ولا تصغر " : فيه قراءتان : هما :-

الاولى : " ولا تصغر " . على مثال : " تفعل " . وقرأ بها بعض قراء الكوفة
والمدنيين والكوفيين .

الثانية : " ولا تصاعر " : على مثال : " تفاعل " . وقرأ بها بعض المكيين وعامة قراء
المدينة والكوفة والبصرة .

وقال رحمه الله : أنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما
قرأ القارئ ، فمصيب .

وتأويل الكلام : - ولا تعرض بوجهك عن تكلمه تكبرا واستحقارا له .

كما ذكر رحمه الله ، للمصر معنيين هما :-

١ - أن الصغر ، هو : الاعراض والصدود والتكبر والاحتقار لمباد الله .

٢ - أن الصغر ، هو : التشديق أو التشديق . ^(٢)

(١) انظر / المرجع السابق / ج ١ / ١٩٣ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن / لابن جرير الطبرى / ج ١٨ / ص ٧٤ ،

٧٥ / الطبعة الثالثة / ٨٨ هـ / ١٣٦٨ م / مطبعة البابى الحلبي بمصر /

بتصرف .

قلت : وكلا المعنيين ، يدلان على الكبر والاحتقار ، لأن الأول يفيد ، معنى الاعراض عن الآخرين ، تكبرا واحتقارا لهم ، والثاني ، يفيد لوى الرجل شذقه ، عند ذكر غيره عنده ، كأنه يحتقره ويصفه بالسفاهة والمذلة .

ومعنى الآية : لا تمل خدك اعراضا عن الناس وتكبرا عليهم واحتقارا لهم . وهذا تأويل ابن عباس وجماعة ، كما ذكره القرطبي .

وقيل : المعنى : أن تلوى شذقك اذا ذكر الرجل عندك ، كأنك تحتقره . (١)
ولذا فالواجب عليك أيها المسلم ، أن تقبل على الناس متواضعا مؤثما لهم ، باشا في وجوههم ، ان حدثك أحدهم أن تصفى وتسمع لحديثه حتى ينتهى منه ، وان حدثتهم أنت ، فثقل شهم بليين وتواضع وهدوء ورفق ، وقد وثنا في ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث كان دأبه ذلك مع الناس اجمعين .

وقوله تعالى : " ولا تمش في الأرض مرحا " :-

أى : لا تمش مشية المتبختر المختال ، لأن هذا من الأخلاق الذميمة .
وفي روح المعاني : مرحا : أى : فرحا ويطرا ، وهو مصدر ، وقع موقع الحال للمبالغة ، أولتاويله بالوصف . أو : تخرج مرحا : على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف ، والجملة في موضع الحال . أو : لأجل السرح ، على أنه مفعول له .
وقرىء : مرحا : بكسر الراء . على أنه وصف في موضع الحال . (٢)

أما الراوى فيقول : لما أمره بأن يكون كاملا في نفسه ، مكمل لنفسه ، وكان يخشى بعدهما من أمرين :-

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٢٠ / ٥٨٢ ، ٦٢٧ /

القاهرة / بتصرف .

(٢) انظر : روح المعاني / للألوسى / ج ٢١ / ٩٠ .

أحدهما : التكبر على الغير بسبب كونه مكملاً لغيره .

وثانيهما : التبختر في النفس بسبب كونه كاملاً في نفسه .

فقال : " ولا تصمر خدك للناس تكبرا ، " ولا تمش في الأرض مرهاً تبخترا . (١)

المرطاب
المعبر
بـ المرهاً

وقوله : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " :-

المعنى : المختال : هو المتكبر الصلف المتباهي على الناس .

أما الفخور : فهو المتباهي في الأشياء الخارجة عن الانسان ، كالجمال

والجاه ويدخل في ذلك ، تمداد الشخص ما أعطاه ، لظهور أنه مباهاة

بالمال .

وعن مجاهد : الفخور من يحدد ما أعطى وهو لا يشكر الله . (٢)

وقد استوفيت معنى : الاختيال والفخور ، في فقرة سابقة . (٣)

والمعنى المستفاد من هذا الجزء من الآية الكريمة هو :-

أن كل من كان متصفاً بالاختيال والفخر ، فإن الله لا يحبه ، بل يبغضه ،

لأن هذا خلق ذميم ، ولذا يجب على المسلم أن ينأى بنفسه عنه ، وأن يحترز من

الوقوع فيه .

وقد أشار الرازي الى أن في الآية الكريمة لطيفة وهي :-

أن الله تعالى ، قدم الكمال على التكميل ، حيث قال : " أقم الصلاة " ثم قال : وأمر

بالمصروف " . وفي النهي : قدم مايورثه التكميل على مايورثه الكمال ، حيث قال :

" ولا تصمر خدك للناس " . ثم قال : " ولا تمش في الأرض مرهاً " .

(١) انظر / التفسير الكبير / للرازي / ج ٢٥ / ١٤٩ .

(٢) بتصرف / روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ٩٠ .

(٣) انظر / فقرة " ١ " في ص ١٠٠

لأن في طرف الاثبات : من لا يكون كاملاً ، لا يمكن أن يصير مكملاً ، ففقد الكمال .
وفي طرف النفي : من يكون متكبراً على غيره يكون متبختراً ، لأنه لا يتكبر على الغير
الا عند اعتقاده أنه أكبر منه من وجه ، وأما من يكون متبختراً في نفسه ، قد لا يتكبر
ويتوهم أنه يتواضع للناس ، فقدم نفي التكبر ثم نفي التبخر ، لأنه لو قد نفي التبخر
للزم منه نفي التكبر ، فلا يحتاج الى النهي عنه . ومثاله :

لا يجوز أن يقال : لا تفطر ولا تأكل ، لأن من لا يفطر ، لا يأكل . ويجوز أن يقال :
لا تأكل ولا تفطر . لأن من لا يأكل ، قد يفطر بغير الاكل .
ولقائل أن يقول : ان مثل هذا الكلام يكون للتفسير ، فيقول : لا تفطر ولا تأكل ،
أى : لا تفطر بأن تأكل .
ولا يكون نهيين بل واحداً . (١)

وعندى : أن الآية مع قصرها ووجازتها ، قد اشتطت على جانب كبير من حياة
المسلم ، وهو في غاية الأهمية ، هذا الجانب هو : علاقة المسلم بأخيه المسلم ،
فان هذه العلاقة ، يجب أن يهيمن عليها الود والصفاء ، وأن تسودها المحبة
والملاطفة ، مهما علت منزلة الشخص عن الآخرين ، ومهما كان مركزه الاجتماعي ، فان
الحفاضة عند الله تعالى ، لا تكون الا بالتقوى والاستقامة على نهجه القويم ، قال
سبحانه : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير " . (٢)

وفي الحديث الشريف الذي يرويه : " ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب الناس يوم فتح مكة : " فقال : يا أيها الناس ان الله قد أنهب عنكم عبية

(١) انظر / التفسير الكبير / للرازي / ج ٢٥ / ص ١٤٩ ، ١٥٠ / الطبعة

الثانية - دار الكتب العلمية - طهران .

(٢) سورة الحجرات - آية : ١٤ .

الجاهلية وتعاضلها بآبائها . فالناس رجлан : رجل سترقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنوا آدم وخلق الله آدم من التراب السخ الحديث .

وقال فى آخر الحديث :

هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه . وعبد الله بن جعفر ، ي ضعف ، ضعفه يحيى بن معين وغيره ، وهو والبد على بن الحسين . وفى الباب : عن أبى هريرة وعبد الله بن عباس . (١)

(١) انظر / الجامع الصحيح / للترمذى / ج ٥ / ص ٦٤ ، ٦٥ / تفسير

سورة الحجرات - كتاب التفسير / الطبعة الثانية / ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م

رقم الحديث : ٣٣٢٤ .

الفصل التاسع

فى تفسير قوله تعالى

"واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات

لصوت الحمير".

ويتم البحث فى هذه الآية الكريمة على النحو الآتى :

- ١ - بيان معنى : القصد .
- ٢ - " " : الغض .
- ٣ - بيان الحكمة فى القصد وغض الصوت .
- ٤ - حكمة التعميق بقوله سبحانه : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " .
- ٥ - تفسير الآية الكريمة .

وهذا هو التفصيل :-

١ : معنى القصد :

القصد : استقامة الطريق ، ومنه قوله تعالى : " وعلى الله قصد السبيل
ومنها جائز " : (١) أى : على الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء اليه بالحجج
والبراهين الواضحة .
" ومنها جائز " : أى منها طريق غير قاصد وغير مستقيم .

والقصد : المعدل . قال الشاعر :

على الحكم المأتى يوما اذا قضى . . قضيته ألا يجور ويقصد
ومعناه : على الحكم المرضى بحكمه ، المأتى اليه ليحكم ، ألا يجور فى حكمه ، بل
يقصد ، أى : يعدل .

وفى الحديث : عن جابر بن سمرة قال : كنت أصلى مع النبى صلى الله عليه
وسلم ، فكانت صلاته قصدا ، وخطبته قصدا . قال أبو عيسى : حديث جابر بن سمرة
حديث حسن صحيح . (٢)

وفى حديث آخر : عن بريدة الأسلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : عليكم هديا قاصدا ، فان من يشاء هذا الدين يغلبه . (٣)
والمعنى : عليكم طريقا معتدلا .

-
- (١) سورة : النحل - آية : ٩ .
(٢) الجامع الصحيح / للترمذى / ج ٢ / ص ٩ - باب : ما جاء فى قصر الخطبة -
الطبعة الثانية - ٩٤ هـ ، ٧٤٤ م .
(٣) مسند الامام احمد بن حنبل / المجلد الخامس / ص ٣٦١ / المكتب الاسلامى /
بيروت .

والقصد في الشيء : خلاف الافراط ، وهو ما بين الاسراف والتقتير .

(١)

والقصد في المعيشة : ألا يسرف ولا يقتّر .

وقال الراغب : القصد : استقامة الطريق . يقال : قصدت قصده : أي : نحوته

نحوه . ومنه الاقتصاد ، وهو على ضربين :

أحدهما : محمود على الإطلاق ، وذلك فيما له طرفان ، افراط و تفريط ، كالجود

مثلا ، فانه بين الاسراف والبخل . و الخ .

وعلى هذا قوله تعالى : " واقصد في مشيك " (٢) ، وإلى هذا يشير قوله

تعالى : " والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا " (٣) الآية .

والثاني : يكنى به عما يتردد بين الم محمود والم مذموم ، وهو : فيما يقع بين محمود

ومذموم كالواقع بين العدل والجور ، والقريب والبعيد ، (٤) ومنه قوله تعالى :

" فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد " . (٥)

٢ : معنى : الغض :

الغضاضة : الغشور في الطرف ، يقال : غض وأغضى : اذا داني بين جفنيه ،

ولم يلاق .

قال الشاعر :

وأحسق عريض عليه غضاضة . . . تمرس بي من حينه وأنا الرقـم

(١) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٣ / ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٢) سورة : لقمان - آية : ١٩ .

(٣) سورة : الفرقان - آية : ٦٧ .

(٤) المفردات في غريب القرآن / الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني / ص ٦١٠ /

كتاب القاف / مكتبة الانجلو المصرية .

(٥) سورة : فاطر - آية : ٣٢ .

قلل الأزهرى : عليه غضاضة : أى : نل . ورجل غضيض : دليل بين
 الفضاضة ، من قوم أغضاء وأغضة ، وهم : الأذلاء .
 وغض طرفه ومصره ، ينفذه : كفه وخفضه وكسره .
 وقيل : هو : إذا داني بين جفونه ونظر .
 وقيل : الغضيض الطرف : المسترخى الأجفان .
 واغضض من صوتك : أى : اخفض من صوتك .

وفى الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم
 كان إذا عطس غطى وجهه بيده ، أو بثوبه ، وغض بها صوته . هذا حديث حسن
 صحيح . (١)

سبح (الاول)
 صلى الله عليه وسلم
 صلى الله عليه وسلم

والمعنى : كان صلى الله عليه وسلم ، إذا عطس ، غطى وجهه بيده أو بثوبه ، وغض
 وخفض صوته ، ولم يرفعه .
 وأهل نجد يقولون : غض طرفك ، بالادغام . قال : جرير :
 ففض الطرف انك من نعيم — . فلا كعبا بلغت ولا كلابا —
 معناه : غض طرفك ذلا ومهانة . وغض الطرف : أى : كف البصر . (٢)

وقال الراغب :-

الغض : النقصان من الطرف والصوت ، وما فى الاناء . قال تعالى : " قل للمؤمنين
 يخفضوا من أبصارهم (٣) الآية .

(١) الجامع الصحيح / للترمذى / ج ٤ / ص ١٨٠ / باب : ما جاء فى خفض

الصوت وتخدير الوجه عند العطس / الطبعة الثانية / ٩٤ ، ٧٤ م .

(٢) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٧ / ص ١٩٧ / بتصرف / ١٣٨٨ هـ ،

١٩٦٨ م / بيروت .

(٣) سورة النور آية ٣٠ .

اما قول الشاعر :

" ففض الطرف انك من نميم - فهو على سبيل التهم .
(١) وغضضت السقاء : أى نقصت منه .

٣ : الحكمة فى القصد وغض الصوت :

أ - الحكمة فى القصد :

القصد الوارد ذكره فى الآية الكريمة ، ليس معناه القصد فى المشى ،
دون ما عداه من السلوك ، بل معناه القصد والاعتدال فى جميع أمور المؤمن وسلوكه .
فالقصد فى المشى ، يعنى : اعتدال السلوك ، واستقامة المسلك ، ولا يعنى مجرد المشى
فحسب ، بل هو مجرد أنموذج يضربه الله لكل شئ يحتاج الى عمل وحركة ، وعلى هذا
فهو مطلوب فى كل أمور المؤمن .

والماشى : هو المتحرك الى غاية . ومعنى هذا : أن على المسلم أن يقتصد
فى وسائله وغاياته ، فلا ينحرف فى وسيلة ، ولا يقصد الى غاية لا يمكن تحقيقها ، أو الى
غاية هزيلة ، دون المقاصد الشريفة .

والاقتصاد فى الوسائل والغايات ، مقصد كل حكيم ، يعلم عواقب الأشياء
ويقدرها ، فان السلوك هو النتيجة للاعتقاد الذى وقر فى القلب ، وقررت الآيات السابقة
من قوله : " يا بنى لا تشرك بالله " الآيات .

ومتى استقامت العقائد ، واستقرت الوصايا الطيبة فى النفس ، أثرت بلا ريب
سلوكا قويا واستقامة هقة .

(١) الفردات فى غريب القرآن / للأصبهاني / ص ٥٤٢ / كتاب الفبين / مكتبة

الانجلو المصرية .

ب : الحكمة فى خفض الصوت :

ان الوصية بخفض الصوت ، دليل واضح على مدى تفلسف الموصى ، فى غبايا النفس ، فان الذى يرفع صوته ، تغلب عليه العصبية والانفعالات الحادة فيندفع بالماطفة أكثر مما يندفع بالتعقل ، ولذلك نرى الانسان ، كلما علا صوته ، كلما كان عصبيا أهوج ، وكلما انخفض صوته ، كلما كان ^{هادئا} هادئاً متعقلاً لما يقول ، ومقدراً لما يترتب عليه من نتائج .

ألا ترى الى هذا التشبيه المنقّر فى قوله : " ان أنكر الاصوات لصوت الحمير " .

والحمار مثل للبلادة والبلادة وسوء الفهم ، وكأن اعلاء الصوت يطفى على أسس التفكير ، وربما يطمسها ، فيخرج العمل ، طرئاً عن التعقل ، لا يعنى صاحبه نتائج .

ومن الخطأ أن نقف فى تأملات القرآن الكريم ، موقفا جامدا عند ظاهر الألفاظ وطينا أن نتفلسف فيما تنطوى عليه من معان وحكم وأسرار ، قدر الطاقة .
فالقصد فى السلوك والنفى من الصوت ، عاملان أساسيان فى توحى المصلحة ، وتدبير المواقب ، ومضى نسي أو تناسى الانسان هذين المسلكين ، كان كالحمار ، ينمق من غير انتباه الى نهيقه ، ويتخبط من غير تيقظ لما يطفه .

ان دعوة القرآن الكريم ، الى القصد فى المشى ، والنفى من الصوت ، أليق بالوقار ، وأنسب للمؤمن .

والله سبحانه ، أعلم بحقيقة أسرار كتابه .

٤ : حكمة التعقيب بقوله سبحانه : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " .

لما أمر سبحانه بالقصد في المشي ، والغض من الصوت ، عقب بعد ذلك بقوله سبحانه : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " . وذلك لحكمة يعلمها سبحانه لأن كلام الله تعالى ، كله حكم عظيمة وفوائد قيمة ومواعظ جلية ، يمجز البشر عن ادراكها ، ومن وفقه الله تعالى الى التفقه في كتابه سبحانه والانتقال من معينه الذي لا ينضب ، فهو مع ذلك لن يستطيع الالمام بجميع ما فيه من حكم ومواعظ وأسرار .

يوضح ذلك ما رواه الحارث الأعور قال : " مرت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ، قد خلت على على ، فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟

قال : أو قد فعلوها ؟

قلت : نعم .

قال : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا انها ستكون فتنة .

قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا يزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشيع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه .

هو الذي لم تنته الجن ان سمعته ، حتى قالوا : " انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي الى الرشاد فآمنّا به " .

من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم " . خذها اليك يا أعور .

هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حمزة الزيات ، واسناده مجهول ، وفقى حديث الحارث مقال " (١) .

وأعتقد - والله أعلم - أن من حكمة التعقيب بذلك ما يلي :

- ١ - كانت العرب تفخر بجهارة الصوت وقوته ، فمن كان منهم أشد صوتا ، كان أكثر عزا ، ومن كان أخفض صوتا ، كان أكثر ذلا ، حتى قال شاعرهم :
 جهير الكلام جهير المطاس . . . جهير الرواء جهير النعم - م (٢)
 ويعد وعلى الأين عدوى الظليم . . . ويعلو الرجال بخلق عمم
 فلما كان هذا الخلق الذميم من الأخلاق الجاهلية ، وجب على المسلم ، أن يترفع بنفسه عنه وأن يصونها منه ، كما أمر بذلك المولى تبارك وتعالى في محكم تنزيله حيث قال سبحانه : " واخفض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحميم".
- ٢ - لفظ الحمار ، كان مستفحشا ، وكان يعد ذكره في مجالس أولى المروءة ممن مساوى الآداب ، وتجنبنا لذكره كانوا يكون عنه ، ويرغبون عن التصريح به ، فيقولون : " الطويل الأذنين " ، وذلك كما يكتفى عن الأشياء المستقبحة . (٣)
 ولما كان صوت الحمار كذلك ، جاء النهى عن رفع الصوت - لغير غرض شرعى -

(١) انظر/ الجامع الصحيح / للترمذى / ج ٤ / ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ / باب :

ما جاء فى فضائل القرآن / رقم الحديث // ٣٠٧٠ //

(٢) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٧٢ / ٨٧ هـ - ٦٧ م .

ومعنى الكلمات المتفاضة فى بيتى الشعر ، هو :-

الرواء : بضم الراء ومد الألف والهمزة ، يعنى : المنظر الحسن . النعم :

الابل . الخلق الحمم : التام .

الآين : الاعياء والتمصب . وقيل : الآين : الذكر من الحيات / لسان العرب

لابن منظور/ ج ١٣ / ٤٤ / بيروت : ٨٨ هـ ، ٦٨ م .

(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٧٢ .

وتشبيهه في رفعه بصوت الحمار، لما في ذلك من شدة الذم ، وليكون حافزا
الى الامتثال ودافعا الى التخلق بأخلاق القرآن .

هـ : تفسير الآية الكريمة :

قال تعالى : " واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات
لصوت الحمير " .

المعنى :

معنى قوله سبحانه : " واقصد في مشيك " : أى : عليك أن تتوسط في مشيك
وتعدل فيه ، والقصد فيه ، يكون بين الاسراع والبطء ، فلا يشب وثبا يذهب وقاره
وتعقله ، ولا يذب دبيب المتماوتين . (١)

والقصد ليس محصورا في المشى فقط ، بل هو مطلوب في جميع أحوال السلم ،
من مشى وكلام ونفقة ومعاملة و . . . الخ .

ومعنى قوله " واغضض من صوتك " :-

غض الصوت : أى نقصه وخفضه . والمراد - والله أعلم - : عليك بعدم رفع صوتك ،
وخذ منه ما تحتاج ، لأن الجهر بأكثر من الحاجة ، تكلف يؤدى الى أذيتك - أنت
المتكلم - كما قال عمر لمؤذن تكلف في رفع صوته بالأذان ، بأكثر من طاقته ، حيث
قال له رضى الله عنه : " لقد خشيت أن ينشق مريطاؤك " ، والمريطاء : ما بين السرة
الى المانة " . (٢)

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٧١ / بتصرف .

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٧١ / بتصرف .

ونفى الصوت ، فيه فائدة مزدوجة ، للمتكم والسامع معا فى آن واحد ؛
فالمتكلم ، يكون ذلك أوفرله وأريح ، والسامع يكون أبسط لنفسه وأهون عليها وأدعى
الى فهم ما يسمع .
ثم انه ربما أدى رفع الصوت أيضا الى أذية السامع فى أذنيه ، وربما خرق الغشاء
السمعى داخل الأذن .

ومعنى قوله : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " ؛
أى : أقبحها وأوحشها ، من قولك : شئ نكر : اذا أنكرته النفوس واستوهشت منه
ونفرت . والحمار ، مثل فى الذم البليغ والشتيمة ، وكذلك نهاقه .

ومن استفحاشهم لذكره مجردا ، وتفاديههم من ذكر اسمه ، فهم يكون عنه ،
ويرغبون عن التصريح به ، فيقولون : " الطويل الأذنين ، كما يكى عن الأشياء المستقبحة .
وقد عد فى مساوى الآداب ، أن يجرى ذكر الحمار ، فى مجلس قوم ، من أولى المصروءة .
ومن العرب ، من لا يركب الحمار استنكافا ، وان بلغت منه الرحلة .

فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ثم اخلاء
الكلام من لفظ التشبيه ، واخراجه مخرج الاستعارة ، وأن جعلوا حميرا وأصواتهم نهاقا ،
مبالغة شدة فى الذم والتهجين ، وافراط فى التشبيط عن رفع الصوت ، والترغيب عنه ،
وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان . (١)

أما افراد لفظ " صوت " ، مع اضافته الى لفظ " الحمير " وهو جمع ، فقد قيل
فيه ما يلى :-

(١) انظر / الكشف / للزمخشري / ج ٣ / ص ٢٣٤ .

١ - قال الزمخشري :-

ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ، حتى يجمع ،
وانما المراد : ان كل جنس من الحيوان الناطق ، له صوت ، وأنكر أصوات
هذه الأجناس ، صوت هذا الجنس ، فوجب توحيد . (١)

٢ - قال القرطبي :-

وحد لفظ " صوت " لأنه مصدر ، والمصدر يدل على الكثرة ، وهو مصدر :
" صات : يصوت صوتا ، فهو صائت .

ويقال : صوّت تصويّتا ، فهو مصوّت ، ورجل صات : أي : شديد الصوت ،
بمعنى : صائت . كقولهم : رجل مال ونال ، أي : كثير المال والنوال . (٢)

ثم ان المصدر لا يثنى ولا يجمع ، ما لم تقصد الأنواع ، كما فـي :
" أنكر الأصوات " . (٣)

٣ - قال الألوسي :-

إضافة الى ما سبق :-

جعل ذلك للإشارة الى قوة تشابه أصوات الحمير ، حتى كأنها صوت واحد ،
هو أنكر الأصوات . (٤)

(١) انظر / الكشف / للزمخشري / ج ٣ / ص ٢٣٤ .

(٢) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٧٢ .

(٣) انظر / روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ص ٩٢ .

(٤) انظر / روح المعاني / للألوسي / ج ٢١ / ص ٩٢ .

الباب الثالث
فى الأحاديث الواردة فى لقمان

الباب الثالث

ويشتمل على استقراء الأحاديث الواردة فيها ذكر لقمان وبيان درجتها من الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف . ثم شرح ما يحتاج منها الى شرح ، وبيان ما يستفاد من الحديث المشروح .

وهذا بيان ذلك .

الحديث الأول :

"حدثنا علي بن اسحاق ، أنا ابن المبارك ، أنا سفيان الثوري ، أخبرني نهمشل بن مجمع الضبي - قال وكان مرضيا - عن قزعة ، عن ابن عمر رضی الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " ان لقمان كان يقول : ان الله اذا استودع شيئا حفظه " . (١)

اسناده صحيح .

وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه ، من طريق مجاهد عن ابن عمر ، وفيه قصة وزيادة . (٢)

وقال زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي في تخريجه لأحاديث احياء علوم الدين ، أخرجه النسائي في اليوم والليلة ، ورواه أبو داود مختصرا ، واسناده جيد . (٣)

(١) انظر / مسند الامام احمد / ج ٢ / ص ٨٧ .

(٢) موارد الظمان / لابن حبان / ص ٥٩٠ .

(٣) احياء علوم الدين / للفتاوى / ج ٣ / ص ٢٥٣ / الحاشية .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ، وعزاه الى الامام أحمد . (١)

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ، وعزاه الى أحمد ، والحكيم الترمذى ، والحاكم فى الكنى ، والبيهقى فى شعب الايمان . (٢)

وصححه الألبانى ، وخرجه فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ، (٣) وصحيح الجامع الصغير . (٤) الا أنه حكم أيضا بضعفه فى كتابه ضعيف الجامع الصغير ، ولم أعرف طة ذلك .

شرح الحديث :

" عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان لقمان كان يقول " :

لقمان : المراد به - والله أعلم - لقمان الوارد ذكره فى سورة لقمان ، وهو على القول الراجح ولى من أولياء الله تعالى ، أعطاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها للناس .

وقد سبق الكلام عنه بالتفصيل فى أول البحث .

وكان من حكمه عليه السلام ، ما ورد فى هذا الحديث الشريف حيث يقول : " ان الله اذا استودع شيئا حفظه " .

والمعنى : أن الانسان اذا اتكل على الله تعالى حق التوكل ، واستودعه

أى وديعة كانت ، أى : أنه اعتمد على الله تعالى فى حفظها ورعايتها ، ووكلمها

-
- (١) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / ج ٣ / ٤٤٧ .
 - (٢) الدر المنثور / للسيوطى / ج ٥ / ص ١٦٢ .
 - (٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة / للألبانى / ج ١ / ص ١٩ - ٢١ .
 - (٤) صحيح الجامع الصغير / للألبانى / ج ٢ / ص ٩٢ .
 - (٥) ضعيف الجامع الصغير / للألبانى / ج ٢ / ص ١٧١ .

اليه سبحانه ، فانه تعالى يحفظها برعايته ، ويكفوها بعنايته ، ويحميها من كل سوء ومكروه ، حتى يعود مستودعها اليها ويأخذها .
وهذا لا يكون الا بالتوكل على الله حق التوكل ، والاعتماد عليه سبحانه ، مع بذل الجهد فيما يمكن عمله ، حتى لا يكون متواكلا .
وانا كان صاحب الوديعة ، هو هذا العبد المسكين الذليل ، والقائم بحفظ الوديعة هو المولى تبارك وتعالى ، مالك الكون كله ومسيره .
فما أحرى هذا العبد الضعيف أن يتخلق بهذا الخلق العظيم في جميع شئون حياته ، وفي مقدمة ذلك ما يتعلق بالأمور التعبدية لله تعالى ، ويتمثل هذا في طاعة الله في جميع أوامره واجتناب كل ما نهى عنه .
يأتى بعد ذلك ما يحصل بين المسلم وأخيه المسلم - في حالة استيداع أحدهما لدى الآخر وديعة - فيجب على المستودع ، أن يقوم بحفظ الوديعة وصيانتها من كل سوء ثم اعادتها الى صاحبها عند طلبها كما أخذها .

وقد ذكر الحكيم الترمذى أن " عبيد بن اسحاق المطار الكوفى ، قال :
حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، قال حدثنى زيد بن أسلم عن أبيه قال : بينما عمر رضى الله عنه ، يصرخ الناس ، اذا هو برجل معه ابنه ، فقال له عمر : ويحك ! حدثنى ، ما رأيت غرابا بغراب أشبه بهذا منك . . قال : أما والله يا أمير المؤمنين ما ولدته أمه الا ميتة . فاستوى عمر رضى الله عنه ، فقال : ويحك حدثنى . قال : خرجت فى غزاة وأمّه حامل به فقالت : تخرج وتدعى على هذا الحال حاملا مثقلا ؟ . قلت : أستودع الله ما فى بطنك ، قال : فضبت ثم قدمت . فاذا بابى مفلق . قلت : فلانة ؟ . قالوا : ماتت . فذهبت الى قبرها أبكى . فلما كان من الليل ، قعدت مع بنى عصى أتحدث ، وليس

يسترنا من البقيع شىء . فرفعت لى نار بين القبور . فقلت لبنى عمى : ما هذه النار ؟ . فتفرقوا عنى . فأتيت أقربهم منى فسألته ، فقال : نرى على قبر فلانة كل ليلة نارا . فقلت : انا لله وانا اليه راجعون ، أما والله ان كانت لصوامة قوامة عفيفة مسلمة . انطلق بنا . فأخذت فأسيا ، فاذا القبر منفرج ، وهى جالسة وهذا يدب حولها . ونادانى مناد من السماء : أيها المستودع ربه وديعته أما لو استودعت امه ، لوجدتها . فأخذته وعاد القبر كما كان . فهو والله هذا يا أمير المؤمنين " . (١)

ما يؤخذ من هذا الحديث :-

- ١ - أن من اتكل على الله حق التوكل ، حفظه الله وكفاه .
- ٢ - أن حفظ الأمانة والوديعة خلق عظيم ، يجب على المؤمن التحلى به والتخلق به .
- ٣ - من استودع وديعة ، يجب عليه أن يحفظها حتى يعيدها الى مستودعها . فان الله تعالى اذا استودع شيئا حفظه ، وهو مالك الكون كله ، والنفسى عما فيه كله - فوجب ذلك بين بنى البشر من باب أولى ، وهم المحتاجون الى بعضهم البعض .
- ٤ - التحلى بالأخلاق الاسلامية الفاضلة ، والحث عليها .

الحديث الثاني :

قال الحاكم في كتابه المستدرک :-

"حدثنا أبو طي الحسین بن علی الحافظ ، حدثنا یحیی بن محمد الحلبي ، حدثنا الحارث بن سلیمان ، ثنا عقبه بن عقیمة عن الأوزاعي عن موسى بن سلیمان ، قال : سمعت القاسم بن مشیمرة ، يحدث عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني إياك والتقنع فانها مخوفة بالليل ، مذلة بالنهار" .
قال : " هذا متن شاهده اسناد صحيح . والله أعلم" .
وقال الذهبي : صحيح . (١)

وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه الى ابن أبي حاتم . (٢)

وذكر السيوطي هذا الحديث في : الدر المنثور ، وعزاه الى ابن أبي حاتم ، والحاكم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . (٣)

شرح الحديث :

"عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، قال قال : رسول الله صلى

الله عليه وسلم : قال لقمان لابنه وهو يعظه :

المعنى : لقمان وابنه سبق الكلام عنهما في أول البحث . (٤)

(١) انظر / المستدرک على الصحيحين / للحاكم / ج ٢ / ص ٤١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٧ .

(٣) الدر المنثور / للسيوطي / ج ٥ / ص ١٦٢ .

(٤) انظر / ص ١٠ ، ص ٥ \ من هذا البحث .

والوعظ: سبق الكلام عنه أيضا . (١)

يا بنى : اياك والتقنع " . أى : يا بنى أهدرك من التقنع وهو التثتم ويكون
باخفاء معظم معالم الوجه وذلك بتغطيته بالعمامة أو ما شابهها .
وكيفية ذلك أن يأتى بالعمامة الموضوعة على الرأس ، من تحت اللحية
فيدورها على جانبي الوجه مع تغطية الغم وربما شمل ذلك الأنف - ثم
يربطها جيدا . فلا يبقى مكشوبا من الوجه سوى الجبهة والعينين وظهر
الأنف وما يليه من الجهتين . وربما استتر كثيرا من الجبهة من جهة
أعلاها .

وقوله : " فانها مخوفة بالليل " : أى : فان التقنع ، أو : فان الاتصاف بهذه
الصفة وهى صفة التقنع مخوفة بالليل ، أى تجعل صاحبها خائفا ، لأنها
تدخل الريبة فى نفس من يراه على هذه الحال . ومن السبب فى ذلك أن
الليل سائر بظلمته ، والمتقنع لا يكتفى بظلمة الليل بل يزيد عليها التستر
بالقناع .

وقوله " مذلة بالنهار " : أى : أن التقنع بالنهار مذلة ، لأن المتقنع بهذه الحال
يخفى نفسه عن يراه ولا يريد أن يعرفه . ولو كان شجاعا مقداما ، ما فعل
ذلك .

ما يؤخذ من الحديث :

- ١ - أن التقنع بالنهار مذلة ، وهو بالليل مخوفة .
- ٢ - أن المتقنع يحدث حول نفسه ، الريبة والشكوك .

- ٣ - الحذر من كل الأمور المريبة والابتعاد عنها ، في جميع مسالك الحياة .
- ٤ - التخلق بالأخلاق الفاضلة ، والحث عليها ، والابتعاد عن الأخلاق الذميمة ،
والنهي عنها .

الحديث الثالث : —————

قال الحاكم في مستدركه :-

" أخبرني اسماعيل بن محمد بن الفضل الشمراني ، ثنا جدي ، ثنا الحاكم ،
عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، عن واثلة بن الأسقع رضي الله
عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير السودان ثلاثة :
لقمان ، وبلال ، ومهجع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال بعد ذلك : " صحيح الاسناد ولم يخرجاه " .

وقال الذهبي عنه : " صحيح " . (١)

وتمقيهما الألباني ، حيث ضعف الحديث . (٢)

وهو كما قال الألباني ، فيما ظهر لي . لأن فيه عتين ، أحدهما في السند
والأخرى في المتن .

أما علة السند : فان شيخ الحاكم وجده ، لم أعرف حالهما ، ولم أقف على ترجمة
وافية لهما ، تبين حال كل منهما .

وأما علة المتن : فقد جاء في الحديث : " ومهجع مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم " . وبالوقوف على ترجمة مهجع وجدت ما يلي :

- ١ - ذكر ابن عبد البر أنه : مهجع بن صالح ، مولى عمر بن الخطاب ، شهد بدرا
وكان أول قتييل من المسلمين بين الصفيين . وعزا الى ابن اسحاق قوله :
أنه من أهل اليمن . وإلى ابن هشام : أنه من عك ، أصابه سبأ فمضى عليه
عمر بن الخطاب . (٣)

(١) انظر / المستدرک علی الصحیحین / للحاکم / ج ٣ / ص ٢٨٤ .

(٢) ضعيف الجامع الصغير وزيادته / للألباني / ج ٣ / ص ١٣٤ .

(٣) انظر / الاستيعاب / في معرفة الأصحاب / لابن عبد البر / ج ٤ ص ١٤٨٦ .

٢ - قال ابن الأثير الجزري : " مهجع " : مولى عمر بن الخطاب ، هو أول قتيل من المسلمين يوم بدر ، أتاه سهم غرب ، وهو بين الصفيين فقتله ، وهو من أهل اليمن . نزل فيه وفي أصحابه ، قوله تعالى : - " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " (١) . وهم : بلال ، وصهيب وعمار وخباب ، وعتبة بن غزوان ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، وأوس بن خولى ، وعامر بن فهيرة . قاله ابن عباس (٢) .

٣ - أما ابن حجر : فقد ذكر الحديث الذى أورده الحاكم ، والمذكور سابقا ، ثم نيل ذلك بقوله : -

" وأخشى أن يكون الذى بعده ، والله سبحانه وتعالى أعلم " . أى : أنه متردد فى ذلك ، ثم ذكر بعد ذلك :

" مهجع " : الحكى مولى عمر بن الخطاب . قال ابن هشام : أصله من عك . وأصابه سبأ ، فمنّ عليه عمر فأعتقه ، وكان من السابقين الى الاسلام وشهد بدرا واستشهد بها . وقال موسى بن عقبة : كان أول من قتل ذلك اليوم ، وذكر ابن منده من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه ممن نزل فيهم قوله تعالى : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي " (٣) الآية .

• مما سبق يتضح أن مهجع هو مولى عمر بن الخطاب ، وليس مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه من أهل اليمن ، وليس من الحبشة .

(١) سورة الأنعام - آية : ٥٢ .
(٢) انظر / أسد الغابة فى معرفة الصحابة / لابن الأثير الجزري ج ٥ ص ٢٨٠ .
(٣) انظر / الاصابة فى معرفة الصحابة / لابن حجر / ج ٣ / ص ٤٦٦ .

وهذه علة في الحديث تزيد في ضعفه .

وقد نبه على هذه الحلة ، الشيخ الألباني ، في : ضعيف الجامع الصغير وزيادته .

وأخرج السيوطي في الدر المنثور : عن جابر رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سادات السودان أربعة : لقمان الحبشي ، والنجاشي وبلال ، ومهجع " .

(١) وعزاه إلى ابن عساكر .

ونذكره الألباني في : ضعيف الجامع الصغير . وبين ضعفه : بأنــــه :

معضل . (٢)

(١) الدر المنثور / للسيوطي / ج ٥ ص ١٦١ .

(٢) ضعيف الجامع الصغير / ج ٣ / ١٣٤ .

الحديث الرابع :

قال ابن حبان في كتابه : " المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين " حد ثنا محمد بن المسيب ، ثنا أحمد بن عبد الرحمن بن المفضل ، ثنا عثمان بن عبد الرحمن ، ثنا أبين بن سفيان ، عن خليفة بن سلام ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتخذوا السودان ، فان ثلاثة منهم سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم ، وهلال بن النجاشي . (١)

هذا الحديث فيه علقان ، بينهما ابن حبان هما :-

الحلة الأولى : في سنده :

فيه أبين بن سفيان . قال عنه ابن حبان :-
شيخ يقلب الأخبار ، وأكثر رواته الضعفاء ، يجب التنكب عن أخباره .
وقال أبو جعفر النفيلى : كتبت عن أبين بن سفيان ، ثم حرقت ما كتبت عنه ، وكان مرجيها .

وقال الدارقطنى : ضعيف له مناكير . وضعفه أيضا الذهبي . (٢)

أما الحلقة الثانية : فهي في متنه :-

قال ابن حبان : " هذا متن باطل لا أصل له " . (٣)

وذكره ابن الجوزى في الموضوعات ، وقال : " لا يصح . والمتهم به ، أبين بن سفيان

(١) انظر / المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين / لابن حبان / ج ١

ص ١٢٩ / الطبعة الاولى .

(٢) المرجع السابق / ج ١ / ١٢٩ . وميزان الاعتدال / للذهبي / ج ١ / ٢٨٠ .

والضعفاء للذهبي / ص ١٤ .

الاولى .

(٣) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين / لابن حبان / ج ١ / ١٨٠ ط .

- (١) كان يقلب الاخبار ، وعثمان لا يحتج به .
- (٢) وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه الى ابي القاسم الطبراني .
- وذكر السيوطي هذا الحديث في الدر المنثور ، وعزاه الى الطبراني ،
- وابن حبان في الضعفاء ، وابن عساكر . (٣)
- وخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة . (٤) وضعيف الجامع
- الصفير وزيادته . (٥)

-
- (١) الموضوعات/ لابن الجوزي / ج ٢ / ص ٢٣٢ / الطبعة الاولى - ٨٦ ، ٦٦٠ م .
- (٢) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / ج ٣ / ٤٤٧ .
- (٣) الدر المنثور/ للسيوطي / ج ٥ / ص ١٦٠ .
- (٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة / للألباني / ج ٢ / ص ١٣١ / رقم "٦٨٧" .
- (٥) ضعيف الجامع الصغير وزيادته / للألباني / ج ١ / ص ٧٩ / رقم "٩٣" .

الحديث الخامس :

قال الرامهرمزي في كتابه الأمثال :

" أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي المهلب عن عبيد الله بن زهر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان لقمان ، قال لابنه : يا بني عليك بمجالسة العلماء واستماع كلام الحكماء ، فان الله عز وجل يحيي القلوب بنور الحكمة ، كما يحيي الأرض بوابل المطر" . (١)

اسناد الحديث ، ضعيف جدا ، لأنه من رواية عبيد الله بن زهر ، عن علي

ابن يزيد ، عن القاسم أبي عبد الرحمن .

قال ابن حبان في ترجمة عبيد الله بن زهر :-

" منكر الحديث جدا " . يروى الموضوعات عن الأثبات . واذنا روى عن علي بن يزيد ، أتى بالطامات . واذنا اجتمع في اسناد خبر : عبيد الله بن زهر ، وعلي بن يزيد ، والقاسم أبو عبد الرحمن ، لا يكون ذلك الخبر الا مما عطته أيديهم " . (٢)

أما علي بن يزيد : فقال عنه ابن حبان :

" منكر الحديث جدا " . (٣)

(١) انظر / الأمثال / للرامهرمزي / لوحة ٤٩ .

(٢) انظر / المجروحين / لابن حبان / ج ٢ / ص ٦٢ ، ٦٣ .

وانظر / التاريخ الكبير / للبخاري / ج ٥ / ص ٣٨٢ .

والميزان / للذهبي / ج ٣ / ص ٦٠ .

(٣) المجروحين / لابن حبان / ج ٢ / ص ١١٠ / وانظر التاريخ الكبير / ج ٦

ص ٣٠١ ، والميزان / للذهبي / ج ٣ / ص ١٦١ .

أما القاسم : فهو ابن عبد الرحمن ، كان مولى ليزيد بن معاوية بن أبي
سفيان ، يكنى بأبي عبد الرحمن .

قال ابن حبان فيه : -

" كان ممن يروى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعضلات ، ويأتى
عن الثقات بالأشياء المقلوبات ، حتى يسبق الى القلب : أنه كان المتعمد لها .
وقال أحمد فيه : " منكر الحديث " . (١)

(١) المجروحين / لابن حبان / ج ٢ / ٢١١ ، ٢١٢ / وانظر الميزان /

للذهبي / ج ٣ / ص ٣٧٣ .

الحديث السادس :

قال السيوطي في الدر المنثور ما يلي :

"أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما كان لقمان ؟ . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كان عبدا حبشيا .^(١)

هذا الحديث ، لم أتمكن من الوصول الى كتاب ابن مردويه ، المخرج فيه وأغلب

ظننى أنه لا يزال مخطوطا .

لذلك توقفت عن الكلام عنه ، حتى أجد المرجع المخرج فيه . وعند هذا - ان شاء الله -

يمكننى أن أكتب عنه ما يفتح الله به على .

الحديث السابع :

قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول :-

" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لقمان كان عبداً كثير التفكير ، حسن النظر ، كثير الصمت ، أحب الله فأحبه الله ، فمنّ عليه بالحكمة ، نودى بالخلافة قبل داوود عليه السلام فقبل له : يا لقمان : هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض ، تحكم بين الناس بالحق ؟ قال لقمان عليه السلام : ان جبرنى ربى قبلت ، فانى أطم ان فعل ذلك بى أطننى وطمنى وعصنى ، وان خيرنى ربى ، قبلت العافية ، ولم أسأل البلاء . فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : يا لقمان لم قلت هكذا ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ، يغشاه الظلم من كل مكان ، فيخذل أو يمان ، وان أصاب فى الحرى أن ينجو ، ولئن أخطأ ، أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن فى الدنيا ذليلاً ، خير من أن يكون شريفاً ضائعاً ، ومن يختار الدنيا على الآخرة ، فاتته الدنيا ، ولا يصير الى ملك الآخرة .

فمجبت الملائكة لحسن منطقه . فنام نومة ففط بالحكمة غطا ، فانتبه فتكلم بها ، ثم نودى داوود عليه السلام ، بعده بالخلافة ، فقبلها ولم يشترط شرط لقمان فأهوى فى الخطيئة فصبح الله عنه وتجاوز .

وكان لقمان يواظره بعلمه وحكمته ، فقال داوود عليه السلام : طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنه البلية ، وأوتى داوود الخلافة ، وابتلى بالرزية والفتنة ، فكان داوود عليه السلام يحكم بين خلقه " . (١)

وقد ذكر السيوطى هذا الحديث فى الدر المنثور ، وعزاه الى الحكيم الترمذى

(١) انظر / نوادر الأصول / للحكيم الترمذى / ص ١١٢ / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(١) في نوادر الأصول ، عن أبي مسلم الخولاني مرفوعا الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

قلت :- هذا الحديث ، كما هو واضح ، ليس متصل السند . فان الحكيم الترمذي قد أورده في كتابه - نوادر الأصول - مسندا الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون ذكر أحد من الرواة ، ويعتبر كتابه هذا مرجعا أصليا للحديث . ولا يمكن الحكم على الحديث الا بعد معرفة سنده .

ومن جهة أخرى : فقد أورد السيوطي ، الحديث في الدر المنثور كما ذكرت سابقا . وعزاه الى الحكيم الترمذي ، عن أبي مسلم الخولاني مرفوعا . وعند البحث عن أبي مسلم الخولاني في كتب الرجال ، تبين لي أنه تابعي ، قال عنه ابن الأثير الجزري :-

أبو مسلم الخولاني العابد :-

أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وقد الم المدينة حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر ، وهو معدود في كبار التابعين واسمه عبدالله بن ثوب ، وقيل : عبدالله بن عوف . والأول أكثر .
كان فاضلا ناسكا طابا ذاكرا مات وفضائل . (٢)

وقال عنه الذهبي :-

أبو مسلم الخولاني الزاهد :-

(٣) عبدالله بن ثوب على الأصح ، لقي أبا بكر وعمر ومعاذا ، مناقبه كثيرة ، مات سنة ٦٢ .

(١) الدر المنثور / للسيوطي / ج ٥ / ص ١٦١ .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير الجزري / ج ٦ / ص ٢٨٨ / بتصرف .

(٣) انظر / الكاشف / للذهبي / ج ٣ / ص ٣٧٧ .

ما سبق يتبين أن أبا مسلم الخولاني تابعي . وعلى هذا فالرواية التي ذكرها السيوطي في الدر المنثور لا تصل بنا إلى امكانية دراسة السند لأن فيه انقطاع .
يضاف إلى ذلك أن المرجع الأصلي لهذا الحديث هو " نوادر الأصول ، للحكيم الترمذي " . ولم أجد في سنده ذكر لأبي مسلم الخولاني ولا لغيره ، وانما ذكر الحديث مسندا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون ذكر أحد من الرواة إلا أن يكون ذلك في طبعة أخرى لم تصل إلى يدي إليها ، أو في المخطوط نفسه ، والذي لم أراه أيضا .

ولأجل هذا فأنني أتوقف عن القول بشئ * في هذا الحديث .

الحكم المنسوبة الى لقمان :

ذكر الرواة كثيرا من الحكم المنسوبة الى لقمان ، لكن سندها غير متصل .
ولذلك فلا يمكن قبول نسبتها الى سيدنا لقمان عليه السلام باسناد غير متصل .
أما كون تلك الحكم تدل على خير أو تحذر من شر ، وصادرة من انسان حكيم ، فليس
هذا مكان المعارضة والرد . ولا مانع من العمل بما في تلك الحكم والأخذ بما فيها ،
شريطة ألا تتعارض مع ما أمرنا الله به في محكم كتابه الكريم أو جاء به المصطفى
صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الشوكاني أن " جماعة من أهل الحديث ، ذكروا روايات عن جماعة
من الصحابة والتابعين تتضمن كلمات من مواعظ لقمان وحكمه ، ولم يصح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء " ، ولا ثبت اسناد صحيح الى لقمان بشيء منها
حتى نقله . وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ، ما حكاه في هذا الموضع - أي
ما ورد في سورة لقمان - وفيه كفاية . وما عدا ذلك مما لم يصح فليس في ذكره الاشغلة
للحيز وقطيعة للوقت .

ولم يكن نبيا ، حتى يكون ما نقل عنه من شرع من قبلنا . ولا صح اسناد ما روى
(١)
عنه من الكلمات حتى يكون ذكر ذلك من تدوين كلمات الحكمة التي هي ضالة المؤمنين .

(١) انظر / فتح القدير - للشوكاني / ج ٤ / ص ٢٤٠ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،
سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين ومن اهتدى بهدىه وسار على نهجه الى يوم
الدين . وبعد :-

فمن نعم الله تعالى على أن وفقني للكتابة في موضوع من موضوعات القرآن الكريم
يتعلق بولي من أولياء الله تعالى - كما هو القول الراجح - هو : سيدنا لقمان عليه
السلام .

وقد بذلت جهدا كبيرا وضنيا - كما يعلم الله - في جمع شتات هذا الموضوع
وفي جمع المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية الفذة ، ومن ثم تنسيقها وتنقيحها ،
لاظهار ذلك كله في صورة متناسقة مترابطة .

فان كنت قد وفقت في ذلك الى الصواب والحق ، فهو من الله تعالى وحده وله الحمد
والشكر والثناء حتى يرضى وجهه ، وان كان غير ذلك فهو مني ، واستغفر الله وأتوب
اليه ، واسأله الرحمة والمغفرة . وحسبي أن ذلك جهدي ، وما أردت الا الخير .

وقد واجهتني في هذا البحث مصاعب كثيرة من أهمها قلة المصادر التاريخية
التي تتحدث عن سيدنا لقمان الحكيم عليه السلام ، وعن حياته ، وعن العصر الذي
عاش فيه .

ولكني رغم ذلك بذلت كل ما في وسعي لا عطاء الموضوع ما يستحقه من الدراسة
والبحث والتمحيص حتى ظهر بهذه الصورة التي أرجو الله تعالى أن تكون خالية من
النقص والخطأ ، وأن تكون وافية بغيرض الموضوع .

وقد استطعت ، بعد نهاية هذا البحث المتواضع ، بفضل الله تعالى وكرمه -

أن أصل الى النتائج التالية :-

١ - لما كان هذا الموضوع يتصل بالقرآن الكريم ، فإنه يحتاج الى عناية كبيرة ،

خاصة وأن كثيرا من أخباره ، فى مخطوطات ، إما مفقودة أو غير مطبوعة .

واننى أقترح مواصلة الدراسة والبحث فى مثل هذه الموضوعات التى

فيها احياء التراث الاسلامى .

٢ - ان دراسة القصص القرآنى بصفة خاصة وجميع المواضيع المتعلقة بالقرآن الكريم

بصفة عامة تفتح أمام الدارس آفاقا واسعة ، ويخرج منها بنتائج قيمة وفوائد

جليلة ، من ذلك :

أ - اطلاع الدارس على مصادر التاريخ القديمة ، ومعرفة ما فيها ، ثم مقارنته

بما كتب حديثا ، ليعرف الفارق بينهما .

ب - اطلاع الدارس على كتب التفسير بالمأثور والمعقول ، ومحاولة إعطاء

القارئ الكريم فى هذا العصر ، زبدة ما فى تلك المصادر القيمة ،

بلغة سهلة ، وعجالة سلسة .

ج - اطلاع الدارس على مصادر الحديث الشريف وذلك من خلال تخريج

الأحاديث المتعلقة بموضوع البحث ، ومن ثم معرفة درجة الحديث

والحكم عليه ، وبهذا يكون قد أدى خدمة جليلة للجنة النبوية المطهرة .

د - اطلاع الدارس على كتب اللغة وفهم ما فيها لبيان ما يرد فى القرآن الكريم

من معانى المفردات .

هـ - ان قصص القرآن الكريم له مغزى وهدف ، ولى بالعبر والعظات .

وحرى بالمسلم أن يتفهم ذلك ويطبقه فى حياته العملية والدعوة الى الله

بالحكمة والموعظة الحسنة .

و - ان الدارس بعد هذه الحصلة النافعة والمعلومات القيمة يستطيع أن يتعلم كيف يفسر كتاب الله تعالى وذلك وفق الطرق الشرعية الصحيحة .

٣ - اتضح لى أن سيدنا لقمان عليه السلام ، ولى من أولياء الله تعالى ، وعبد من عباده الصالحين ، وأن القول بنبوته قول ضعيف ، لا يمكن الاعتماد عليه .

٤ - أن معظم الأحاديث المتعلقة بسيدنا لقمان عليه السلام والمنسوبة الى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، هي أحاديث ضعيفة .

٥ - ذكر كثير من الرواة مجموعة كبيرة من الحكم المنسوبة الى سيدنا لقمان الحكيم عليه السلام ، ولكنها ليست متصلة السند .

ولكونها غير متصلة السند ، فلا يمكن قبول نسبتها الى سيدنا لقمان ، لأنه لم يكن نبيا - على القول الراجح - فيكون ما نقل عنه من باب " شرع من قبلنا " . ولم يصح اسنادها فتكون من الحكمة التى هى ضالة المؤمن .

وأخيرا فهذا جهدى ^{المواضع} ~~المتواضع~~ ، وما استطعت التوصل اليه ، ولا أدعى أننى بلغت فيه الكمال ، بل أعترف بتقصيرى وعجزى ، فان أصبت فى ذلك الحق ، فهو من الله وحده لا شريك له ، ومن توفيقه وهديه سبحانه ، فله الحمد وله الشكر والثناء كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه . وان كنت جانببت الصواب ووقعت فى الخطأ فذلك منى ومن الشيطان ، واسأله تعالى أن يتجاوز عنى ويتفضل على برحمته وعفوه ومغفرته فانى أهل للنقص والتقصير والعجز ، وما أردت الا الخير .

والنقص والتقصير من طبيعة البشر ، ولا كمال الا لله سبحانه وتعالى .

واننى أتقبل - برحابة صدر - أى نقد بناء ، الهدف منه الوصول الى الحق

والصواب ، والبعد عن الباطل والاحتراز منه ،

وانى لأبتهل الى الله عز وجل أن يجعل على هذا خالصا لوجهه الكريم
وأن يلهمنى السداد والرشد ، وأن يثبتنى دائما على صراطه المستقيم وأن يحسن
عاقبتى فى الأمور كلها ، وأن يجيرنى من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه وتابعيه الى يوم الدين .
وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فهرست المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن .
للامام جلال الدين السيوطي الشافعي .
المكتبة التجارية الكبرى - بيروت - لبنان .
- ٣ - أحكام القرآن .
لحجة الاسلام الامام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص .
تحقيق محمد صادق قماوي . الطبعة الثانية .
- ٤ - أحكام القرآن .
لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي .
تحقيق محمد علي البجاوي . طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٥ - أحكام الوصية .
للدكتور حسين حامد حسان .
الطبعة الاولى - ١٩٧٣ م .
- ٦ - احياء علوم الدين .
تصنيف الامام : أبي حامد محمد بن محمد الغزالي .
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٧ - الآداب الشرعية والمنح المرعية .
لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي .
الناشر : مكتبة الرياض الحديثة - بالرياض ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

- ٨ - أسباب النزول .
لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابورى .
الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م . مطبعة مصطفى البابى الحلبي
وأولاده بصر .
- ٩ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .
لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر .
تحقيق محمد علي البجاوى . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .
- ١٠ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة .
لعزالدين ابن الأثير .
أبي الحسن علي بن محمد الجزرى .
تحقيق محمد ابراهيم البنا - محمد عاشور - محمود عبد الوهاب فائد .
- ١١ - الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير .
للدكتور محمد محمد ابى شهبه .
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة . ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٢ - الأسفار المقدسة فى : الأديان السابقة للإسلام .
للدكتور علي عبد الواحد وافي .
ملتزم الطبع والنشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .
- ١٣ - الاصابة فى تمييز الصحابة .
لشهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلانى .
وبها مشه : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . لابن عبد البر .
مكتبة المتن - بغداد .

- ١٤ - أصول التخریج ودراسة الأسانید .
للدكتور محمود الطحان .
الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ١٥ - الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .
لخير الدين الزركلي .
الطبعة الثالثة .
- ١٦ - اعلام الموقعين عن رب العالمين .
لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر . المعروف : بابن قيم
الجوزية .
دار الجيل للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
- ١٧ - أمثال الحديث .
المروية عن الصحابة وعن التابعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
" مخطوط " .
تصنيف أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي .
رواية أبي القاسم عبدالله بن أحمد البغدادي .
- ١٨ - الانسان في القرآن .
عباس محمود العقاد .
دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١٩ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل .
المعروف بتفسير البيضاوي .
لعبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي .
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .

٢٠ - الايمان .

للعلامة : شيخ الاسلام ابن تيمية .
صححه وعلق عليه : دكتور محمد خليل هراس . دار الطباعة المحمدية
بالازهر - القاهرة .

٢١ - بدائع الفوائد .

للعلامة شيخ الاسلام :
أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الدمشقى المشتهر بابن قيم الجوزية .
عن بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : ادارة الطباعة المنيرية .
الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

٢٢ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد .

للشيخ الامام الحافظ الناقد أبى الوليد : محمد بن أحمد بن محمد
ابن أحمد بن رشد القرطبى .
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٣ - البداية والنهاية .

للحافظ ابن كثير الدمشقى .
الطبعة الثانية - ١٩٧٧ م . مكتبة المعارف - بيروت .

٢٤ - بهجة المجالس وأنس المجالس وشهد الذهن والهاجس .

للإمام أبى عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبى .
تحقيق : محمد مرسى الخولى .
مراجعة الدكتور : عبدالقادر القط .
الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٥ - التاج - الجامع للأصول - فى أحاديث الرسول .

للشيخ منصور على ناصف .
الطبعة الرابعة - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- ٢٦ - تاج المعروس من جواهر القاموس .
محمد مرتضى الزبيدي .
- ٢٧ - تاريخ العلامة ابن خلدون .
كتاب الحبر وديوان المبتدأ والخبر .
للعلامة : عبد الرحمن بن خلدون المغربي .
منشورات : دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر . ١٩٥٩ م .
- ٢٨ - تاريخ الطبري . تاريخ الرسل والطوك .
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر - ١٩٦٦ م .
- ٢٩ - تاريخ الفلسفة اليونانية .
يوسف كرم .
الطبعة الخامسة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .
- ٣٠ - التاريخ الكبير .
للمحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري .
الطبعة الاولى - ١٣٦٣ هـ .
- ٣١ - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف .
للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن
ابن يوسف الحزى .
معجم فهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم وموسوعة علمية لجميع أحاديث
الكتب الستة الصحاح . مع النكت الظرف على الأطراف - تعليقات الحافظ
ابن حجر العسقلاني .
صححه وعلق عليه : عبد الصمد شرف الدين .
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

٣٢ - تفسير أبي السعود المسمى :

- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم .
- لقاضى القضاة : أبى السعود محمد بن محمد العمادى .
- الناشر : دار المصحف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد .

٣٣ - تفسير البحر المحيط .

- لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الفرناطى .
- وبهامشه :

- (١) النهر الماد من البحر - لأبى حيان نفسه .
 - (٢) كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط - لتاج الدين الحنفى .
- الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٤ - تفسير الخازن المسمى :

- لباب التأويل فى معانى التأويل .
- لحلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن .
- وبهامشه تفسير البغوى : المعروف : بمعالم التنزيل .
- لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى .
- الطبعة الثانية - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- مطبعة البابى الحلبي وأولاده بمصر .

٣٥ - تفسير القرآن العظيم .

- للامام الجليل الحافظ عماد الدين :
- أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى .
- طبع بدار احياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبي وشركاه .

٣٦ - التفسير الكبير .

- للامام : الفخر الرازى .
- الطبعة الثانية . الناشر : دار الكتب العلمية - طهران .

- ٣٧- التفكير فريضة اسلامية .
عباس محمود العقاد .
الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان .
- ٣٨- تهذيب التهذيب .
لأبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الاولى - ١٣٢٥ هـ .
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند - حيدرآباد .
- ٣٩- الجامع لأحكام القرآن .
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي .
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٤٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول .
للإمام : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير
الجزري .
تحقيق وتخریج : هبة القادر الأرناؤوط .
مكتبة الحلواني وغيرها . - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٤١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .
الطبعة الثالثة - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٤٢- الجامع الصحيح .
للإمام مسلم أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .
توزيع : دار الفكر - بيروت - لبنان .

- ٤٣ - حاشية الشهاب المسماة :
عناية القاضى وكفاية الراضى . على تفسير الميضاوى .
دار صادر بيروت .
- ٤٤ - حياة الحيوان الكبرى .
للحلاصة : الشيخ كمال الدين الدميرى .
ومهامشه : كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات .
للإمام : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى .
دار القاموس الحديث - للطباعة والنشر . بيروت - لبنان .
- ٤٥ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور .
للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى .
الناشر : محمد أمين دمج - بيروت .
- ٤٦ - ذخائر الخوارىث فى : الدلالة على مواضع الحديث .
للشيخ عبد الفتى النابلسى .
انتشارات اسماعيليان - طهران .
- ٤٧ - رسالة التوحيد .
للإمام : محمد عبده .
الطبعة الاولى - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٤٨ - رسائل الرافعى .
لأبى ربه .
- ٤٩ - روح المعانى - فى :
تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .
لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى .
أحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

٥٠ - الروض الانف - في :-

شرح السيرة لابن هشام .

للإمام المحدث : عبد الرحمن السهيلي .

تحقيق وتعليق وشرح : عبد الرحمن الوكيل .

الطبعة الأولى - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

يطلب من دار الكتب الحديثة .

٥١ - زاد المعاد في هدي خير العباد .

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر .

الشهير : بابن قيم الجوزية .

تحقيق محمد حامد الفقى . مطبعة السنة المحمدية .

٥٢ - الزهد .

للمعالم الرباني والصديق الثاني :

أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .

مطبعة أم القرى .

٥٣ - الزهد والرقائق .

للإمام : شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك المروزي .

تحقيق وتعليق : الأستاذ المحقق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .

قام بنشره : محمد عفيف الزعبي . باذن خطي من محققه .

٥٤ - سنن أبي داود .

للإمام الحافظ : أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي

السجستاني .

الطبعة الأولى - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

شركة ومطبعة البايي الحلبي وأولاده بمصر .

- ٥٥ - سنن ابن ماجه .
للمحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه .
تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي .
دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٥٦ - سنن الترمذى - وهو :
النجام الصحيح .
للامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .
الطبعة الثانية - ١٣٩٤ هـ - ١٣٧٤ هـ .
اشرف على طبعه وراجع أصوله وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان .
دار الفكر .
- ٥٧ - سنن النسائى .
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى .
وحاشية الامام السندى .
الطبعة الاولى - ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- ٥٨ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة .
بقلم محمد ناصر الدين الألبانى .
الطبعة الاولى - ١٣٩٩ هـ .
- ٥٩ - سيرة ابن اسحاق الصماعة :-
يكتاب المبتدأ والمبعث والمغازى .
لمحمد بن اسحاق بن يسار .
تحقيق وتعليق : محمد حميد الله .
تقديم : الاستاذ محمد الفاسى .
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

- ٦٠ - السيرة النبوية .
لابن هشام .
تحقيق : مصطفى السقا - ابراهيم البياري ، عبد الحفيظ شلبي .
الطبعة الثانية - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٦١ - شرح البدخشي .
ومعه : شرح السنوي .
كلاهما : شرح منهج الوصول في علم الأصول .
للقاضي البيضاوي .
مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .
- ٦٢ - شرح السنة .
للامام البغوي .
تحقيق : شبيب الأرنؤوط - زهير الشاويش .
المكتب الاسلامي .
- ٦٣ - شرح صحيح مسلم " صحيح مسلم بشرح النووي " .
محيي الدين يحيى بن شرف النووي .
الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
دار الفكر - بيروت - لبنان .
- ٦٤ - شرح الحقيفة الطحاوية .
حققها وراجعها جماعة من العلماء .
وخرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني .
الطبعة الاولى - ١٣٩٢ هـ . المكتب الاسلامي .

٦٥- شرح : الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف :

بابن عباد النفري الرندي .

على :

كتاب الحكم .

لابي الفضل احمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري

وبالهامش : شرح شيخ الاسلام عبد الله الشرقاوي على الحكم المذكورة .

الطبعة الاخيرة .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

٦٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

للقاضي : عياض بن موسى اليحصبي الاندلسي .

تحقيق : محمد أمين قره ، اسامة الرفاعي ، جمال السيروان ،

نور الدين قره على ، عبد الفتاح السيد .

٦٧- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية .

تأليف : اسماعيل بن حماد الجوهري .

تحقيق : احمد عبد النفور عطار .

الطبعة الثانية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

دار العلم للملايين .

٦٨- صحيح البخاري .

لابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري .

دار مطابع الشعب .

٦٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته : " الفتح الكبير " .

تحقيق محمد ناصر الدين الالباني .

الطبعة الثانية - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

المكتب الاسلامي .

- ٧٠- الطبقات الكبرى .
لا بن سعد .
بيروت - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ٧١- العبادات في الاسلام .
تأليف : يوسف القرضاوي .
الطبعة الثالثة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٧٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين .
لشيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي .
الشهير بابن قيم الجوزية .
دار الكتب الحلبية - بيروت - لبنان .
- ٧٣- الحقد الفريد .
لا بن عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي .
شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته :
احمد امين - احمد الزين - ابراهيم اليبايري .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . - ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- ٧٤- عيون الأخبار .
لا بن محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣ م .
- ٧٥- فتح الباري .
بشرح صحيح الامام عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري .
للامام الحافظ : احمد بن علي بن حجر المستقلاني .
المكتبة السلفية .

- ٧٦- الفتح الرباني .
لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني .
ومعه كتاب : بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني .
كلاهما : تأليف :
احمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي .
الناشر : دار الحديث بالقاهرة .
- ٧٧- فتح القدير - للجامع . :
بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير .
تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
الطبعة الثانية - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٧٨- الفصول .
فى الطل والأهواء والنحل .
للإمام أبى محمد على بن احمد بن حزم الظاهري .
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
الطبعة الثانية : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٧٩- الفوائد .
لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية .
الطبعة الثانية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٨٠- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة .
لشيخ الاسلام : محمد بن على الشوكاني .
تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي .
الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ - بيروت .

٨١ - في ظلال القرآن .

بقلم : سيد قطب .

الطبعة الشرعية السابعة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

دار الشروق .

٨٢ - قصص الانبياء .

المسمى : "عرائس المجلس" .

لأبي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري . المعروف بالثعلبي .

الطبعة الرابعة - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .

شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٨٣ - قصص الانبياء .

للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير .

تحقيق مصطفى عبد الواحد .

الطبعة الاولى - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٨٤ - الكشاف في معرفة من له رواية في الكتب الستة .

للإمام الذهبي .

تحقيق وتعليق : عزت علي عطيه - موسى محمد علي الموشى .

الطبعة الاولى - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م . دار النصر للطباعة - القاهرة .

٨٥ - الكامل في التاريخ .

للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد

الشيحاني . المعروف بابن الأثير .

بيروت - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

٨٦ - الكشاف .

عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل .

لأبي القاسم : جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي .

- ٨٧- كشف القناع .
عن متن الاقناع .
للشيخ العلامة : منصور بن يونس بن ادريس البهوتي .
مطبعة الحكومة بمكة - ١٣٩٤ هـ .
- ٨٨- لبا ب النقول في أسباب النزول .
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
دار احياء العلوم - بيروت .
- ٨٩- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة .
للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .
المكتبة التجارية الكبرى .
- ٩٠- لسان العرب .
للامام العلامة أبي الفضل .
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الا فريقي المصري .
بيروت - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٩١- لسان الميزان .
للامام الحافظ :-
شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الثانية - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند : حيدرآباد .
- ٩٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
لالحافظ نور الدين علي بن أبي بكر المهيثي .
الناشر : دار الكتاب - بيروت - لبنان .

- ٩٩ - مروج الذهب ومعادن الجوهر .
لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي .
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
دار الفكر . الطبعة الخامسة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٠٠ - المستدرك على الصحيحين .
للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري .
وبذيله التلخيص الذهبي .
الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب .
- ١٠١ - المستقصى من علم الأصول .
للإمام أبي حامد محمد بن محمد الفزلي .
وبذيله : فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه .
الطبعة الأولى - المطبعة الأميرية - ببغداد - ١٣٨٢ هـ .
- ١٠٢ - سند الإمام أحمد بن حنبل .
وبها مشه : منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .
المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت .
- ١٠٣ - المعجم الصغير للطبراني .
للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني .
صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان .
الناشر : المكتبة السلفية لصاحبيها : محمد عبد المحسن الكتبي .
المدينة المنورة .
- ١٠٤ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
١٠٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي .
دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

- ١٠٦- المبنى لابن قدامه .
لأبى محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة .
تحقيق : د . طه محمد زيني .
مكتبة القاهرة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٠٧- مبنى اللبيب عن كتب الأعراب .
لجمال الدين بن هشام الانصارى .
- ١٠٨- المفردات في غريب القرآن .
للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني .
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية .
- ١٠٩- مقارنة الأديان .
(١) اليهودية .
للدكتور احمد شلبي .
الطبعة الثالثة - ١٩٧٣ م . مطبوع النشر والطبع : مكتبة النهضة المصرية .
بالقاهرة .
- ١١٠- شرح مقاصد الطالبين في علم اصول الدين .
مسعود بن عمر التفتازانى .
- ١١١- الطل والنحل .
لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر احمد الشهرستانى .
تحقيق : محمد سعيد كيلانى .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .
- ١١٢- موارد الظلمآن الى زوائد ابن حبان .
للمحافظ نورالدين على بن أبى بكر الهيثمى .
تحقيق محمد عبدالرزاق حمزه . المطبعة السلفية .

- ١١٣- المواقف .
للامام القاضي : عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الايجي .
بشرحه للمحقق : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني .
مع حاشيتين جليلتين .
الطبعة الاولى - ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .
مطبعة السعادة - مصر .

- ١١٤- الموضوعات .
للعلامة السلفي أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي
القرشي .
الطبعة الاولى - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان .
الناشر : محمد عبدالمحسن - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

- ١١٥- الموطأ .
للامام مالك بن أنس بن مالك بن أنس .
مطبعة الحلبي وأولاده بمصر .

- ١١٦- ميزان الاعتدال - في نقد الرجال .
لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
تحقيق محمد علي البجاوي .
دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
الطبعة الاولى - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

- ١١٧- نوادير الاصول .
في معرفة أحاديث الرسول .
لأبي عبدالله محمد الحكيم الترمذي .
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

١١٨- الوصية وأحكامها .

للشيخ محمد جعفر شمس الدين .

دار التراث الاسلامي - للطباعة والنشر والتوزيع .

بيروت - لبنان .

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
"الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هـدى للمتقين" الآيات	٣: ١	البقرة	١٤٠
"الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و الآيات	٥: ٣	"	١٥٥
"وقالت اليهود عزيز ابن الله الآية"	٣٠	"	٧٣
"وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم . . . الآية" . . .	٣١	"	٩٥
"وانها لكبيرة الا على الخاشعين" .	٤٥	"	٢٠٠
"وان قتلتم نفسا فادّارأتم فيها . . . الآية" . . .	٥٥	"	٦٨
"ذلك أمة قد خلت لهما ما كبست و . . . الآية" . . .	١٤١	"	١٤١
"يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم . . . الآية" . . .	١٧٢	"	١٠١
"فما أصبرهم على النار" .	١٧٥	"	١٨٥
"ولكن يؤءخذكم بما كبست قلوبكم . . . الآية" . . .	٢٢٥	"	٢١٢
"أنسى يكون له الهلك علينا . . . الآية" . . .	٢٤٧	"	١٤

الاية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
" الله لا اله الا هو الحق القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الآية .	٢٥٥	البقرة	٧٩
" يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات . . الآية	٢٦٧	"	١٠١
" يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية .	٢٦٩	"	٧٩
" ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . . .	٢٦٩	"	٢٢
" ولا تكتموا الشهادات ومن يكتمها فانه آثم قلبه الآية .	٢٨٣	"	٢١٢
" وان تدوا ما فى انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية .	٢٨٤	"	٢١٢
" لا يكلف الله نفسا الا وسعها . . . الآية .	٢٨٦	"	٩٥
" شهد الله أنه لا اله الا هو . . . الآية	١٨	آل عمران	٧٩
" يوم تجد كل نفس ما عطت من . . . الآية	٣٠	"	١٠٣
" وما الحياة الدنيا الا متاع الزور .	١٨٥	"	٤٩
" ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . . الآية .	١٩١	"	٩٨

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
"ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و....." الآية . ١٠٤	١٠٤	آل عمران	١٧٤/١٧٣ ١٨٣
"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون... " الآية ١١٠	١١٠	"	١٧٤/١٧٣
"قل متاع الدنيا قليل... " الآية ٧٧	٧٧	النساء	٧٧
"قالوا فيم كنتم... " الآية ٩٧	٩٧	"	٩٩
"وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم... " الآية .	١٧٣	"	٢١٧
"يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاعسلوا....." الآية ٦	٦	المائدة	١٥٩
"لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم... " الآيات ٧٨ / ٧٩	٧٨ / ٧٩	"	١٧٤
"يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم... " الآيات ٨٧ / ٨٨	٨٧ / ٨٨	"	١٠٠
"يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم... " الآية ١٠٥	١٠٥	"	١٧٦
"قل تحالوا أتل ما حرم ربكم عليكم... " الآية ١٥١	١٥١	الأنعام	١١٧
"ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتق هو أحسن... " الآية ١٥٢	١٥٢	"	١٨٠

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
" قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها " الآية	١٣	الأعراف	٢١٧
" يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " الآية	٣١	"	١٦٠
" وجاوزنا بينى اسرائيل البحر ... الآيات ١٤٠	١٣٨ :	"	٦٨
" سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ... " الآية	١٤٦	"	٢١٧
" واتخذ قوم موسى من بعده ... الآية	١٤٨	"	٦٨
" واسألهم عن القرية ... الآية	١٦٣	"	١٦
" فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين ينهاون عن سوء ... الآية	١٦٥	"	١٧٥
وروي الح البهوعر ابن الله ... " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ... الآية	٢٠	التوبه	١٢٢
" يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من ... الآية	٣٤	"	٩٩
" لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ... الآية	١٠٨	"	١٦٠
" ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم ... الآية	٤٧	يونس	٩٤
" ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ... الآية ١٠٦		"	١٧٩

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
" قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك... الآية	٨٧	هود	١٣٦
" وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل... الآية	١١٤	"	١٣٨
" ان الحسنات يذهبن السيئات... الآية	١١٤ / ١١٥	"	١٨٩
" وما أبرئ نفسي ان النفس لأمار بالسوء الا بحمد ربي " الآية	٥٣	يوسف	١٠٢
" وفوق كل ذي علم عليم "	٧٩	"	١٠٣
" وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها... الآية	٣٤	ابراهيم	٥٧
" ان الانسان لظلم كفار "	٣٤	"	٩٦
" ربنا انى أسكتت من ذريتي بواح غير ذى زرع الآية	٣٧	"	١٣٦
" رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي — الآية	٤٠	"	١٣٦
" انه لا يحب المستكبرين "	٢٣	النحل	٢١٧
" الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية	٢٩ / ٢٨	"	٢١٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
" وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم . . الآية	٤٣	النحل	١٠٠
" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا "	١٥	الاسراء	٩٤
" لا تجعل مع الله الها آخر فتقمذ مذوما مخذولا "	٢٢	"	١٨٠
" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا آياه وبالوالدين احسانا . . . الآية	٢٣	"	١٨٠
" وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية	٢٤/٢٣	"	١١٧
" ولا تمش فى الأرض مرها الآية	٣٧	"	٢٠٦
" ولقد كرّمنا بنى آدم وحططناهم فى المير والبحر الآية	٧٠	"	٩٦
" وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "	٨٥	"	١٠٣
" كبرت كلمة تخرج من أفواههم . . الآية	٥	الكهف	١٢٧
" واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالفسادة والمشى . . . الآية	٢٨	"	١٨٥
" وأوصانى بالصلاة والزكاة . . . الآية	٣١	مريم	١٢٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
" واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد " الآيات	٥٥/٥٤	مريم	١٣٦
" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا " الآيات	٦١ : ٥٩	"	١٤١
" وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها .. " الآية	١٣٢	طه	١٣٨
" ونضع الموازين القسط .. " الآية	٤٧	الأنبياء	١٠٢
" لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن " الآية	٣٧	الحج	٧١
" قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون " الآيات	١١ : ١	المؤمنون	١٥٥/١٤٠
" ولقد خلقنا الانسان من سلاله " الآيات	١٤ : ١٢	"	٩٧
" يا أيها الرسل كلوا من الطيبات .. " الآية	٥٢	"	٩٥
" أتلمأوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة .. الآية	٤٥	العنكبوت	١٣٨
" وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " الآية	٤٥	"	١٥٠
" آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم " الآية	٤٦	"	١٠٩/١٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
" أولم يتفكروا فى أنفسهم ... " الآية	٨	الروم	٩٨
" ومن آياته أن خلقكم من تراب ... " الآية	٢٠	"	٩٧
" وإن قال لقمان لابنه ... " الآية	١٣	لقمان	١٦
" وإن جاهدك على أن تشرك بى ... " الآية	١٥	"	١١٨
" يا بنى إنها إن تك مثقال حبة ... " الآية	١٦	"	١٢٦
" يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف .. " الآية	١٧	"	١٣٧
" واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور "	١٧	"	١٨٤
" سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض . ٣٠ الآية	٢٠	"	٩٦
" إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور "	٣١	"	١٩٣
" ذلك عالم الغيب والشهادة ... " الآيات	٦ : ٩	السجدة	٩٧
" إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور "	١٩	سبا	١٩٤
" قال الذين استكبروا للذين استضعفوا . ٣٠ الآية	٣٢	"	٩٩
" وإن من أمة إلا خلا فيها نذير "	٢٤	فاطر	٩٤
" سبحانه الذى خلق الأزواج كلها ... " الآية	٣٦	يس	٩٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
" أم من هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما .. الآية ٩	٩	الزمر	١٢١
" والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها — " الآيات	١٨ / ١٧	"	١٢٢
" وقال ربكم ادعوني أستجب لكم .. " الآية	٦٠	غافر	٢١٨ / ١٥٧
" وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا " الآيات	٢٥ : ٢٢	فصلت	١٢٨
" ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم .. " الآية	٢١	الشورى	٨٠
" الأَخْلَاءُ يومئذ بعضهم لبعض عدوًّا إلا المتقين "	٦٧	الزخرف	١٢١
" ربِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ .. " الآية	١٥	الأحقاف	٥٧
" ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين .. " الآية	٣١	محمد	١٢٨
" يا أيها الناس اننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم " الآية	١٤	الحجرات	٢٢٥
" ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما .. " الآية ٣٨	٣٨	ق	٧٠
" كل امرئ بما كسب رهين "	٢١	الطور	٩٤
" وأن ليس للإنسان إلا ما سعى "	٣٩	النجم	٩٥

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
" يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ٣٠٠ الآية	١٤	الحديد	١٢٧
" هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ٠٠٠٠ الآية	٢٤ : ٢٢	الحشر	٨٠
" واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ٠٠٠ الآية	٤٠	المنافقون	٢٣
" الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	١٤	الطك	١٢٧ / ١٨٢
" وانك لعلى خلق عظيم	٤	القلم	٢٠٦
" كل نفس بما كسبت رهينه	٣٨	المدثر	١٠٢ / ٩٤
" لا أقسم بيوم القيامة ، ولا ٠٠٠ الآية	٢ / ١	القيامة	١٠٢
" يوم يفر المرء من أخيه . وأمه ٠٠٠ الآية	٣٧ : ٣٤	عبس	١٢٠
" يا أيها الانسان ما غرَّك بربك الكريم . الذي خلقك ٠٠٠ الآية	٨ : ٦	الانفطار	١٠٣
" يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك ٠٠٠٠ الآية	٢٨ / ٢٧	الفجر	١٠٢
" ونفس وما سواها . فآلهمها فجورها ٠٠٠٠ الآية	١٠ : ٧	الشمس	١٠٢
" لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم	٤	التين	٩٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
"اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان ... والآيات	٥ : ١	العلق	٩٥
"كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى" وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين . . والآية	٦ / ٥	"	٩٦
"فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل والآية	٨ / ٧	الزلزلة	٩٥
"ان الانسان لربه لكوند"	٦	العاديات	٩٦
"ان الانسان لفي خسر"	٢	العصر	٩٦
"فويل للمصلين . الذين هم . . والآيات	٦ : ٤	الطاعون	١٤١
"قل هو الله أحد . الله الصمد . . الخ السورة		الاخلاص	٧٩

فهرس الأحاديث

قمت بترتيب الأحاديث في هذا الفهرس على النحو الآتي :

- ١ - ترتيب الأحاديث على المسانيد .
- ٢ - ترتيب أسماء أصحاب المسانيد على أحرف الهجاء .

١ - أنس بن مالك

رقم الصفحة

- (١) "سوا صفوفكم فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة" . ١٥٩
- (٢) "سوا صفوفكم فان تسوية الصف من تمام الصلاة" . ١٥٩
- (٣) ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلاتهم ؟ .
فاشدت قوله في ذلك حتى قال " لينتهن عن ذلك أو
لتخطفن أبصارهم" . ١٥٢
- (٤) وفيه : " وجعل قرعة عيني في الصلاة" . ١٥٦
- (٥) " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" . ٥٢

٢ - جابر بن عبد الله

- (١) "بين الكفر والايان ترك الصلاة" . ١٤٢
- (٢) "كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يعلمنا الاستخارة في الأمور
كلها ، كالمسورة من القرآن ، اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من
غير الفريضة ثم يقول : اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك
بقدرتك" الحديث . ١١٨

رقم الصفحة

٣ - جابر بن عتيك

- (١) "وان من الخيلاء ما ييفض الله ، ومنها ما يحب الله ،
فأما الخيلاء التي يحب الله ، فاختيال الرجل نفسه عند
القتال ، واختياله عند الصدقة ، وأما التي ييفض الله
عز وجل ، فاختياله في البقي" .
- ٢٠٩

٤ - حارثة بن وهب الخزاعي

- (١) "ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ . كل ضعيف متضعف ، لو
أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل
جواظ مستكبر" .
- ١١٨

٥ - حذيفة بن اليمان

- (١) "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر ، صلى" .
- ١٥٧
- (٢) "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، فتدعونه فلا
يستجيب لكم" .
- ١٧٧

٦ - سلمة بن الأكوع

- (١) "لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين ،
فيصيه ما أصابهم" .
- ٢٢٠

٧ - صخر الفامدى

رقم الصفحة

- (١) " اللهم بارك لأمتى فى بكورها " . ١٦٢

٨ - عبدالله بن بريدة

- (١) " العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر " . ١٤٢

٩ - عبدالله بن عمرو

- (١) " من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه " . ٤٤
(٢) " ان أبر البر أن يصل الرجل أهل وداً أبيه " . ١١٩
(٣) " بنى الاسلام على خمس : شهادة ألا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، ورمضان " .

١٠ - عبدالله بن عمرو بن العاص

- (١) " ان من الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ . قال : يسب الرجل أباه الرجل فيسب أباه ويسب أمه " . ١١٨

١١ - عبدالله بن مالك بن بحينة

- (١) " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه " . ١٦٣

١٢ - عبد الله بن مسعود

رقم الصفحة

- (١) " لا حسد الا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة - وفي بعض روايات الصحيح " الحكمة - " بالتعريف - فهو يقضى بها ويعلمها " .

٤٤

١٣ - عطية السعدي

- (١) " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع مالا بأس به ، حذرا لما به بأس " .

١٨٩/١٦٧

١٤ - علي بن أبي طالب

- (١) " مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم " .

١٥٩

١٥ - عياض بن حمار

- (١) " ان الله عز وجل أوحى الى " ، أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد " .

٢٢٠

١٦ - كعب بن مالك

- (١) " قال كعب : " فقل رجل يريد أن يتخيب ، يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل . . الحديث .

٢٠٥

١٧ - النعمان بن بشير

رقم الصفحة

(١) "لتسوّن صفوفكم أوليخالفن الله بين وجوهكم". ١٤٢

١٨ - أبو أسيد مالك بن ربيعة

(١) "بينما نحن ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه رجل من بنى سلمة ، فقال يا رسول الله : أبقى من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، . . . الخ الحديث. ١٢٠

١٩ - أبو بكر الصديق

(١) "ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه". ١٧٦

٢٠ - أبو ذر

(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادي : اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ، يا عبادي كلکم ضال الا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي الحديث. ٥٦

(٢) " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ، ممتلىء حكمة وايمانا ، فأفرغه ففى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي . . . الخ الحديث. ١٤٥

- (٣) " أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء ، والورق يتهافت ، فأخذ بغصنين من شجرة ، قال : فجعل ذلك الورق يتهافت ، قال : فقال يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ان ... الخ الحديث .
- ١٥٦

٢١ - أبوسعيد الخدرى

- (١) " اذا رأيت الرجل يتعاهد المسجد ، فاشهدوا له بالايمان ، فان الله يقول : " انط يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة " الآية .
- ١٤١
- (٢) " غسل الجمعة واجب على كل محتلم " .
- ١٦١
- (٣) " الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وأن يستن وان يحس طيبا ان وجد " .
- ١٦١
- (٤) " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ... الحديث .
- ١٦٨
- (٥) " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، و ... الخ الحديث .
- ٢١٠

٢٢ - أبوكبشه الانطارى

- (١) " فى الحديث : " ورجل آتاه الله مالا ، ولم يؤتته علما ، فهو يخطب فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يؤتته مالا ولا علما ... الخ الحديث .
- ٢١٢

٢٣ - أبو هريرة -

رقم الصفحة

- (١) "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله يوم القيامة : " انى جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، فأبيتم الا أن تقولوا فلان أكرم من فلان الخ الحديث " . ٢٢
- (٢) " قال : " جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ ، قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : الخ الحديث . ١٠٥
- (٣) قال : " كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل اليكم " الآية . ١٠٩
- (٤) " ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان قبلت . . . الخ الحديث . ١٤٠
- (٥) " اذا دعى أحدكم فليجب ، فان كان . . . الخ الحديث . ١٤٥
- (٦) " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي . . الخ الحديث ١٤٦
- (٧) أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فرد النبي صلى الله عليه وسلم ، عليه السلام فقال : ارجع فصل فانك لم تصل ، فصلى ، ثم . . . الخ الحديث ١٤٦

رقم الصفحة
١٥١

- (٨) " انما جعل الامام ليؤتم به " .
- (٩) اما يخشى أحدكم - أو : لا يخشى أحدكم - اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار " . ١٥٢
- ١٠ - " أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يفتسل منه كل يوم خمس مرات . هل يبقى من درنه شيء ؟ . الخ الحديث . ١٥٥
- (١١) " الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الذي رمضان ، مكفرات لما بينهن ، ما اجتبت الكبائر " . ١٥٥
- (١٢) " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة " . ١٦٠
- (١٣) " لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن و . الخ الحديث . ١٨٩
- (١٤) " تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم . قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رهمتي الخ الحديث . ٢١٩
- (١٥) " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله سبحانه : الكبرياء رذائل ، والعظمة ازارى الخ الحديث . ٢١٩

٢٤ - أسماء بنت أبي بكر الصديق

- (١) عن أسماء قالت : " قدمت أمي وهي مشرقة - في عهد قريش ومدتهم ، إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم - مع أبيها ،

رقم الصفحة

فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ان أمي
قد مت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : نعم ، صلى أمك" . ١١٨

٢٥ - عائشة بنت أبي بكر الصديق

(١) " السواك مطهرة للفم ، ومضادة للرب " . ١٥٧

(٢) قالت : " دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فعرفت في وجهه ، أن قد حفزه شيء ، فتوضأ ثم خرج
فلم يكلم أحداً ، فدنوت من الحجرات فسمعتة يقول : يا أيها
الناس ان الله عز وجل يقول : مروا بالمعروف وانهاوا عن
المنكر ، من قبل " الخ الحديث . ١٧٧

٣	المقدمة
٥	منهجى فى البحث
٩	الباب الأول
١٠	الفصل الأول :
١٠	تحقيق القول فى اسم لقمان ونسبه
١٢	" " " العصر الذى عاش فيه لقمان
١٥	" " " اسم ولد لقمان
١٧	الفصل الثانى :
١٧	تحقيق القول : عن صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية
٢٦	الفصل الثالث :
٢٦	تحقيق القول فى نبوة لقمان أو ولايته
٣٠	الترجيح
٣٢	الباب الثانى
٣٩	الفصل الأول :
٤٠	تفسير قوله تعالى " ولقد آتينا لقمان الحكمة "
٤٠	تعريف الحكمة واستقراؤها فى الكتاب والسنة
٥٣	تفسير قوله تعالى : " أن اشكر لله ومن يشكر فانط يشكر . . " الآية
٥٩	بيان معنى الشكر
٦٤	بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم الحكمة

٦٧	بيان الحكمة عند اليهود
٧٤	" " " النصارى
٧٩	" " " فى الاسلام
٨١	<u>الفصل الثانى :</u>
٨٢	تفسير قوله تعالى : " وان قال لقطن لابنه وهو يعظه .. " الآية
٨٢	بيان معنى الوعظ
٨٤	" سبب نزول قوله سبحانه " ان الشرك لظلم عظيم "
٨٤	" قوله سبحانه " ان الشرك لظلم عظيم " :
	أهو من كلام لقطن ؟ أم هو خبر من الله منقطع
٨٦	بيان معنى الشرك
٨٨	<u>الفصل الثالث :</u>
٨٩	أهم الأقوال فى الآيتين الكريمتين
٩١	بيان معنى الوصية فى اللفظة
٩٢	" " " القرآن
٩٣	الانسان فى القرآن الكريم
١٠٣	تفسير الآيتين الكريمتين
١٢٤	<u>الفصل الرابع :</u>
	بيان ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى من حيث :
١٢٥	أ - القدرة
١٢٧	ب - العلم
١٢٩	تفسير قوله تعالى : " يا بنى انما ان تك مشال حبة .. " الآية

١٣٥

الفصل الخامس :

فيما يتعلق برأس العبادات البدنية

١٣٦

بيان ان الصلاة مشروعة في جميع شرائع الله

١٣٨

" منزلة الصلاة في الاسلام

١٤٣

" كيف فرضت الصلوات الخمس

١٤٥

" معنى الصلاة لغة وشرط وبيان معنى اقامتها

١٤٩

" أن الصلاة تعود صاحبها الطاعة

١٥٣

" " " طهارة للنفس من الآثام وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات

١٥٨

" " " نظافة وتجمل

١٦٣

" " " رياضة بدنية

١٦٥

الفصل السادس :

١٦٦

بيان مدلول الأمر والنهي

١٦٦

" " المعروف والمنكر

١٦٧

" الحد الفاصل بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٧٠

" حكم الأمر بالمعروف والمنكر

١٧٣

" أدلة وجوبهما

١٧٨

هل يعتبر الأمر بالمعروف نهياً عن المنكر؟ أم كل منهما مستقل؟

١٧٩

أيهما يقدم : الأمر بالمعروف أم النهي عن المنكر؟

١٨٠

بيان مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٨١

أثر القيام بهما

١٨٢

تفسير قوله سبحانه : وأمر بالمعروف وانه عن المنكر

١٨٤ الفصل السابع :

١٨٥ بيان معنى الصبر

١٨٦ " أنواع الصبر

١٩٣ " أن الصبر نصف الايمان

١٩٧ " مراتب الصبر

٢٠٠ تفسير قوله سبحانه " واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور "

٢٠٣ الفصل الثامن :

٢٠٤ بيان معنى التصغير

٢٠٥ " " الخد

٢٠٦ " " المرح

٢٠٦ ليس المراد حصر الكبر في المشي ، بل له صور أخرى

٢٠٨ دخول النفي على صيغة العموم

٢٠٨ بيان معنى الاختيال والفخور

٢١٠ " مقتضى النهي

٢١٣ " مفهوم النهي في هذا الموضع وهو " التواضع "

٢١٥ " حقيقة الكبر وانه

٢٢٠ " علة ذم الكبر

٢٢١ تفسير قوله سبحانه : " ولا تصغر خدك للناس و... " الآية

٢٢٧ الفصل التاسع :

٢٢٨ بيان معنى القصد

٢٢٩ " " الغنى

٢٣١ " الحكمة في القصد وغنى الصوت

٢٣٣ بيان حكمة التعقيب بقوله سبحانه : ان أنكر الاصوات لصوت الحمير

٢٣٥ تفسير قوله سبحانه : " واقصد في مشيك واغضض من صوتك " . . الآية

٢٣٨ الباب الثالث

ويشتمل على استقراء الأحاديث الواردة فيها ذكر لقمان ، وبيان
درجتها من الصحة أو الحسن أو الضعف ، ثم شرح ما يحتاج
منها الى شرح ، وبيان ما يستفاد من الحديث المشرح من
الأحكام

٢٣٩

٢٥٨ الخاتمة

٢٦٢ فهرس مصادر البحث

٢٨٢ " الآيات القرآنية

٢٩٤ " الأحاديث النبوية الشريفة

٢٠٤ " مواضيع البحث